

قد كان ما كان
في النقاش والرأي

الكتاب: قد كان ما كان

في النقاش والرأي

المؤلف: شكيب كاظم

الطبعة الاولى: ٢٠١٩

تصميم الغلاف والإخراج الفني: دار أمل الجديدة

ISBN: 978-9933-603-15-1



سورية - دمشق

جوال ٠٠٩٦٣٩٣٢٤٧٢٠٩٦ - ٠٠٩٦٣٩٣٢٠٠٢١٢٦ -

هاتف: ٠٠٩٦٣١١٢٧٢٤٢٩٢

E-mail: ammarkordia@yahoo.com

حقوق الطبع محفوظة: لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو، أو بأي طريقة سواء كانت (الالكترونية) أو (ميكانيكية) أو بالتصوير، أو بالتسجيل أو بخلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من المؤلف أو الناشر.

All rights reserved, Not part of this publication may be reproduced stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, Electronics, mechanical photocopying, recording of otherwise, without prior permission in writing of the publisher

قد كان ما كان في النقاش والرأي

شكيب كاظم

الإهداء

إلى روح أستاذي الجليل الدكتور علي جواد الطاهر
تجلة لذكراه واعترافاً ببعطاياه

شكيب كاظم

بين يدي الكتاب

هذا كتابي الثالث، الذي أوقفته - غالباً على النقاش وإبداء الرأي، في كتابات، لها فضيلة أنها استوقفتني، وجلبت انتباهي فوقفت عندنا مناقشاً ومنوهاً، ولو كانت مثل كثير من الكتابات التي تمرّ مرّاً السحاب غير الممطر، أو تتلاشى، تلاشي الرمل السائفي في يوم عاصف، لما استوقفتني، كي أكتب عنها، أقول كتابي الثالث، فلقد أصدرت سنة ٢٠٠٥، كتابي المعنون (في التراث والثقافة والأدب. قراءات في كتابات). واحتوى على بعض مناقشاتي وتعليقاتي التي نشرتها في الصحف على مدى أكثر من ربع قرن (١٩٧٨ - ٢٠٠٤) في العراق وخارجه، آثرت جمعها بين دفعتي كتاب ونشرها، إتماماً للفائدة، وحفظاً لها من البقاء في بطون الجرائد، التي يزويها كُرُّ الجديدين.

كما أصدرت دار فضاءات للنشر في العاصمة الأردنية عمان سنة ٢٠١٣ كتابي الموسوم بـ (المرء يلقي عصا ترحاله) اشتمل على كتاباتي التي نشرتها بعد هذا التأريخ وحتى سنة ٢٠١٠، وكنت أحس بضمور الرغبة في الكتابة بهذا اللون، بسبب شيوع الخطأ وفشو الغلط وفوضى الكتابة، حتى ما

عاد بالإمكان متابعة هذا الطوفان، لكن هي الرغبة
تدفعك، والحرص على حقائق الأشياء، يلح عليك كي تدلو
بدلوك بين الدلاء، فكان هذا الكتاب.

شكيب كاظم

شوال / ١٤٣٩ هـ - حزيران / ٢٠١٨

ثبت بمواد الكتاب

	حديث مستطرد عن محمد بديع شريف (العاني) وشقيقه طبيب العيون مصطفى شريف العاني
	رأي الشاعر محمد حسين آل ياسين في مقتلة المتبني
	الراديكاليون والرسميون العرب اخصوا المثقف وأقصوه
	باكية على ترف الماضي الجميل محلة الشواكة تغازل دجلة بسحر شناسيلها
	ناقشة مع الدكتور مصطفى علي الجوزو تعريب المصطلح ضار والسوق يعني الاستراتيجية
	مناقشة لما كتبه الأستاذ نوزاد حسن قالها الجواهري في إنقلابي ١٩٣٦ ، والذي كان يغير في قصيده فحصل هذا اللبس
	بيت الشعر ليس للجواهري بل لعماش واكبت فاضل العزاوي منذ مخلوقاته الجميلة عام ١٩٦٩.
	حوار مع نجم والي دفاعاً عن سعدي يوسف وإدوارد سعيد ومحمود درويش وكافكا.
	في ظاهرة التنازل عن السلطة عبر التاريخ شكري القوتلي.... المواطن العربي الأول
	نقاش مع الأستاذ ياسين الحسيني حديث مستطرد عن حركة الشواف والمقدم الركن عزيز أحمد شهاب.
	بعد انهيار المانية في الحرب الثانية

	كيف وصل رشيد عالي الكيلاني إلى السعودية واستجار بملكها عبد العزيز؟
	ومات ضابط الموساد الشهير مؤسس وحدة كيدون هراري يقود صراعاً عنيفاً بين المقاومة الفلسطينية والمخابرات الإسرائيلية
	نقاش هادئ مع جواد غلوم أسرار وتداعيات فرهود اليهود ١٩٤١ وقضايا التهجير
	حسن العلوي ودفء المكتبة البعد من السياسة وخلوة مع الذات تنتج كتباً
	عُقِدَ الحُكَّام حين تتحول وبالأعلى الناس
	وتلك الأيام نداؤها بين الناس يوم راجعنا الأستاذ عبد الملك العاني
	مجيد السامرائي يساجل في (أطراف الحديث) صفاء خلوصي القائل بعروبة شكسبير
	خسرنا مواهب رائعة شغف بعضهم بالاقتران من الشخصيات العامة
	حديث مستطرد عن الرصافي الشاعر الكبير ما باع السجائر على قارعة الطريق
	شواخص معمارية بغدادية إطلالة على قصور تراثية كرخية
	من الذي سَمَّ أبا هاني وديع حداد؟ هل بيع مؤسس الفرع الخارجي والعمليات الخاصة في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين؟
	بعضهم بحاجة لقراءة في التأريخ محمد أمين الحسني مفتي القدس الأسبق بريء من المحرقة

	نظرة إجمالية إلى واقع الحياة الثقافية
	إمياضة من الماضي الجميل... معلمون مسيحيون ودروز ومسلمون سنة في المدرسة الجعفرية ببلنان.
	القاضي محمد نور الذي حاكم طه حسين... عقل نيّر وفكر حصيد
	كفاءات باهية رحلت عن دنيا مصر، العرب خسروا بطرس بطرس غالي ومحمد حسنين هيكل
	بسبب نكوص القراءة ... باحثون مرموقون تطويهم وديان النسيان
	معنى أن تعيش كتاباتك مدة ساعتين البضاعة المزجاة في متن صحيفة
	قد كان ما كان مما لست أذكره في رثاء الشاعر سبتي الهيتي
	هاني فحص يسرد علينا صوراً من الحياة في سويسرة بين طه حسين وعلي جواد الطاهر
	تظل الثقافة نخبوية
	لا بد من مصر وإن طال السفر
	يوم كان صدر المجتمع العربي رحيباً وجوه تركمانية في رحاب الثقافة والأدب حديث عن الأديب وحيد الدين بهاء الدين
	رسائل انسي الحاج إلى غادة السمان
	الباحث نبيل العطية يدوّن رؤاه في كتب وكتب مشاركات بين طه حسين ومصطفى جواد
	لماذا نحاول الإساءة لشواخصنا الإبداعية؟
	قراءة لذكريات الشاعر الكبير مظفر النواب كانت القضايا تحل ببساطة

	العراق كان سابقاً في نقل روايات الياباني كزوو إيشيكورو للعربية
	مصطلح الأدب الجاهلي... مرة أخرى
	(الاستشراق) وحقاقة كمال أبو ديب في ترجمته
	إنهم يكتبون عن أنفسهم... أيجوز هذا؟
	في جدوى الكتابة وجديتها توفيق يوسف عواد بماذا نصح عبد الرحمن منيف؟
	وثيقة جواهرية يوم عاش الجواهري في ريف قضاء علي الغربي

حديث مُستطرد عن محمد بديع شريف (العاني) وشقيقه طبيب العيون مصطفى شريف العاني

أتابع باحترام وشغف ما تخطه يراعة الأديب الكاتب الثبت مهدي شاكر العبيدي الذي يمتاز بأسلوب متفرد في الكتابة، وما زلت أحتفظ بالعديد من دراساته ومقالاته التي كان ينشرها في صفحة (النافذة الثقافية) بجريدة (العراق) يوم كان يشرف عليها ويحررها طبيب السيرة والذكر أبو صارم أحمد شبيب - رحمه الله- إلى جانب مقالات الدكتور علي جواد الطاهر، الشيخ جلال الحنفي البغدادي، حارث طه الراوي، الدكتور كامل مصطفى الشيبلي، مدني صالح، أستاذي إبراهيم الوائلي، عبد الحميد الرشودي... و... و.

وقد قرأت مؤخراً دراسته التي تناول فيها محمد يوسف موسى... الفقيه والفيلسوف والمصلح المجدد المنشور على الصفحة التاسعة من ملحق الف ياء الثقاف في الذي تصدره صحيفة (الزمان) الدولية بطبعتها اللندنية يومية، المنشورة في يوم الإثنين ٢٣ / من شعبان / ١٤٣٢ - ٢٥ من تموز / ٢٠١١ طبعة العراق وقد آثرت الوقوف عند فقرة من هذه الدراسة مضيئاً وموضحاً فيما يخص الدكتور محمد بديع شريف الباحث العراقي نزيل القاهرة، إذ جاء في ثبيات هذه الدراسة القيمة، التي اردفها العبيدي بدراسة أخرى عن مصطفى صادق الرافعي: القلم تحت راية القرآن قول الباحث

والأديب مهدي شاکر العبيدي: (هذا الكتاب المهم والمندرج في حقل الدراسات التاريخية فيوسم باسم (النهضة العربية الحديثة) الذي أصدرته قبل سنين- طويلة نسبياً- الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية بالقاهرة حيث أسهم في تبويب مواد وموضوعاته واستقرائها تاريخياً زيادة في التوثيق والتثبيت والاطمئنان إلى النتائج المبتغاة، إلى جانب محمد بديع شريف (العراقي) كل من: زكي المحاسني (السوري) وأحمد عزت عبد الكريم (المصري) وبذلك دلت هذه المؤسسة السياسية أصلاً على حرصها وسعيها لتوافق أبناء اللسان الواحد، وإن تآدت ديارهم ومواطنهم وتباعدت المسافات بينها، ومن ثم إجماعهم وانعقاد آصرتهم للم الشمل وإحكام رابطتهم وصرفهم عن التمزق والتشتت فظهر لي إن الرجل معروف بمصر بين مثقفيها ومتتوريها من أعلام الرأي وجهابذة البيان وندر أن يشهر اسمه في محافل بلاده ومنتدياتها الفكرية وإن ذاع وسطها آونة، فسينبهم بالنسبة لاهتماماته الثقافية وإدلائه بدلوه في كل مخاضة، عنوان تخصصه الأصلي بين الأدب العربي وعلم التاريخ إلى أن شخص في أعوام ستينات القرن الماضي متحدثاً باسم ديوان رئاسة الجمهورية العراقية أيام ولاية الرئيس عبد الرحمن عارف، فقد تبوأ يومها وظيفه مرموقة بين مهمات المتصدرين والمبرزين فيها من الساسة ورجال العسكر، وقد يكون الثاني بعد صنوه عبد الرزاق محيي الدين من يولي الثقافة بعناية ويهيم بالتاريخ والأدب، إذ لفت نظري آنذاك إمتلاء الأكشاك ومكتبات الشارع العديدة والمنتشرة في أطراف بغداد،

بطبعة أنيقة لنص قصيدة (الشنفرى الأزدي) المعروفة بـ (لامية العرب) محققة تحقيقاً جيداً.

بعد هذا المقبوس الطويل نسبياً من دراسة الأستاذ العبيدي، بودي أن أقول: إن الدكتور محمد بديع شريف (العاني) لم يكن متحدثاً باسم ديوان رئاسة الجمهورية العراقية بل كان رئيساً لديوان رئاسة الفريق عبد الرحمن عارف، وما زالت صورته ماثلة في ذهني رجل إلى القصر أقرب وإلى النخافة أميل، على عينيه نظارة طبية بيضاء، ملامحه تدل على دماثة خلق وعلم، ويوم كنت موظفاً في مستودع نبط ناحية العزيز جنوبي لواء العمارة يوم كان العراق ألوية قبل صدور قانون المحافظات عام ١٩٦٩ أطلعت في مكتبها الفنية بالكتب والمجلات والجرائد اليومية، تأتي من بغداد والموصل والبصرة، وهي إحدى منجزات المتصرف المصلح والمثقف الأستاذ شاكر السامرائي، الذي آل على نفسه إنشاء مكتبة في كل قضاء وناحية من أقضية ونواحي لواء العمارة، فضلاً على المكتبة المركزية في مركز اللواء، مدينة العمارة وكانت تقع على يمين الشارع المؤدي من جسر المدينة في الجانب الشرقي من نهر دجلة، أقول أطلعت على كتابه الموسوم (في مهبط الوحي) والعنوان يدل على محتويات الكتاب، وقد غادر الدكتور محمد بديع شريف (العاني) العراق، بعد الإطاحة بالرئيس الأسبق عبد الرحمن عارف في ١٧ / من تموز / ١٩٦٨ ونزل في القاهرة، ولا غرو أن كان معروفاً فيها، مجهولاً في بلاده، شأنه شأن العلامة والفيلسوف العراقي الكبير الدكتور محسن مهدي، الذي توفي

أواخر شهر أيلول من عام ٢٠٠٧ والأساتذ في جامعة هارفارد الأمريكية الرصينة، وقد رأيت في قاعة الجامعة المستنصرية يوم الجمعة ١٩٧٥/١٠/٣١ لدى حضوري الحلقة الدراسية الثانية، التي أقيمت بمناسبة الاحتفال بذكرى أبي نصر محمد بن محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ المعروف بالفارابي، وشارك فيها الباحث العراقي الرصين الدكتور محسن مهدي إلى جانب تسعة محاضرين من العراقيين والعرب والمستشرقين، وفي تلك الحلقة الدراسية تعرفت أول مرة على الترجمة الفورية، إذ زدنا بسامعات نضعها على الأذن ويقوم رجيل مختص بترجمة البحوث والدراسات إلى المشاركين فوراً، وقد حضر تلك الحلقة الشاعر الوزير شفيق الكمالي وأستاذي علي جواد الطاهر وعناد غزوان- رحمهم الله -.

الدكتور محسن مهدي الذي أمضى جل حياته دارساً في الولايات المتحدة الأمريكية ومنذ عام ١٩٦٩ تحتفي به جامعة القاهرة بالذكرى المئوية لتأسيسها عام ٢٠٠٩ والعراق لا يذكره بل ذكره مرة واحدة عام ١٩٧٥ كما سبقت الإشارة.

وقد قرأت منذ سنوات (٢٠٠٥) للمسرحي الرائد يوسف العاني مقالاً في جريدة (الزمان) عن حفل مسرحي أقاموه في القاهرة، وجلب انتباهه شخص يقتعد كرسيّاً متحركاً ولشد ما كانت دهشته أن كان الدكتور محمد بديع شريف هو من يقتعد هذا الكرسي، دفعه حبه للفن وللعراق لحضور هذا الحفل الفني المسرحي العراقي، وكان لقاء مؤثراً بين العانيين يوسف ومحمد

بديع شريف.

وكان شريف شقيقاً لطبيب العيون، وهو المعروف لدى العرب بـ (الكحال) الدكتور لواء الشرطة مصطفى شريف العاني، الذي شغل في الستينات وظيفة رئيس طبابة الشرطة وكانت عيادته التي كانت مثابة للناس وأمناً تقع قرب بناية البنك المركزي حالياً (سينما الحمراء) في الخمسينات قبل احتراقها فكان يداوي من لا يملك ثمن الفحص والكشف وربما أعطاه الدواء، فضلاً على جعل داره مثابة للقادمين من خارج بغداد، يضيفهم ويداويهم ويعطيهم الدواء مجاناً، فليطلع أطباء هذا الزمان، الذين يجرون العمليات لمن لا يحتاجها وأصبح لهم دلالون في الكراجات والشوارع، لا بل أن أحدهم وكانت تربطنا به علاقة صداقة في الستينات بالكرخ يوم كان طالباً في الكلية الطبية وأصبح لواء طبيباً الدكتور (ط.ع) أجرى لشقيقتي عملية فتح الرأس على الرغم من معارضي لكن بموافقة زوجها وأبنائها ونهب منهم أكثر من مليون دينار، ثم أشار عليهم بتكرار عملية فتح الرأس فقتلها، مع ذلك يشكوا البعض من العرف العشائري وتدخله في عمل الطبيب فلو كان الطبيب - غالباً - يحترم نفسه وعلمه وشرفه لما طولب بالفصل العشائري الذي أمقته أنا وأرفضه فالأمر يجب أن يؤول للقانون.

ومن ذكرياتي عن المرحوم طبيب العيون مصطفى شريف العاني إنه كان يقدم برنامجاً عند الساعة الثالثة من عصر كل يوم جمعة من إذاعة بغداد في سنوات النصف الثاني من عقد الستينات عنوانه (الإنسان.. ذلك الكائن العجيب) يتحدث عن عظمة الخالق علمياً

بصوته الجميل الخفيض، كما أنه أنجز كتاب (الكحالة عند العرب) لكن الدكتور ع. البكري نشره ونسبه لنفسه، وكانت هذه الحادثة تؤذيه نفسياً وإنه كان يرياً بنفسه عن أن يجادل وينازع.

وكان قد وطن نفسه على إنجاز تفسير علمي للقرآن الكريم ورجا صديقي المثقف كريم مسلم حمود مساعدته لكن ها هي الأيام ومشاعلها تأخذه عن أن ينفذ هذا المشروع الجاد.

وفي يوم من الأيام في العقد العاشر من القرن العشرين وكنت راجلاً متوجهاً إلى مبنى جريدة (العراق) إيصال ما أكتبه إليهم، وأنا أتمشى في تلك الشوارع الأنيقة النظيفة الهادئة والحدائق الغناء، وإذا بي أمام لافتة صغيرة تشير إلى منزل طبيب العيون مصطفى شريف العاني، فوقفت متملياً برهة متعجباً من هذه المصادفة واستعدت ذكرياتي عنه ثم يممت وجهي نحو مبنى جريدة (العراق).

هذه بعض الذكريات آثرت تدوينها عسى أن تكون فيها بعض الفائدة وشكراً لصديقي الباحث مهدي شاكر العبيدي الذي كانت دراسته أنفة الذكر محفزة لكتابة ما علق بالذاكرة.

نشرت في ملحق (ألف باء) جريدة الزمان طبعة لندن

الثلاثاء ٢٤ / من شوال / ١٤٣١ - ٢٠ / ٩ / ٢٠١١ - العدد ٤٠٢٧

رأي الشاعر محمد حسين آل ياسين في مقتلة المتنبّي

هاتفني صديقي صباح العبيدي، ليخبرني بأن فضائية الشرقية تبث برنامجاً خاصاً عن الشاعر السيد مصطفى جمال الدين، ولعل قلة من القراء أو الباحثين مع يعرف أن الشاعر مصطفى حائز على الدكتوراه برسالته النحوية (البحث النحوي عند الأصوليين) إذ لا يذكرها سابقاً أسمه، فهو يزهو بنعت الشاعر، وقلة من الشعراء الأفاضل، كما لم يدونها المفكر الشاهق إدوارد سعيد، أو الشاعر الأنيق أدونيس، علي أحمد سعيد، وإذ إستمتعت بهذا البرنامج الجديد الذي قدم لنا مثابات مهمة من حياة مصطفى جمال الدين وإبداعاته، مرصعاً إياها بشهادات ووقفات ثرة قدمها الباحث حسن العلوي، وعلي عقلة عرسان رئيس اتحاد الأدباء العرب، وقد ترك الزمن آثاره على وجهه، إذ التقيت به آخر مرة، مساء الأحد ٢٠٠١/١/٢٨ لدى حضوره وقائع الجلسة الختامية لمهرجان الشعر العربي الثاني والعشرين المقام لمناسبة عقد مؤتمر الأدباء والكتاب العرب، على أروقة فندق بابل في منطقة الكرادة الشرقية ببغداد، فضلاً عن نجله السيد حسن، ودمعة حري تطوف في مآقي حسن العلوي، كادت تستدر الدمعة مني، أقول: ما أن متغنا بهذا البرنامج الثقافى الجميل، حتى أستمتعت بالحلقة الثانية من برنامج (أطراف الحديث) الحوارى الذى يعده ويقدمه المحاور مجيد السامرائى، مع علم من أعلام الشعر والبحث في العراق، هو

الدكتور محمد حسين آل ياسين، وإذ شاهدت الحلقة الأولى منه في الأسبوع الفائت، ولم أخط بالمشاهدة يوم أذيع أول مرة في العام ٢٠١٠، فإن المكالمات الهاتفية من صديق جعلتني أحظى بمتعة المشاهدة وفائدتها، ولقد عجبت لهذه الذاكرة الصاحية التي تسعفه في التذكر، وقراءة نصوص الشعر، سواء له أم لغيره من كبار الشعراء، لاسيما فرائد المتنبى العظيم الذي شغف به الشاعر آل ياسين حباً، وجعل أصدقاءه يكتفون بكنية المتنبى (أبو الطيب) وكذلك شغفه بشاعرية الجواهري الكبير شاعر العراق والعرب الأكبر، وأعجابه بشاعرية آل ياسين وتبشيره بها منذ بواكيره ذاكراً الرسالة التي كتبها أبو فرات عملاق شعرنا العربي من براغ مؤرخة في ١٩٨٣/١/٣، وفيها مبايعة الجواهري لآل ياسين... لمن يخلفه في دوحة الشعراء، حاملاً رايته وبنده.

محمد حسين آل ياسين الذي حياه الله بهذه الذاكرة الوقادة، كان يقرأ على مسامعنا نصوصاً من هذه الرسالة، الشهادة الجواهريّة- وما أدراك ما شهادة الجواهري- وكنت أتابع ما يقرأ من الحافظة، مقارناً إياها بالرسالة الجواهريّة المكتوبة، المعروضة على الشاشة، شاشة التلفاز كان كمن يقرأ في الرسالة المكتوبة ذاتها أو منها.

رأي الشاعر المحلق محمد حسين آل ياسين في أسباب، أو سبب مقتل المتنبى، رأي جدير بالمدارسة والمناقشة، فأنا مع عدم قناعتي بالرواية الوحيدة التي تشير إلى مقتل المتنبى، أثناء عودته من لقائه بالصاحب بن عباد، وخروج فاتك الأسدي ومجموعة من ذويه

المقاتلين للثأر منه بسبب هجوه إياهم وتذكير خادمه إياه بيته
الشهير:

الخيـل والليل والبيداء تعرفني

والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فكيف تهرب؟ فقال له المتنبي: قتلتني يا هذا ، فعاد للقتال
والمصاولة حتى قتل.

وتاريخ أدبنا زاخر بالروايات المتهافتة التي لا تكاد تقف على
قدميها لضعفها ، ومنها هجاء الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد
لعمر بن هند بن ماء السماء ، وبعد وقت ذهباً ليسترضيها ،
والاعتذار منه ، هو طرفة وصديقه عبد المسيح بن جرير المعروف بـ
(المتلمس) ومدحاه ، وبدل أن يكرمهما ، أعطى لكل منهما كتاباً
إلى عامله على البحرين لمكافأتهما ، مع أن الكتابين يحملان أمراً
بالقتل ، قتلهما في الطريق يعرض المتلمس كتابه على فتى قارئ
فيفهمه فحوى الكتاب فينجو ، لكن طرفة وقد أخبره المتلمس
بفحوى الكتاب ، يركب رأسه فيذهب إلى البحرين مسلماً كتابه
مؤملاً نفسه بأعطيات الوالي فيقتله ، فتصح فيه نبؤة المتلمس وقد
قال له (ويل هذا من هذا) أي ويل هذا وقد أشار إلى رأسه ، من هذا
وقد أشار إلى لسانه ، أي ويل رأسك من لسانك ، أي أن من يطيح
برأسك هو لسانك.

أو قصة المعري مع جاره الفارسي ، الذي يذهب لشأن ما فيأتيه
صديقه يسأل عنه ويخبره بخبره ، وإذ عاد الفارسي روى له المعري

ما قال له زائرُه وكان فارسياً هو الآخر وإذ بالجار يبكي ويلطم،
وإذ يبهت المعري يسأله ما الخبر ليقول له إن هذا الرجل نعى إليه
أمه! أو الشجرة التي شجت رأسه وهو في طريقه إلى بغداد سنة
٣٩٩هـ حتى إذا عاد منها لستة بقين من شهر رمضان المبارك سنة
٤٠١هـ، ومر وهو الأعمى بالشجرة ذاتها فخفض رأسه خشية أن
تشجه ثانية، أو هذا الشاعر البدوي على بن الجهم يدخل على
المتوكل العباسي فيمدحه، واصفاً إياه بالكلب وفاء وباللدلو
كرماً، وغيرها من مرويات بحاجة إلى مدارس ومناقشة وحتى
قصة ابن زريق البغدادي، والناس تصفه بالفقر والصلعكة وما أراه
إلا أميراً عباسياً أو رجلاً ذا شأن مما فصلته في دراستي (واحدة ابن
زريق هل هي حقاً له؟ نثبات وثناء أمير. تراجع جريدة الزمان العدد
٣٥٤٤ - الخميس ٢٠١٠/٣/١٨).

إذن رأي الشاعر المحلق محمد حسين آل ياسين، في أسباب
مقتلة المتنبي عازياً إليها وناسباً إلى الصاحب بن عباد فهو بعد
منصرفه من مصر كافور هاجياً إياه ذهب إلى بلاد فارس، ومدح
عضد الدولة بن بويه، وكذلك مدح ابن العميد، لكنه لم يمدح
الصاحب بن عباد، مع أن هناك من أطلق اسمه على كتابه تملقاً
فاللغوي الضليع أحمد بن فارس (٣٢٩ - ٣٩٠ - ٣٩٥) كتب
كتاباً أسماه (الصاحب في فقه اللغة) لكن المتنبي الجبل الشامخ
يربأ بنفسه عن أن يمدحه، آل ياسين الباحث الرصين يعلل ذلك
تعليلاً مقنعاً، أن المتنبي لا يمدح من يطلب هذا المدح ويتطلبه، بل
يرغب في إطلاق مدائحه حيث يشاء وحين يشاء، وأنى شاء، وأنى

هنا ظرف زمان وظرف مكان، أي متى وحين وحيث يشاء، لذا أضمّرها في نفسه الصاحب بن عباد- وللأندلس صاحبها بن عبادها وهذا من غرائب المصادفات، أن يحمل شخصان اسماً واحداً مع فارق الأوطان والأزمان- فدرس له في طريقه من يقتله، لا كما اكتظت مراجع الكتب ومصادرهما بهذه الرواية المتهاففة، أي مهاجمة فاتك بن الجهل الأسدي في ثلة من أصحابه لركب المتنبّي الآيب من بلاد فارس حيث الصاحب بن عباد فيقتل قرب النعمانية، يوم الأربعاء لست بقين- وقيل لثلاث بقين وقيل لليلتين بقيتا من شهر رمضان المبارك سنة ٣٥٤هـ.

حلقة ممتعة ومفيدة من هذا البرنامج الثقافى الحوارى الجميل تضاف إلى رصيد مجيد السامرائى الأكثر ثرارة وإمتاعاً وإفادة، وهو يجوس خلال حيوات العديد من كبار مبدعى العراق ومنجزهم، من أجل تبصير الناس بإنجازاتهم وتجاربهم وذكرياتهم، ومن أجل أن يمكث ما ينفع الناس في الأرض.

الخميس ١١ / من صفر / ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢/١/٥

العدد ٤٠٨٩

الراديكاليون والرسميون أخصوا المثقف وأقصوه

منذ أن أحرق العربي التونسي الشهم محمد أبو عزيزي نفسه منتصف كانون الأول من ٢٠١٠ احتجاجاً على صفقة موظف بطير كسول والنار التي اشتعلت في جسده، ما تني تواصل اشتعالاً في جسد النظام العربي فائق الدكتاتورية لتطيح برؤوس وهامات، وهناك رؤوس سوف يطاح بها وتتدحرج تحت غضب الناس الجائعة والمعذبة هذه الانتفاضة في الجسد العربي ضد ظلم الظالمين، فتقت شهية البعض من المثقفين والكتاب، لتسفيه دور المثقف كونه قد تخلص عن دوره الريادي في قيادة المجتمع، إلى الشباب، شباب الجامعات غير المؤدلج في زمن سقوط الأيدلوجيات، وشباب الهاتف النقال وفيس بوك، حتى أن مفكراً مهماً هو الدكتور علي حرب، قد سبق هؤلاء في الارتياح بهذا الموقف فهو مرتاب بالمشروع الليبرالي، والقومي والمشروع الماركسي وكذلك الإسلامي، منوهاً بفسلها في بلورة منهج يقود المجتمع العربي، كما أنني أقرأ من يحاول تقزيم دور المثقف وتحجيمه، ويرى أنه أخذ حجماً أكبر من حجمه الحقيقي، وإنه ما عاد صاحب المهمة الرسولية والدور النبوي النضالي، لأنه فقد مصداقيته كناطق باسم الحقيقة أو مدافع عن الحرية والعدالة والمساواة لا بل إن بعضهم يكتب أن الكتابة لا تعطي لصاحبها تميزاً، فهي مهنة كباقي المهن، ناسين الموهبة وإن المهنة يمكن التدريب عليها وتعلمها، ولكنك لا تستطيع أن تتعلم

مهنة الكتابة، لسبب بسيط خلوك من الموهبة وثالثة الأثايف وربما رابعتها جاء من يدعو إلى فكرة (موت المثقف) مسايراً في ذلك مقولة الناقد البنيوي رولاند بارت في (موت المؤلف) وليس هنا مجال شرح مقولة بارت.

كل هذا صدر عن مثقفين، وكتاب، فإذا كانت الكتابة معيبة بهذا الشكل فلماذا يصر هذا الرهط على مواصلة الكتابة وإصدار ملاحق خاصة في تسفيه دور المثقف وإنكار دوره في عملية التبشير والتتوير والتأثير؟ مع أنني لا أنكر أن هناك من المثقفين من أساء إلى مهمة المثقف أو مهنته، ووضعوا أنفسهم في خدمة المؤسسة الرسمية أو من يدفع أكثر بحثاً عن مَعْنَم سيتحول إلى مَعْرَم، متناسين قيمتهم وأقدارهم، وإن النظام الرسمي هو الذي يحتاج إليهم، وليسوا هم بحاجة إليه لو اعتصموا بشيء من كبح جماح الذات.

أرى إن الذي حطم الدور الريادي والقائد للمثقف العربي، هو صعود الراديكاليات العربية إلى واجهة السلطة منذ بدايات النصف الثاني من القرن العشرين، وتدخل العسكر في السياسة من خلال الخلايا السرية التي زرعت في جسد الجيوش العربية، وهي ما عرفت بـ (خلايا الضباط الأحرار) الذين وثبوا على السلطة تبعاً في مصر والعراق واليمن وليبيا والسودان وموريتانيا و.. و.. هؤلاء العساكر الذين لا يعرفون إلا إصدار الأوامر، وعلى جنودهم، شعبهم تنفيذ هذه الأوامر، فأطاحوا بكل تلك الحياة الديمقراطية والنيابية وحرية الصحافة وحرية تشكيل الأحزاب،

التي إن لم تدعها تعمل علناً وتحت ضوء الشمس، فستجد الدهاليز السرية المظلمة لتعمل فيها، ولتتحرق الزرع والضرع، كانت حرية الرأي مصادنة حتى أن بعضهم كتب عام ١٩٢٦، في مسألة الشعر الجاهلي، ما لم يقبل الآن، ثم كتب علي عبد الرازق في قضية مهمة عن الإسلام وأصول الحكم، نعم ما مرت تلك الآراء من دون زوابع وتوابع، لكن بقي الأمر داخل حدود القضاء ليعلن محمد نور رئيس نيابة مصر، حفظ الأوراق إدارياً في مسألة طه حسين والشعر الجاهلي وتبرئته، في حين حاكم الأزهر، علي عبد الرازق، من دون تدخل الغوغاء والرعاغ، وكتب الدكتور محمد حسين هيكل كتابه (حياة محمد) وأطلق أحمد لطفي السيد الملقب بأستاذ الجيل، الذي ترأس الجامعة، جامعة فؤاد الأول بالقاهرة الكثير من آرائه الصادمة، وهل ننسى دعوات سلامة موسى والدكتور عبد العزيز فهمي للكاتبة بالعامية، أو دعوات الشاعر اللبناني سعيد عقل للكاتبة بالمحكية اللبنانية، ودعوات الكثير من مثقفي لبنان لثقافة البحر المتوسط، والثقافة الفينيقية، وظل الدكتور علي الوردي يكتب ويؤلف دونما خوف أو وجل، حتى إذا صعد الراديكاليون، منعت كتبه وصمت الرجل.

إن إشارتي السريعة لهذه الآراء لا تعني الموافقة والمطابقة، فإننا لي رأبي الخاص بكل هذه الدعوات ليس هنا مجال بسطه، وقد بسطته في دراسات سابقة لكن إشارتي تعني ضرورة احترام الرأي والمخالفة وبأني سأقف مدافعاً عنك لإبداء رأيك وإن كنت مخالفاً له، واحترام نسبية الآراء وإن ما تقوله أنت صواب يحتمل الخطأ

وما أقوله أنا خطأ يحتمل الصواب، حصل هذا عندما كانت الحياة العربية تمضي بهدوء دونما قفزات غير محسوبة وفي الظلام وصعود موجات الكره والتعصب والتحزب والقوقعة وإذا لم تكن معي فأنت ضدي، وحتى إذا أصبحت معه يظل ينظر إليك نظرة الشاك المرتاب، كل هذا الخوف أنتج الأديب الخائف الوجل المخصي، فمنعت الكتب التي لا تتمدد على سرير بروكروستوس، وكل الزوائد يجب أن تشذب، وتقص، لا بل وصل الحال حتى سكوتك يحسب عليك فأن تسكت يعني إنك لا تسير في الخط العام، خط القطعان والقطيع، وإياك إن خرجت عن الطريق المرسوم، تكتب نفاقاً فتتهال عليك الأعطيات، وتكتب حقيقة فتجلب عليك وبالأوفقراً وفاقة حتى أصبحت أضحوكة الأبناء والأحفاد لأنك عشت خالي الوفاض إلا من احترام نفسك وقلمك وعدم بيعه في سوق النخاسة.

إزاء هذا الواقع المأساوي الذي أخرج الألسنة، وجد المثقف وخاصة في دول الراديكاليات الثورية نفسه، إزاء واقع مؤلم، فإما أن تبيع الذات والحقيقة وتتحول إلى طبل أجوف مسبح بحمد الحاكم الفرد، وإما أن تتحى جانباً، وتضيع عليك فرص أن تكتب وتحقق ذاتيتك وتخدم الناس وأن تلزم الصمت الذي يعني الموت في الحياة، أو أن تهاجر، لتكتب ما تريد، وما كل الناس بمستطيعين الهجرة، أن توفرت وإن لم تتوفر فذلك أدهى وأمرّ.

وبعد كل الذي حصل، وبعد كل هذا الدور الصوي في الزاهد المعتكف المتبتل للمثقف والكاتب يأتيك من يسفه دوره ويسخفه.

ومن حقهم أن يقولوا ما قالوه لو عاشوا الأجواء التي عاشها المثقف في دول الراديكاليات وإنه لمن القفز على حقائق الحياة، أن تستعير مناهج أوروبا والغرب لتطبيقها على هذه الدول، وإن تطلب منه ما يقوم به الأوروبيون والغربيون المزهون بالحرية واحترام الرأي ولا فرق عندهم بين إنسان القاع، ورأس الدولة، ألم يطلبوا من رئيس دولتهم ريتشارد نيكسون الاستقالة وأقاله مجلس النواب صيف عام ١٩٧٤ لسبب بسيط، يفعله الراديكاليون وأشنع منه مئات المرات دون أن يطرف لهم جفن، أو يجرؤ شخص أن يقول لهم إن على جفئك حاجباً؟ ألم يقدموا الرئيس الفرنسي جاك شيراك إلى المحاكمة لسبب بسيط آخر، اقتترف مثله راديكالي عربي آلاف المرات، دون أن يراجع نفسه، مجرد مراجعة لأن هناك بطانة تزين له الشر؟!

المثقف الكاتب الذي يطلب منه البعض دوراً ريادياً في عمليات التغيير التي حصلت في الوطن العربي، ناعين عليه عدم القيام بهذا الدور الرسالي، إنما كان مخصياً خائفاً، يلحق جراحاته منشغلاً بتوفير لقمة خبز له ولعِياله يطارده المخبر السري والرقيب الثقافي الذي يحجب كتاباً لك فيه كلمة قد لا تسر الأخ الأكبر أو ببساطة لعلها لا ترضيه، مثقف تحصى عليه حركاته وسكناته، كيف تريدون منه أن يكتب؟ ألم يمنع نزار قباني من دخول مصر لأنه كتب قصيدته المدوية (هوامش على دفتر النكسة) بعد كارثة عام ١٩٦٧؟ لقد منعه الملكيون أكثر من الملك، حتى إذا رفع ظلامته إلى عبد الناصر سمح له بذلك!!

الكتابة تزدهر في أجواء الحرية، لذا تؤدي دورها، وحين يجد الكاتب من يقرأه ويتعاطف معه ويدافع عنه، أنسى المحاكمات التي أجراها الفيلسوف البريطاني الراحل (١٨٧١ - ١٩٧٠) برتراند رسل للحرب في فيتنام؟ أنسى التظاهرات التي قادها الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر (١٩٠٥ - ١٩٨٠) ضد حرب بلاده في الجزائر؟ ومن قيادته التظاهرات ضد الرئيس الفرنسي شارل ديغول باني فرنسا الحديثة في شهر مايس من عام ١٩٦٨ وهو ما عرف ب (ربيع باريس) ومن ثم أجبرته التظاهرات على التحي ومغادرة الحياة السياسية الفرنسية وموته في الريف بهدوء خريف عام ١٩٧٠

يكون للمثقف دور مؤثر في أجواء الحرية، فمن أين تطلب للمثقف العربي دوراً في زمان الإخصاء الراديكالي، الذي جلبته علينا سلسلة الانقلابات العسكرية وأحالت حياتنا حطاماً؟!

نشرت في ضمن كتاب عنوانه

(التغيير - مفكرون ومبدعون - شهادات في الربيع العربي)

طبع في لندن سنة ٢٠١٣ وهو من منشورات جريدة الزمان

باكية على ترف الماضي الجميل

محلة الشواكة تغازل دجلة بسحر شناشيلها

محلة حاملة على ضفاف دجلة، يفوح منها عبق الماضي التليد، وتطوف حولها النوارس، تتوسد الضفاف، معانقة أمواج النهر منذ قرون عدة، ومازالت منازلها العتيقة ذات الشناشيل عامرة بأهلها. من محلات كرخ بغداد العريقة والقديمة، وتقع في الجانب الغربي من بغداد، مطلة على نهر دجلة الخالد، وتحدها شمالاً (محلة باب السيف)، وتقع على جنوبها محلة (الكريمات)، أي إن هذه المحلات البغدادية القديمة الثلاث، تقع في المنطقة الواقعة بين جسري المأمون القديم الذي سمي في العصر الجمهوري (جسر الشهداء)، وجسر الملك فيصل الثاني الذي سمي لاحقاً باسم (جسر الأحرار) في العهد الجمهوري أيضاً.

اشتهرت ببيع الشوك

اختلفت الروايات في سبب تسمية محلة الشواكة بهذا الاسم، لكن أكثر الآراء رجاحة وقبولاً، أن تسميتها جاءت من أن ساكنيها يمتنون مهنة بيع الشوك الذي كان يأتيهم من منطقة كراة مريم، ولا يخفى على الدارسين ان استخدام الشوك كان الوسيلة الأساسية في التدفئة والطبخ، إلى جانب الخشب والفحم، قبل اكتشاف النفط.

لقد سكنت هذه المنطقة اسر تمتن مهنا عدة، وكان يغلب عليهم العمل النهري، سواء في صيد السمك أم نقل الناس بين

جانبي النهر، يوم لم توجد جسور في بغداد، إذ لا يخفى على الدارسين ان أول جسر عائم أنشئ على دجلة، قريبا من موضع جسر الشهداء الحالي أنشئ أواخر العهد العثماني، ولعلها سنة ١٩١٠، وكان عمي المرحوم صبري سعودي خليل إبراهيم (قنطرجي)، أي متعهد عليه من قبل الحكومة العثمانية إلى جانب المرحوم الياس شعوبي حيث كانا يجبيان ضريبة عبور الجسر، وحتى بعد إنشاء الجسور ظل الناس ينتقلون من جانب إلى آخر، بواسطةها.

أسر المحلة

سكنها عدد من الأسر الموسرة مثل أسرة الشاهين، وكان من أعيانها المرحوم أبو مضر الحاج علي الشاهين، فضلا على أسرة المولى، وقد أنجبت هذه الأسرة ثلاثة أشقاء هم : الوجيه صاحب الخان في منطقة الجعيفر المرحوم أبو صاحب أحمد المولى، فضلا عن شقيقه العميد حميد المولى وهو أحد ثوار تموز من عام ١٩٥٨ وأعتقل في شهر شباط من عام ١٩٦٣، ومات في تسعينات القرن المنصرم في مغتربه بالسويد، فضلا عن محمود المولى الذي كان أستاذا للتربية الرياضية في كلية الحقوق، وتولى رئاسة اتحاد الملاكمة في حينها وثلاثتهم رحلوا إلى رحمة الله، كذلك سكنتها أسرة الوتار ومنهم الوجيهان داود وسلمان الوتار اللذان كانا يمتهنان تجارة الجلود، وقد دأب أبو فؤاد داود الوتار على إقامة مجلس العزاء الحسيني، في داره العامرة المطلة على نهر

دجلة، طوال أيام شهر الصيام الفضيل، وكان من أشهر قراء المجلس أيامذاك، الشيخ كاظم الذي كان معروفاً بحرصه على ان يسود الهدوء مجلسه وكان يغادر المجلس اذا سمع صوت حديث لحضار مجلسه، وكان يتولى المرحوم (دعبول البلام) سقاية الحضار الماء، وكان (دعبول) الشخصية الكرخية الفكهة صديق الباشا رئيس وزراء العراق الأسبق نوري السعيد، يمتع عن شرب الخمر طوال أيام الشهر الفضيل فضلا عن أيام عاشوراء.

شخصية دعبول البلام

و(دعبول البلام)، أصبح شخصية معروفة في بغداد والعالم العربي حيث جسد الفنان الراحل يوسف العاني حياته بمسرحية (الشرعية)، وكان صديقاً للمرحوم أبي ولي كذلك، التي كان لها صدى واسع حين عرضت على المسرح بداية السبعينات من القرن المنصرم، كما تناولته روائيا الكاتبة عراقية المولد بريطانية الأصل (أمل بورتر) ابنة الضابط البريطاني (بورتر) أيام الاحتلال البريطاني للعراق سنة ١٩١٧ والذي أحب العراق وتزوج من عراقية، وعاش فيه حتى مات. ولقد توفى (دعبول البلام) في خريف عام ١٩٧١.

وجهاء المنطقة

وكان من وجهاء محلة الشواكة كذلك أسرة الدرة وقد برز منها العقيد عبد الباقي كاظم الذي كان أول مدير لشرطة بغداد في العهد الجمهوري، وكان من أبنائها الأفاضل أنجال الوجيه جعفر الأوقاتي، كل من الزعيم (العميد) الطيار الركن المرحوم جلال الأوقاتي، الذي تولى قيادة القوة الجوية في العهد الجمهوري، واغتيل في صبيحة الثامن من شباط من عام ١٩٦٣، وهو يهيم بمغادرة داره متوجها إلى مقر عمله في وزارة الدفاع، فضلا على أحمد الأوقاتي المحامي وشقيقه الطبيب أنور الأوقاتي الذي تولى إدارة المستشفى الجمهوري ببغداد، والصيدلي الأوقاتي وكانت صيدليته شاخصة في ساحة الرصايف إلى وقت قريب والذي أمضى فيها عقودا من الزمن.

أبطال رياضة السباحة

ومن الأسر المعروفة في محلة الشواكة، أسرة المختار وعميدها الحاج محمد علي الملقب جابر بن حاج كاظم بن سهيل، كما دون هو- رحمه الله- على نسخة قديمة من كتاب (الفية ابن مالك) تعود لبداية القرن العشرين وآلت إلي وكتب نحو أخرى بعد وفاته شتاء سنة ١٩٧٢، وكان من أحفاده أبطال رياضة سباحة المسافات الطويلة الفقيهان جعفر محمد صالح الرياضي الشامل إذ كان لاعبا ماهرا في الكرة الطائرة وكرة السلة والساحة والميدان وشقيقه صادق البطل العراقي في سباحة المسافات الطويلة التي

كانت تبدأ من ناحية الراشدية شمالي بغداد وصولاً إلى جسر الملكة عالية (الجمهورية) في الباب الشرقي.

ما دمنا نتحدث عن الرياضة، فلا بد من الوقوف عند رئيس اتحاد كرة السلة الأسبق الفقيه علي الصفار، مدرس الرياضة في العديد من مدارس (إعداديات وثانويات) بغداد وكان مدرساً للرياضة في متوسطة فيصل الرسمية نهايات العقد الخمسيني من القرن العشرين، الذي غادر الحياة صيف عام ٢٠١٢، فضلاً على رسمي عبد الحسين بطل العراق في سباق سباحة المسافات الطويلة عام ١٩٥٨ والحائز على المرتبة الثانية عالمياً في سباق (كابري - نابولي) بإيطاليا سنة ١٩٥٩، ويعد هذا السباق من أشهر السباقات في رياضة سباحة المسافات الطويلة عالمياً.

الطب والسياسة

إلى جانب سباق (صيدا - بيروت) الذي فاز به السباح العراقي المعروف القاضي علاء الدين النواب، ومن الأسر المعروفة في المنطقة أسرة آل سعودي وأولاده صبري ورزوقي القبطان وكاظم ومن أبنائه الدكتور ناظم كاظم سعودي اختصاصي طب وجراحة الأنف والأذن والحنجرة والحائز على شهادة (الأف ار سي أس) من جامعة لندن، وأخيراً لأبد من الحديث عن أسرة الدفتري، التي انتقلت إلى السكن في هذه المحلة في ثلاثينات القرن العشرين، قادمة من محلة الحيدر الخانة، أسرة الوجيه محمود صبحي الدفتري الذي اقترن بالسيدة (صبيحة) شقيقة المرحوم الأستاذ

كامل رفعة الجادرجي مؤسس الحزب الوطني الديمقراطي وزعيمه حتى وفاته يوم الخميس الأول من شباط ١٩٦٨ ، أقول انتقلت للسكن في محلة الشواكة وابتنت لها دارا فارهة مطلة على نهر دجلة الخالد ورحم الله تلك الأيام الخوالد.

سوقها المترف

وقد امتازت محلة الشواكة بسوقها الخاص بالخضار واللحوم، والذي كان يعد من أكبر الأسواق في الجانب الغربي من بغداد وقد عرف فيه عدد من القصابين مثل: القصاب (سلوم) الذي اغتيل في خريف ١٩٦٢ فضلا عن القصاب(عصفور).

فضلا عن أنجال الشخصية السياسية المرحوم (عباس الترف)، وكبيرهم السيد فياض (صديق المرحوم أبي وصديقي) وكلف وروسي ورشودي (رشيد) وقد عرف السوق بالشخصيتين الفكهتين، الحاج عبد الأمير شقيق مختار محلة الشواكة محمد علي وعبود المعروف ب(عبوكي) الذي كان يبيع جبن العرب وكان متوترا دائما، ولعل ذلك ناتج عن كونه عاش أعزب ولم يتزوج، فضلا عن الحاج مهدي السمين الذي لم يعقب خلفا بعده.

والسوق يمتد من رأس محلة الشواكة مروراً بمحلة باب السيف وانتهاء بمحلة الباغي، وعرفت المحلة بأشهر مطعمين للكباب بالكرخ هما (مطعم كباب الحاج مهدي ومطعم كباب الحاج قاسم) وقد اندثرا عام ١٩٨١ بسبب شق شارع حيفا وبناء العمارات السكنية فيه.

القيادة الدينية في المنطقة

تولت التوجيه الديني في محلة الشواكة أسرة السيد جواد الغريفي، المتوفى شتاء ١٩٧٤ رحمه الله ومنذ نحو قرن من الزمان، وبعد وفاة السيد جواد - غفر الله له- تولى التوجيه الديني نجله السيد عبد العزيز الذي توفى في صيف عام ١٩٩١- رحمه الله- ومر بأزمة خانقة في العهد السابق كادت تؤدي بحياته بسبب توجهاته الدينية، وتولى الإمامة بعده فيها شقيقه السيد كمال الدين الغريفي الذي انتقل أواخر التسعينات الماضيات للتوجيه الديني في حسينية محلة الدوريين بالكرخ، إلا ان الإرهاب تمكن من قطف روحه الطاهرة سنة ٢٠٠٦ أثناء اشتداد العصف الطائفي وقتذاك، لتؤول القيادة الدينية في محلة الشواكة إلى نجله السيد احمد بن السيد كمال الدين بن السيد جواد الغريفي.

شقاوات أيام زمان

كان من ابرز شقاوات المنطقة المرحوم عباس بن شكر الذي كان شخصاً مهذباً طيباً مدافعاً عن أبناء المنطقة وقتله غيلة المدعو عبد الرحمن ابو عوف في الثامن من شباط ١٩٦٨ لتصفية حساب معه بداعي الانتقام إذ كان عباس رحمه الله قد امسك بـ(أبو عوف) يوماً من أيام عام ١٩٦٣ الذي كان مترصداً لقتل عباس في سوق الشواكة إلا أن عباساً لجسارته وجراته المعهودة تمكن منه وانتزع مسدس ابو عوف من يديه وسلمه إلى مركز الشرطة ومن شقاوات المنطقة أيضاً المرحوم سيد كاظم الذي رد اعتداء عدد من

شقاوات المناطق الأخرى الذين هاجموا بينما كان جالسا في مقهى
سيد محمد في الشارع العام وتمكن من قتل احدهم وجرح الباقين
وسجن اثر ذلك خمس عشرة سنة.
هذا جزء من تأريخ المحلة الكرخية، وما علق في الذاكرة،
رحم الله الجميع ورحمنا

نشرت في جريدة (المدى)

الخميس ٢/ من شهر رمضان المبارك، ١٤٣٤ - ٢٠١٣/٧/١٠

العدد ٢٨٤١

مناقشة مع الدكتور مصطفى علي الجوزو تعريب المصطلح ضار والسوق يعني الاستراتيج

أحاول - ما أمكن - اقتناء مجلة (العربي) هدية دولة الكويت إلى القراء في الوطن العربي، وما زلتُ احتفظ بأعداد كثيرة منها، ترقى إلى سنوات العقد الستيني من القرن العشرين، إذ دأب أبي - رحمه الله - على اقتنائها شهريا، وواصلت النهج - بعد رحيله رحمه الله - ومن اجل الحفاظ عليها، كنت اذهب بأعداد كل سنة، إلى مجلد الكتب في شارع المتنبي ببغداد، واجعلها في مجلدين اثنين لسهولة المطالعة فيها والرجوع إليها، أقول هذا للبرهنة على أنني واكبتها منذ أعدادها الأولى، وفي عهد رؤساء تحريرها على التعاقب الدكاترة احمد زكي والأستاذ احمد بهاء الدين، ومحمد الرميحي وسليمان إبراهيم العسكري ولأنني اعمل في مجال التصحيح اللغوي، في مؤسسات ثقافية، وجرائد، ولان موضوع اللغة في ضمن اهتماماتي، فقد تابعت ما يكتبه اللغوي الضليح، الدكتور مصطفى علي الجوزو، في زاويته اللغة حياة ولأنني باحث في أفكار المفكر العربي الراحل الدكتور إدوارد سعيد، ودارس لها، ولأنني وجدت في العدد ملفا عنه، فقد اقتنيت عدد شهر رجب المرجب / ١٤٣٤ هـ الموافق لشهر حزيران يونيو ٢٠١٣، لأطالع أولاً ملف إدوارد سعيد مع أن ذكره التي تمر علينا هي العاشرة، إذ توفي في احد مشا في نيويورك يوم الخميس ٢٥ من أيلول / ٢٠٠٣، وليست التاسعة كما ورد في العنوان اعلى العدد!

وثاني الموضوعات التي قرأتها حديث اللغوي المتمكن الدكتور مصطفى علي الجوزو، الموسوم بـ (التعريب الضار) وفيه يتحدث الدكتور الجوزو، وما زال في الذاكرة حديثه عن مصطلح (العشرينات أو العشرينيات) وما يأتي على هذا المنوال، وهذه مسألة إشكالية لغوية إذ أنى كنت أميل إلى رأي المجمع اللغوي الأردني، وقد قرأت في مجلته منذ سنوات بحثا يرجح مصطلح العشرينات، وما على منوالها. على صيغة العشرينيات لكني وجدت الدكتور الجوزو، بعد أن عرض كل وجهات النظر والآراء اللغوية في هذا الباب، لا يكاد يميل إلى رأي محدد، ولقد عرضت دراسته على أكثر من زميل في قسم التصحيح اللغوي الذي كنا نعمل فيه، جريدة الزمان طبعة العراق، فكان رأيهم قريبا إلى رأيي من أن الدكتور الجوزو، لا يُرجح أي الصيغتين. ورحم الله زميلنا حسين غايب الحديشي.

يتحدث الدكتور مصطفى علي الجوزو، عن مصطلحات تدخل لغتنا من غير استئذان، عن طريق وسائل الإعلام، من غير أن يكلف هؤلاء انفسهم بتعريبها أو شرحها، ولعل ذلك ناتج، عن قلة إلمامهم باللغة العربية، فيسوقون لنا المصطلح الأجنبي كما هو ومن ذلك مصطلح (الصواريخ الباليستية) التي تعني الصواريخ المقذوفة، لان الكلمة منسوبة إلى (Ballista أو Baliste) لاتينية الأصل، مأخوذة من اليونانية التي تدل على آلة حربية لقذف الحجارة الكبيرة أو السهام، فضلا عن (صواريخ كروز) ويعربها الدكتور

الجوزو إلى (الصواريخ النفاثة) لان صاروخ (Gruise) صاروخ يعتمدُ على محرك نفاث ثم يصل إلى مصطلح (لوجستي) الذي شاع في لغة الإعلام مؤخراً، ولاسيما في الأمور الحربية ومترقاتها، ويرى الجوزو ان اصل الكلمة يوناني بلفظ (Logistikos) ويدل على من يفكر منطقياً، ويشرح ترجمته إلى (التدبيرية) أو (التجهيزية) ولان المصطلح يستعمل في مجالات شتى، وخشية اللبس والإيهام يقترح إضافة صفة إلى المصطلح، فيكون تقديم دعم تجهيزي عسكري، أو صناعي، أو تجاري، أو ما أشبهه. وإذ يقرأ أن بعض المعاجم ودوائر المعارف تترجم مصطلح (اللوجستي) إلى (السوقي) فان الدكتور الجوزو، يقدم رأياً صادماً ومؤسفاً، يدل على عدم مواكبة للترجمات الحديثة وانقطاع عن الدراسات اللغوية الحديثة التي تقع في صلب اختصاصه. ومنها المصطلحات العسكرية، فيشرح مصطلح السوق بـ (لعلهم يعنون أنها تتعلق بالنقل على الدواب، أو الآلات الحديثة السيارة المسوقة).

جلية الأمر ان مصطلح السَوق أو السوقي من المصطلحات الحربية. غالباً. فضلاً على مناح أخرى، وتعني (الاستراتيج) وترجمة له، ويقابل ذلك مصطلح التعبوي أو التعبئة وهو ترجمة للمصطلح الإنكليزي (التكتيك)، وقد دأبت العسكرية العراقية، ومنذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة سنة ١٩٢١، على الأخذ بأهداب العلم والمعرفة، ومنها الترجمة، فأوكلت هذه المهمة إلى المترجم الضليع عبد المسيح جبروزير ١٨٨٩ - ٢٠ / من أيلول ١٩٤٣، فألف

المعجم العسكري العراقي في اثني عشر الف مصطلح، والذي تولى
تركة ثقيلة من المصطلحات الحربية العثمانية، فضلاً على جهود
الباحث الكبير اللواء الركن المتقاعد محمود شيت خطاب
(١٣٣٨ - ١٤١٩هـ) - (١٩١٩ - ١٩٩٨م) الذي اقترح توحيد
المصطلحات العسكرية للجيش العربية، وإذ وافقت الجامعة
العربية على ذلك، تولى رئاسة اللجنة، ليصدر عنها المعجم
العسكري الموحد وبالتعاون مع مجمع اللغة العربية بالقاهرة،
ليصدر المعجم الموحد هذا - كما يقول الأستاذ شكري محمود
نديم- في دراسة منشورة له ضاماً نحو ثمانين الف مصطلح
عسكري، وقد طبعته دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٧٠. إذن ف
(السوق) لا يعني النقل على الدواب بل ترجمة لكلمة (ستراتيج)
وتصرفاتها.

نشرت في جريدة (الزمان) طبعة لندن

الأربعاء، ٦ من ذي القعدة / ١٤٣٤ - ٢٠١٣/٩/١١

العدد ٤٦٠٦

مناقشة لما كتبه الأستاذ نوزاد حسن

قالها الجواهري في انقلابي ١٩٣٦ والذي كان يغير في قصيده
فحصل هذا اللبس

قرأت مقالة الأستاذ الأديب الكاتب نوزاد حسن التي نشرتها
جريدة (الصباح) يوم السبت ٢٠١٣ / ٨ / ٣١ ، عنونها (كيف تلاعب
العقل المغلق بقصيدة الجواهري؟) وجدت فيها من الخلط والخطأ
والغلط الشيء الكثير، وهو شيء مؤسف ومؤلم، فإذا كنا لم
نقرأ تاريخنا الحديث بشكل جيد وقريب إلى الصحة، فما بالنا
بالتاريخ القديم أو الموعغل في القدم؟ إننا ننظر إلى آراء المعاصرين
فنرتاب من هذه الآراء لفشو الخلط فيكب بأمر الغابرين نصدق؟!
المسألة باختصار: إن كاتب المقالة يتحدث عن قصيدة شهيرة
للجواهري يقول في مستهلها:

فضيق الحبل وأشد من خناقهم

فربما كان في إرخائه ضررٌ

تصور الأمر معكوساً، وخذ مثلاً

مما يجرونه لو أنهم نصروا

ليقول ان هذه القصيدة قد قالها الجواهري مخاطباً الفريق بكر
صدقي قائد أول انقلاب في العراق والوطن العربي، ونشرها في
صحيفته (الانقلاب) لكن أكثر من صديق من أصدقائه يروي أبيات
القصيدة ويقول إن الجواهري قالها محذراً الزعيم عبد الكريم قاسم
من خطر البعثيين، ويواصل الكاتب حديثه ليقول: هذان البيتان...

كما يرى كثيرون قتيلاً لتحذير الزعيم، وفي الظاهر فالبيتان قريبان جداً من أحداث معقدة وغير مفهومة، فليس من المعقول ان يعفو الزعيم عن رجل مثل صدام حسين شارك في محاولة اغتياله، وبعد الحكم عليه بالإعدام قرر العفو عنه وعن بقية المتهمين ويواصل الكاتب مقاله ليقول: لو عدنا إلى القصيدة التي ورد فيها البيتين السابقين(هكذا وردت في المقالة!) لعرفنا الجواهري قالها في خطاب للفريق بكر صدقي لا في عبد الكريم قاسم، وذلك حين قام الفريق صدقي بانقلابه لعام ١٩٣٦ وهز أركان الحكم الملكي فهرب السعيد والوصي مما دفع الجواهري إلى تأييد الإنقلابيين.

بعد أن أوردت نصاً أهم الفقرات الواردة في المقال المذكور عنوانه أعلاه والتي أروم مناقشتها لغرض التوضيح وإزالة اللبس والخلط أقول:

أولاً - إن سبب هذا الخلط الذي وقع فيه الكثير من القراء والمثقفين من أن القصيدة قيلت في عبد الكريم قاسم، ولقد وقعت أنا نفسي في هذا الخلط ونبهني إليه صديقي الكاتب الموسوعي مهدي شاكر العبيدي في مقالة نشرها بجريدة (الزمان) بداية سنة ٢٠٠٤ لمناقشتي بشأن هذه القصيدة، إن الجواهري الذي عرف عنه الإضافة لقصائده، والحذف منها قد ألقى هذه القصيدة أمام ملاً من الناس في شهر كانون الأول سنة ١٩٥٨ حضروا إلى ساحة الكشافة تلبية لنداء جبهة الاتحاد الوطني التي انبثقت سنة ١٩٥٧ والتي كانت تضم: الحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال والحزب الشيوعي وحزب البعث، وقبل انفراط هذه الجبهة بسبب

حب السلطة والاستئثار بها ، أقول ألقاها الجواهري في الاحتفال الذي دعت إليه الجبهة واحتفاء بذكرى ما تسمى بـ (وثبة كانون الثاني ١٩٤٨) ضد معاهدة بورت سموث التي وقعها رئيس وزراء العراق وقتذاك صالح جبر مع رئيس الوزراء البريطاني بيفن في ميناء بورت سموث البريطاني، وهي ما عرفت بالأدبيات السياسية المعتدلة باسم (معاهدة جبر- بيفن) أو معاهدة بورت سموث، وإن سبب هذا الخلط أن الجواهري أضاف إليها بيتاً يخاطب فيه رئيس الوزراء قاسم، ونص البيت:

أكان للرفق ذكر في معاجمهم

أم عن كريم وأصحابه خبرُ

فاعتقد الناس الذين لم يقرأوا شعر الجواهري جيداً فضلاً على ان القصيدة لم تنشر في دواوين الجواهري التي صدرت في العهد الملكي كون الانقلاب موجهاً بشكل أو آخر ضد الحكم الملكي، لذا حسب الناس ان القصيدة قيلت أساساً في الزعيم قاسم، والذي أوقعهم في هذا الخلط بيت الجواهري آنف الذكر، وإنه حذف اسم (حكمت) وجعل بدله اسم (كريم) ومن المعروف لدارسي التاريخ العراقي المعاصر إن المقصود بذلك حكمت سليمان رئيس وزراء الانقلاب.

ثانياً - لم يعف الزعيم عن صدام حسين الذي شارك في محاولة اغتياله - كما جاء في المقال - إذ أن من المعروف للدارسين والباحثين المدققين أن صداماً يعد محاولة اغتيال قاسم قد هرب

إلى سورية أيام الوحدة المصرية السورية التي انبثقت في شهر شباط / ١٩٥٨ وانفردت عقدها بالانفصال البغيض في ٢٨ / من أيلول ١٩٦١ وكان يطلق عليها اسم الإقليم الشمالي وعلى مصر الإقليم الجنوبي، وكان من يتولى تهريبه المرحوم فاتك الصايف، الذي ترك العمل السياسي منذ وقت بعيد وظل يرعى مزرعته في ريف ناحية غماس، والمتوفى أواخر سنة ٢٠١٢ - رحمه الله - وانتقل منها نحو القاهرة، وعاد إلى العراق بعد شباط ١٩٦٣، لذا هو ما كان مسجوناً كي يعفو عنه الزعيم بل كان هارباً، بل عفا عن من شارك في عملية الاغتيال، وهم: ١- أياد سعيد ثابت ٢- خالد علي الصالح ٣- شاكراً حليوة ٤- أحمد طه العزوز ٥- السوري حميد مرعي، خطيب يسرى شقيقة إياد سعيد ثابت، وسليم عيسى الزبيك وغيرهم ممن ضاعت من الذاكرة أسماءهم.

ثالثاً - إن الانقلاب ما كان موجهاً ضد نوري السعيد كي يهرب بل كان موجهاً ضد رئيس الوزراء القومي ياسين الهاشمي، الذي فرض سلطة الدولة وهيبته ضد تمرد العشائر في الوسط والجنوب، والذي غادر العراق إثر الانقلاب وتوفي في سورية هماً وغماً وكمداً ودفن في جبل قاسيون، وهو شقيق الفريق طه الهاشمي الذي حوكم بعد تموز ١٩٥٨، وأصدر الزعيم أمراً في ١٤ / تموز / ١٩٦١ بإطلاق سراحه وثلة كريمة من رجالات العهد الملكي منهم: أبو تيمور أمير اللواء الركن غازي الداغستاني، والدكتور فاضل الجمالي، و خليل كنة وتوفيق السويدي وغيرهم. كما لم يهرب الوصي كما يقول الكاتب فحكم الوصاية لم

يظهر للوجود بعد ، بل كان الملك غازي الأول يواصل سلطاته الدستورية ، وهناك من يرى أن الانقلاب حدث بمباركة منه أو بالحري بغض الطرف عن تحركات الانقلابين ، نكاية برئيس الوزراء ياسين الهاشمي.

إن نظام الوصاية حصل بعد مقتل الملك غازي المؤسف والمؤسي الغامض ليلة الرابع من نيسان / ١٩٣٩ ، ولأن نجله فيصل المولود سنة ١٩٣٥ ، لم يبلغ الرشد بعد ليتولى سلطاته الدستورية فقد بويح ابن عم الملك غازي الأمير عبد الإله بن علي بن الحسين بالوصاية وباقتراح من زوجة الملك غازي ، وشقيقة الأمير عبد الإله ، الأميرة عالية.

هذه بعض السطور أوردتها لغرض التوضيح ولكي لا يتسرب الخلط إلى كتابات الكاتبين ، ومن ثم تنعكس سلباً على تاريخ الأدب والتاريخ العام.

ولله در الشاعر القائل:

نظرت إلى المر الحاضرين فرابني

فكيف بأمر الغابرين لصدق!

والله الموفق

نشرت في جريدة المشرق الصفحة الثقافية

الأربعاء الموافق ٩ من تشرين الأول ٢٠١٣

العدد ٢٧٦٤

بيت الشعر ليس للجواهري الكبير بل لعماش

واكبت فاضل العزاوي منذ مخلوقاته الجميلة عام ١٩٦٩ تابعت منجز الأديب العراقي المغترب في المانية فاضل العزاوي منذ بداياته الأولى، لأنني وجدت فيه شيئاً مغايراً للادلجة والصوت الواحد القامع، وجدت في فاضل العزاوي تفريداً خارج السرب المؤدلج، وهروباً من القطيع الذي ينتظر التوجيه ليكتب، كان باحثاً عن الحرية، حرية الكتابة، وكيف يمكن لأديب أن يكتب إذا كان هواء الوطن ملبداً بالغيوم وأعاصير الخوف، وجدت في كتابه الأول الصادر سنة ١٩٦٩ والموسوم بـ (مخلوقات فاضل العزاوي الجميلة) نصاً مفتوحاً يحاول ان يخلق ويوجد شكله الخاص إنه مزج بين الرواية والقصة القصيرة والمقال، رواية خيال علمي، أن بطل الرواية يحيل سكان مدينته إلى انصاب جامدة، في الرواية هذه شيء من الفانتازيا والغرائبية السحرية، لقد توسل فاضل العزاوي بكل فنون الأدب كي يستطيع إطلاق سراح نصه الأدبي هذا، ومن ثم يستطيع نشره، مع صعود موجة الأدلجة والكره وإقصاء الآخر، مهما كان هذا الآخر متطامناً ومسالماً، ألم يقل كبيرهم الذي علمهم السحر في خطاب عام: سحقاً للرجعية حتى العظم، لم يسلم منه حتى العظم، فأراد تحطيمه وهرسه!؟.

حتى إذا نشر روايته القصيرة (القلعة الخامسة) الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق سنة ١٩٧٢ توثقت صلاتي المعرفية

والثقافية به، وكتبت عنها حديثاً نقدياً نشرته جريدة (الراصد) البغدادية سنة ١٩٧٦، وتأتي المفارقة المؤسسية المفجعة من حصول الخطأ في اسم المعتقل في القلعة الخامسة، من سجن بغداد المركزي في باب المعظم الذي هدم لاحقاً وأمسى مقراً لوزارة الصحة.

تأتي المفارقة من الخطأ الحاصل في اسم الراوي المركزي، ففي سجلات المعتقل هو (محمود سعيد) لقد سقط اسمه (عزيز) ربما سهواً أو تسرعاً، ودون اسم أبيه وجده فقط لذا ما أن يصيح عريف السجن منادياً باسمه!

- محمود سعيد

- حتى يجيب مرتبكاً

- إنه اسمي، أقصد أنه ليس اسمي.

ضحك مدير السجن وقال:

- ماذا تقول أيها الشاب؟ تعال إلى هنا.

- إنه ليس اسمي. لقد حدث خطأ أن أسمى هو (عزيز محمود

سعيد).

قال المدير بعد ان سحب القائمة من يد العريف.

- لا يوجد هنا سوى هذا الاسم ولا بد أنه أسمك، لا تؤاخذنا

إذا كان عندك أي اعتراض فتقدم به فيما بعد، أما الآن فعلينا

التوقيع على مذكرة استلامكم!

ولك أن تتصور عزيزي القارئ المأساة الإنسانية التي سيعيشها

هذا الإنسان الذي بدأت حياته في المعتقل بهذا الخطأ الفادح القاتل؟ لذا كنا نطالع تهويمات وخلجات هذا الإنسان المهزوم نفسياً وروحياً -تساءلت مع نفسي: هل أنا مسؤول عن فساد العالم؟ إن الخطأ موجود منذ الأزل، ثمة خطأ أساسي في هذا العالم لا أتحمّل مسؤوليته (...). فلطالما فكرت في أن العالم قائم على خطأ خفي لا يمكن توضيحه أو تأكيده (تراجع ص ٢٢).

أو مناجياً ذاته (ترى كيف يمكن ان نشعر بالانتماء إلى مجتمع أشبه ما يكون بجثة (...)) لم أعد أؤمن بشيء ينتهي إلى بوابة مغلقة، لن يكون ثمة مستقبل، شبتت من مستقبل لا يأتي أبداً وحتى عندما يجيء يكون أكثر سوءاً....) ص ١٢٦.

إن بطل روايتنا هذه يشبه إلى حد بعيد (ميرسو) بطل رواية (الغريب) لألبير كامو كانت هذه الأفكار السود، والتهويمات الفاجعة، نتاج مجتمع ضربته الأحكام العرفية والمجالس العرفية التي تصدر أحكامها (طشاري) كما نقول بالعامية، والمحكمة العسكرية العليا الخاصة، ومحاكم الثورة غير الخاضعة للتمييز والاستئناف، فمن قاعة المحكمة نحو ساحة الإعدام، وحصل هذا في العهود الجمهورية كلها التي تعطلت فيها القوانين واستبدلت بالقرارات.

ويوم أصدر الشاعر والباحث سامي مهدي كتابه التوثيقي المهم (الموجة الصاخبة: شعر الستينات في العراق) الصادرة طبعته الأولى عن دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد سنة ١٩٩٤ قرأته وكتبت عنه حديثاً نقدياً نشرته الصفحة الثقافية لجريدة (العراق) يوم

الخميس ٦ / تشرين الأول / ١٩٩٤ ، وبالعقد المرقم (٥٦٠٤) عنوانه (الموجة الصاخبة: حديث عن جيل صاخب)، ولأن الكتاب جاء دارساً لجيل الستينات المغاير لكل التوجهات السابقة لجيل الرواد وما سبقهم جيل مشاكس نشأ في فوضى ما بعد ١٩٥٨ ، فضلاً عن دراسته لجماعة كركوك، وفاضل العزاوي من مؤسسيها، إلى جانب سركون بولص، وأنور الغساني، وجيل القيسي، ومؤيد الراوي، وجان دمو، وصلاح فائق، يوسف الحيدري، والأب يوسف سعيد، وغيرهم، فإن فاضل العزاوي كتب مناقشاً سامي مهدي، كتاباً اسماء (الروح الحية) قرأت عنه كثيراً لكن لم أحظ بقراءته حتى الآن كما تابعت المناقشات الثقافية التي جرت بينه وبين الأديب العراقي المغترب في لندن فوزي كريم، وتحدث عن جانب منها في كتابه المهم (ثياب الامبراطور: الشعر ومرايا الحداثة الخادعة) الصادرة طبعته الأولى عن دار المدى سنة ٢٠٠٠ لذا سعدت حقاً وأنا اقرأ الحوار المعري في الجميل الذي أجراه معه عدنان الهلالي، ونشرته الصفحة الثقافية لجريدة (المشرق) يوم الاثنين ١٠ / من شباط / ٢٠١٤ ، وقد استغرقت صفحة كاملة، وقد جاءت بعض أقواله تأكيداً لما سبق، أن قاله فاضل العزاوي في كتبه التي أشرت إلى بعضها، مؤكداً ثمة حاجز ما زال قائماً بيني وبين الوطن، يتعلق بالاحترام الضروري للكاتب وعمله فنحن المقيمين بالخارج محرومون ليس فقط من ابسط حقوقنا، وإنما غير موجودين أساساً في نظر الحاكمين.

وإذا كان بعض الكتاب العرب الذين كتبوا بالفرنسية،

ولاسيما الكتاب الجزائريون أيام الاحتلال الفرنسي لبلدهم قد شعروا بوطأة المنفى اللغوي الفرنسي حتى ان الأديب الجزائري (كاتب ياسين) صرخ أني ارطن، ولا أكاد أبين في كتابتي بالفرنسية، فإن فاضل العزاوي ينفي هذا المنفى اللغوي، قائلاً (أما أنا الكاتب بالعربية فاعتبر اللغات الأخرى التي اعرفها روافد وينابيع تغتني بها لغتي العربية نفسها). إن فاضل العزاوي الذي احترم منجزه الثقافي والذي واكبته من نهاية عقد الستين من القرن العشرين - كما اشرت آنفاً - قد وهم إذ أقحم بيتاً شعرياً فظاً على عوالم الجواهري الكبير الشعرية، قال فاضل العزاوي (لم اتوهم في أي وقت أن القصيدة وحدها تبني الوطن، ولكن ان نبني الوطن بالقصائد أفضل ألف مرة من أن نبنيه بالبنادق والمتفجرات والدم والفتاوى المقدسة ومواعظ كهنة الجحيم، هناك بيت للشاعر الجواهري الكبير يقول فيه:

وطن تشيده الجماجم والدم تنهدم الدنيا ولا يتهدم
وكان حرياً به أن يقول:

وطن تشيده الجماجم والدم تتقدم الدنيا ولا يتقدم
سيعود العراق عراقاً عندما يتعلم الناس كيف يكونون جزءاً حياً من عصرهم).

أقول إن هذا البيت الشعري الذي سارت به الركبان والقطعان، ما قاله أبو فرات الجواهري الكبير، بل هو نتاج قريحة الضابط صالح مهدي عماش سنة ١٩٦٣ ولست أدري أي وطن مسكين هذا

الذي تشيده الجماجم والدماء، بدل العقول النيرة والسواعد القوية
والأذواق الراقية؟

لقد كانت لغة الدم والسحل التي انطلقت من عقالها بعد تموز
١٩٥٨ سبباً في البلوى التي عشناها وما زلنا وإلى أمد قد يطول
طويلاً.

نشرت في جريدة المشرق

يوم الاثنين الموافق ٣ من آذار ٢٠١٤ العدد ٢٨٧١

حوار مع نجم والي دفاعاً عن سعدي يوسف وإدوارد سعيد ومحمود درويش وكافكا

أقول: يوم قرأنا روايته (المسخ) ومن ثم روايته (القلعة) فضلاً على (المحاكمة) التي حولتها عاصمة السينما الأمريكية والعالمية هوليوود إلى فيلم بالأبيض والأسود، تولى تجسيد بطولته الممثل الأمريكي الشاخص والبارع (أنطوني بيركنز) والذي سيكلفه مخرج أفلام الرعب البريطاني (الفريد هيتشكوك) بدور رئيس في فلمه المدوي (سايكو) وإلى جانبه النجمة (جانيت لي) وفيرا مايلز، ما كنا نبحت عن جنسية كافكا وديانته أو قوميته، كنا نبحت عن الإبداع لدى كافكا بوصفه كاتباً عالمياً مؤثراً، على الرغم من قلة مؤلفاته، الناتجة عن أزماته النفسية، وعيشه في مجتمعات أوروبية ترفض الآخر جعلته يعيش في (كيتوات) منفردة، في حين كان اليهود يعيشون بين ظهرانينا، ومنذ أكثر من ألفي سنة من غير تمييز ولا تفريق، ما كنا نسأل عن جنسيات وديانات ستيفان زفايك، أو أميل زولا، أو مارسيل بروست، أو فرويد، أو كارل ماركس، أو أندريه جيد، أو تروتسكي، أو إنشتاين، أو إسحق دويتشر، أو الفيلسوف سبينوزا، أو الشاعر هاينه، أو أج. جي. ويلز، أو البرتو مانغويل، وكلهم يهود، لذا عجت لهذه النبذة الخطابية التي كتب الأديب العراقي المغترب (نجم والي) مقالته

التي خصصها للدفاع عن كافكا، والتي لا نلومه عليها، بل نلومه على هذا التجريح والإساءة للشاعر العراقي سعدي يوسف، والمفكر الفلسطيني الدكتور إدورد سعيد والشاعر الفلسطيني محمود درويش.

نجم والي في مقالته (نظرة إلى الأدب.. نظرة إلى الحياة - في الدفاع عن كافكا) التي نشرها في صحيفة يومية المانية، هو المقيم في برلين، وخص بنصها العربي إحدى صحفنا والتي نشرته يوم الخميس ٦/ من آذار في صفحتها الثقافية يعود بنا إلى شهر حزيران من عام ١٩٧٩، يوم نشرت مجلة (الأقلام) العراقية عدداً خاصاً بالأدب الصهيوني، ليكون هذا العدد - ولا أدري ما الذي ذكره به بعد هذه السنوات الطويلة؟ - مناسبة لهجوم غير متزن على هذه الأسماء المهمة، ولو ناقش ما كتبه سعدي يوسف بالملف، لكان الأمر، مما يؤكد أنه ما قرأ حرفاً من هذا العدد، إن دراسة سعدي يوسف ما نشرت في هذا العدد، بل في عدد تال - كما أوضح لي ذلك المترجم القدير والباحث كاظم سعد الدين - ولو قرأ العدد، لناقش الأستاذ كاظم سعد الدين الذي كتب دراسته المعنونة ب (حل رموز كافكا الصهيونية)، والتي ستكون محوراً في الدراسة المطولة التي كتبها الباحثة العراقية الرصينة والقاصة المبدعة (بديعة أمين) والتي وَسَمَتْها ب (قراءة في عدد الأقلام الخاص بالأدب الصهيوني). والذي نشرته مجلة (الأقلام) في شهر أيلول / ١٩٧٩ ووسعت دراستها هذه لتكون كتاباً، نشر بطبعتين، الأولى عن دار الآداب اللبنانية في كانون الثاني / ١٩٨١،

كانت زاخرة بالأخطاء الطباعية ، مما دفع الكاتبة إلى أن تكلف المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت ودار المهدي بعمان إلى إعادة إصداره بطبعة ثانية عام ١٩٨٣ وعنوان الكتاب المهم (هل ينبغي إحراق كافكا؟).

ترى لماذا لم يقف ، وهو يدافع عن كافكا. عند هذا الكتاب المهم في الدفاع عن كافكا لو كان حديثه خالصاً لوجه الحقيقة؟ يقينا إنه لم يسمع به ، بله أن يقرأ سطرًا واحداً منه ، هذا الكتاب المهم الذي سيعود إليه المترجم والباحث كاظم سعد الدين مناقشاً ما جاء فيه ، وبالتحديد آراء بديعة أمين في دراسته آنفة الذكر ، بكتابه الضخم الذي أصدرته دار المأمون للترجمة والنشر في بغداد سنة ٢٠١٣ والمعنون ب (مشاهير أدباء العالم - ذكريات وحوارات) ويقع في ست مئة وأربعين صفحة.

إنه لمن العيب أن ينكر نجم والي فلسطينية المفكر العالمي الفلسطيني إدوارد سعيد (١٩٣٥ أيلول / ٢٠٠٣) وولادته في القدس ، مستهزئاً بدفاعه عن حقوق شعبه المغتصبة واضعاً هذه المغتصبة بين هلالين (...)) دلالة على النكران والهزء والارتياب أيجوز هذا يا نجم والي؟ أبلغت بنا - وعلي أن أختار عبارة مهذبة بدل اللفظة التي في جوانحي - أبلغت بنا الاستهانة بحقائق التاريخ والجغرافية إلى هذا الحد المؤسف من الانحدار الأخلاقي والقيمي؟ إذن ما الفرق بينك وبين ذلك الصحفي والمحامي الأمريكي الجنسية الإسرائيلي المغمور ، الذي ذكرت اسمه في مقالي الذي نشرته مجلة (الرافدين) الأسبوعية بعددها المرقم ٨٤ والصادر في ٢٣ / من مايس / ٢٠٠٠ والموسوم (دفاعاً

عن فلسطينية إدوارد سعيد) ولن أذكر اسمه الآن، لأنني لا أريد لأسمه أن يبقى في الذاكرة، والذي كلفته مجلة (كومنتري) الشهرية الأمريكية اليهودية اليمينية المتطرفة، والذي أمضى ثلاث سنوات ينقب في حياة إدوارد سعيد المبكرة وطفولته، لقد حاول هذا الشخص البرهنة على إن إدوارد لم يدرس في كلية سان جورج بمدينة القدس العربية، ولم يغادر ارض فلسطين مع من غادرها بعد النزوح الفلسطيني الواسع عام ١٩٤٨، وأنه لهذا السبب عاش مدة دراسته وشبابه في مصر ودرس في كلية الملكة فكتوريا في مدينة الإسكندرية وتخرج فيها، مع ان الدلائل تشير، لابل تؤكد أن إدوارد ولد في مدينة القدس لأب متمكن مادياً معروف في أوساط المدينة، واسمه وديع سعيد، وكذلك ولدت أخواته: روزي وجين وجويس وغراي، وأنه عمد في الكنيسة الانكليكانية في القدس، ودرس في مدارسها ودرَجَ فيها وواصل الدراسة في كلية القديس جورج، وهو ما أصله في كتابه السيرى المهم الموسوم (Out of place) الذي أهدها إلى الطبيب كانتى راي، طبيبه المعالج من سرطان الدم، وإلى مريم قرطاس سعيد زوجته، وأصدرت طبعته العربية الأولى دار الآداب اللبنانية عام ٢٠٠٠ بترجمة فواز الطرابلسي، تراجع صفحة ٤٧ من كتابي (التماعات ورؤى. مثابات في الأدب والفكر) طبعة دمشق / ٢٠١١.

قال نجم والي (ومع تصاعد ثقافة ((عربية)) عدوانية عنصرية سائدة ضد كل ما هو إنساني بحجة الدفاع عن ثقافتنا ضد

(عدوانية الثقافة الغربية) ولإفشال المؤامرة (الصهيونية) العالمية ضدنا (...). جعلت إدوارد سعيد ورفاقه "المناضلين" يذهبون إلى الوراثة آلاف السنين قبل ميلاد المسيح، لكي يكتشفوا ((عدواً استثنائياً لنا)) نحن العرب (الأتقياء) شعب الله المختار، نعم إنه العمى والدماعوجية وليس غير ما جعل (مفكراً) فلسطينياً لكن يحمل الجنسية الأمريكية، ولم يولد في القدس، كما أدعى مثل إدوارد سعيد يدافع عن حقوق شعبه (المغتصبة)).

لن أقف عند ركة الأسلوب، وهزال العبارة التي جاء بها هذا النص العدواني القافز على حقائق التاريخ، بل لأقول: إن العرب ما قالوا أنهم شعب الله المختار، بل وردت هذه العبارة في (التوراة) مراراً وتكراراً، فهل انصحه بالعودة إلى التوراة كتابه المقدس؟
ويظل نجم والي يوزع اتهاماته الجارحة لتكون ثالثة الأثافي ووقفته الهجومية على الشاعر محمود درويش (١٩٤٣- ٢٠٠٨) قائلاً: (ليس من الغريب أن يهجي شاعر فلسطيني مثل محمود درويش كافكا بهذا الشكل العنيف (...). درويش هو واحد من قطيع مثقفين عرب (مناضلين) تسابقوا إلى تفريغ كافكا من محتواه الإنساني بدعوى أن كتبه تتحدث عن غربة اليهود الأبدية، وأن نصه الذي حمل عنوان (العرب أبناء آوى) هو دليل معاداته للعرب).

أولاً: نجم والي لا يعرف ان صحة (هجا) يهجو، وليس يهجي، أو هو من الداعين إلى ترك الإعراب، إعراب الكلمة مثلما فعل (أحدهم) الذي أطلقوا عليه لقب (مفكر)! أم هو من الداعين إلى

العامية مثل سلامة موسى وسعيد عقل؟

ثانياً: كيف سمح لنفسه ان يصف (محمود درويش) بالقطيع والأسلوب هو الرجل، والتعبير مرآة الفرد، والمرء مخبوء بين لسانه، وإذا أشرت إلى ركة عباراته وضعف أسلوبه فلن أشير إلى الأغلط والأخطاء النحوية فيها.

ختاماً: أرى أن كل محاولات بديعة أمين في الدفاع عن كافكا، ومحاولة نزع تهمة الصهيونية عنه، أو آراء الباحث كاظم سعد الدين في تأكيد هذه التوجهات أو إصدار محكمة إسرائيلية حكماً بأن يؤول إرث فرانز كافكا الكتابي الذي أودعه لدى صديقه (ماكس برود) قبل موته ومن ثم آل إلى صديقه ماكس بعد وفاته ان تؤول هذه الأوراق والكتابات إلى المكتبة الوطنية الإسرائيلية بوصفه يهودياً وليس إلى أرشيف الأدب الألماني فضلاً عن دفاع نجم والي المستميت عن يهودية كافكا وارى أن (فرانز كافكا) ما كان منتماً لدين أو قومية، فهو شخص سوداوي محبط ومريض نفسياً فيجب أن لا نأخذ أقواله مأخذ الجد، ونبني عليها نتائج فأقواله اقرب إلى الهلوسة، نجد ذلك في روايته القصيرة (المسخ) فضلاً على (القلعة) و(المحاكمة) حتى يوم أن شاهدناها فيلماً، لم نفهم من الحوار شيئاً، حوار أقرب إلى المعميات الناتجة عن اضطهاد الأوربيين لليهود، وإجبارهم على العيش في أماكن منعزلة وليس هناك ما يجمعه مع ذاته فما الذي يجمعه بالآخرين. هو القائل: (ما الذي يجمعني واليهود؟ ليس هناك شيء تقريباً يجمعني ونفسي أن عليّ أن اختبئ بهدوء في زاوية ما،

راضياً بحقيقة أنني قادر على التنفس). تراجع ص ٥٠ من كتاب
(هل ينبغي إحراق كافكا؟) شخص مأزوم مثله كيف لنا أن
ننسبه إلى فئة أو دين أو مبدأ هو الذي لم ينتسب إلا إلى نفسه؟

نشرت في جريدة المشرق

الأربعاء الموافق ١٩ من آذار ٢٠١٤

العدد ٢٨٨٥

في ظاهرة التنازل عن السلطة عبر التاريخ شكري القوتلي... المواطن العربي الأول

كثيراً ما أقرأ أو أسمع أو أشاهد من يكتب أو يتحدث عن ظاهرة الإيثار والتنازل عن السلطة سواء في العالم أم الوطن العربي، ويذكرون العديد من الشواهد والحوادث مثل تنازل الملك إدوارد الثامن عن العرش الملوكي البريطاني سنة ١٩٣٦ بسبب زوجته الأمريكية الأصل ولما كانت القوانين البريطانية الصارمة لا تجيز للملك أن يعتلي سدة الحكم في بريطانيا إذا كانت زوجته غير بريطانية فضلاً عن كونها مطلقة فما كان منه إلا أن يتنازل عن العرش لأخيه جورج السادس في جلسة عاصفة مشتركة لمجلس العموم واللوردات البريطانيين، لقد كان عاشقاً لزوجته الأمريكية ومن المدلهين بها حياً فتنازل عن العرش إكراماً لها وبقياً يعيشان في الولايات المتحدة حتى مغادرته الحياة في خريف سنة ١٩٧١.

كما يقف التاريخ عند الجنرال شارل ديغول قائد جيش التحرير الفرنسي بعد الاحتلال الألماني لها أثناء الحرب العالمية الثانية وتوليه قيادة فرنسا من خلال انقلاب عسكري في شهر مايس ١٩٥٨ وثابر كي تكون فرنسا قوة مؤثرة أوربياً وعالمياً بعيداً عن التطابق مع أمريكا والذي يسجل التاريخ له الانسحاب من الجزائر بعد معارك دامية ضد مجاهدي جبهة التحرير الوطني الجزائرية منذ

الأول من تشرين الثاني ١٩٥٤ وحتى آذار / ١٩٦٢ حيث عقدت اتفاقية إيفيان نالت الجزائر العربية استقلالها بموجبها كما يذكر الناس والتاريخ موقفه الرائع إزاء إسرائيل التي كانت البادئة بشن الحرب فجر الخامس من حزيران / ١٩٦٧ ومنع تصدير طائرات الميراج لها ، هو الذي كان قد أعلن موقفه الصارم من أنه سيكون ضد البادئ بشن الحرب، وهذا الرئيس العملاق يتنازل عن السلطة ربيع سنة ١٩٦٨ أثر ما عرف في الأدبيات السياسية (ثورة الطلبة) التي قادها الطالب المشاكس (بانديت) فضلاً عن كتابات (هربرت ماركيوز) واندفاعاته الثورية.

تنازل باني فرنسة الحديثة الجنرال شارل ديغول أمام تظاهرات الطلاب ولينسحب من الحياة السياسية بهدوء، ويموت في الريف الفرنسي خريف سنة ١٩٧٠، وما زال في الذاكرة الكتاب الذي ألفه (فريدريك فورسيت) وعنوانه (يوم ابن آوى) الذي يتحدث عن آخر واخطر محاولات اغتيال ديغول، ونشرته المؤسسة العربية للدراسات والنشر / بيروت سنة ١٩٧٣ ترجمته عدنان الكيالي، وأيلي لاوند وقد نقل الكتاب إلى الشاشة الفضية فيلماً رائعاً.

كما يقف التاريخ عند إصدار الأمير عبد الإله ولي العهد العراقي أوامره إلى العقيد طه مصطفى البامرني أمر الحرس الملكي بعدم المقاومة وإيقاف إطلاق النار ضد مهاجمي قصره. قصر الرحاب فجر يوم الاثنين الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ حقناً للدماء غير أن البامرني انقلب مئة وثمانين درجة ليصبح قائداً للمقاومة الشعبية وهذا ما لم يقف الدارسون عنده إلا قليلاً لكون

أيام الملوك قد أدبرت والناس على دين ملوكها!

كما يذكر التاريخ استقالة الرئيس جمال عبد الناصر عصر يوم الجمعة الأسود التاسع من شهر حزيران / ١٩٦٧ بعد تدمير إسرائيل لسلاح الجو المصري وسحق القوات المصرية في جزيرة سيناء ووصول القوات الإسرائيلية إلى الضفة الشرقية لقناة السويس وتحمل المسؤولية بخطاب قصير متلفز وهذه مسألة قد نقف عندها يوماً كي نحللها ، ففيها شؤون وشجون!

ويوم توفى قائد شعب جنوب أفريقيا ضد نظام الفصل العنصري المعروف باللغة الإنكليزية بـ (Aprathied) الابرهايد (نلسون مانديلا) (١٨/ تموز / ١٩١٨ - الخميس ٥/ ١٢/ ٢٠١٣) هذا النظام العنصري الذي كان على رأسه (فردريك دو كليرك) الذي رضخ أخيراً لمطالب السكان الأصليين السود فأطلق سراحه من السجن الذي أمضى فيه نحو سبعة وعشرين عاماً في ١١ / من شباط / ١٩٩٠ ومن ثم ليتفاوض معه على الانتقال السلمي للسلطة وليتولى الرئاسة سنة ١٩٩٤ بإجماع شعبي قل نظيره، وما عاقب من أساء إلى شعبه وإليه من المستوطنين البيض، لبدأ حياة جديدة من التسامح والعيش المشترك. أقول وقف العالم طويلاً عنده وعند تخليه عن السلطة بعد أول دورة انتخابية! صورة رائعة من صور الإيثار ونكران الذات ، ومن قبله تخلى عن السلطة الرئيس المثقف الشاعر الدارس لمفهوم الزنوجة وأول رئيس للسنغال التي نالت استقلالها عن فرنسة صيف ١٩٦٠ (ليوبولد سنكور) الشاعر

الفرنكفوني الذي يكتب بالفرنسية بخلاف أكثرية الزعماء الأفارقة لا يغادرون كرسي الحكم إلا إلى التابوت ومن ثم إلى القبر!

أقول قرأت الكثير عن ظاهرة (نيلسون مانديلا) ويكاد الكتاب والمتحدثون، إذ درسوا هذه الظاهرة، مغادرة السلطة بمحض الإرادة، يقفون عن الفريق (سوار الذهب) الضابط السوداني الذي أطاح بحكم جعفر نميري الذي جاء إلى السلطة بانقلاب ١٩٦٩.

سوار الذهب أجرى انتخابات رئاسية وسلم السلطة إلى المدنيين، لكنني لم أجد من وقف عن ظاهرة (شكري القوتلي) الرئيس السوري الأسبق (١٨٩١/١٠/٢١ - ١٩٦٧/٦/٣٠) ويبدو أن سوء الحظ لازم هذا الرجل المتقشف والبسيط، فلقد مات بهدوء ولم يذكره ذاكر، إذ توفي والوطن العربي ضاج بتداعيات حرب حزيران وهزيمتها النكراء والنزوح المدمر للفلسطينيين من الضفة الغربية التي احتلتها إسرائيل ليكون هذا النزوح أشرس وأشد من النزوح الأول بعد حرب مايس ١٩٤٨ وتأسيس الكيان الصهيوني في الخامس عشر منه، وقضية (ماكو أوامر) التي عاناها الجيش العراقي بقيادة أمير اللواء صالح صائب الجبوري، وقضية أسلحة الجيش المصري الفاسدة.

شكري القوتلي الذي شغل منصب وزير الدفاع أثناء حكومة الكتلة الوطنية الأولى سنة ١٩٣٦ ثم ليصبح أول رئيس لسوريا بعد الاستقلال والانسحاب الفرنسي منها في ١٧ من آب ١٩٤٣ ولينقلب

عليه الضابط حسني الزعيم في ٣٠ من آذار ١٩٤٩ وسورية بلد الانقلابات، إذ ما لبث ان انقلب سامي الحناوي على حسني الزعيم في السنة ذاتها، وسجل أديب الشيشكلي آخر سلسلة انقلابات العسكر، ثم يعود شكري القوتلي للرئاسة سنة ١٩٥٥، ونظراً للأزمة الناشئة مع الجارة القوية تركيا التي ما نسيت أيامها في بلاد الشام أيام الحكم العثماني فضلاً على مطامح ولي عهد العراق الأمير عبد الإله ببلاد الشام هو الذي لم ينس كذلك أيام ما عرف بـ (العهد الفيصلي) أي أيام الأمير فيصل في بلاد الشام بعد الاندحار العثماني في الحرب الأولى وتأسيس السلطة العربية ببلاد الشام بقيادة الأمير فيصل بن الحسين لكل هذه الظروف الخارجية فضلاً على الداخلية صراع الأحزاب، فقد توجه الرئيس السوري شكري القوتلي بعد اتصالات مكثفة مع مصر جمال عبد الناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠) على رأس وفد كبير ضم وزير الخارجية الأكثر شهرة في تاريخ سورية صلاح الدين البيطار، ووزير الدفاع القوي خالد العظم، وفعاليات سياسية وشعبية، وبعد مباحثات عميقة وطويلة أعلن في الثاني والعشرين من شباط ١٩٥٨ قيام أول وحدة في تاريخ العرب الحديث وتوحيد البلدين سوريا ومصر في دولة واحدة سميت بـ (الجمهورية العربية المتحدة) ولتكون مصر أقليمها الشمالي، وتنازل الرئيس السوري شكري القوتلي بمحض إرادته ورغبته عن الرئاسة وليطلق عليه اسم (المواطن العربي الأول) وظل هذا الاسم (الجمهورية العربية المتحدة) على الرغم من الانفصال الذي حدث في ٢٨ من أيلول ١٩٦١، لكن الغاء الرئيس

أنور السادات الذي حَلَفَ الرئيس جمال عبد الناصر اثر وفاته المدوية بعد تسعة أعوام من الانفصال أي في ٢٨ - من أيلول ١٩٧٠ عن اثنين وخمسين عاماً بسبب الإرهاق والألم النفسي الذي أصابه اثر معارك أيلول ١٩٧٠ بين المقاومة الفلسطينية والجيش الأردني، ومن ثم عقد مؤتمر قمة طارئة في الشهر ذاته بالقاهرة لإيقاف القتال بين الطرفين، وإذ ما نجح ناصر في إيقاف القتال والاطمئنان على الدم العربي في أن لا يراق بيد العربي فإن قلبه ما نجح في مده بالحياة ونسغها، لقد خذله قلبه، فذهب ناصر للقاء ربه.

ترى هل أعدت لهذا الرئيس الذي نسي الدارسون ذكره، أو أنسوا ذكره، شكري القوتلي الذي كان أول رئيس عربي يتنازل عن السلطة إيثاراً ونزاهة وتشفافاً مؤثراً مصلحاً البلاد والعباد على المصلحة الشخصية فهل سيدرس الدارسون والمهتمون بالرأي العام حياة هذا الزاهد بالرئاسة، شكري القوتلي...؟

نشرت في جريدة المشرق

السبت الموافق ٣ من أيار ٢٠١٤

العدد ٢٩١٨

حديث مع الأستاذ ياسين الحسيني

حديث مستطرد عن حركة الشواف والزعيم الركن عزيز أحمد شهاب.

قرأت المقال الذي كتبه السيد ياسين الحسيني. والمنشور على صفحة (ذاكرة عراقية) من عدد جريدة المشرق الصادر يوم الأربعاء الرابع من شهر رمضان المبارك ١٤٣٥هـ الموافق الثاني من تموز ٢٠١٤، والذي تحدث عن وقائع محاكمة الشاهد عزيز أحمد شهاب أمام المحكمة العسكرية العليا الخاصة في شهر أيلول من سنة ١٩٥٩، وقد جاء في المقال ما نصه ((عندما استدعي كشاهد على إخوانه ضباط ثورة الموصل (...)) باعتباره أحد المتهمين، وعند سؤاله من قبل المهداوي عن دور هذه الزمرة في مؤامرة الشواف في الموصل قال الشاهد (...)) إن كل الشهادات التي قيلت في هذه المحكمة ومنها شهادتي كانت من لجنة التعذيب وأنا منهم وطلب الي ان أقول ما أملوه عليّ وعلى الآخرين. وهنا قاطعه المهداوي بكلمة بذيئة، وطلب المدعي العام ماجد محمد أمين من رئيس المحكمة بإدخال الشاهد عزيز أحمد شهاب قفص الاتهام (...)) وفي الجلسة الثانية تليت الأحكام فكان ضمن الذين حكم عليه بالإعدام في أم الطبول مع إخوانه الذي كان بينهم ضابط أعمى والنقيب نافع داود وهذه أول مرة في العالم يعدم (أعمى).

بعد أن أوردت هذا النص الطويل الذي بدا مرتبكاً وعهدي بالأستاذ ياسين الحسيني الدقة والكتابة الأجود، فأقول لقد استدعي

المقدم الركن عزيز أحمد شهاب الذي كان يشغل منصب ضابط ركن الفرقة الثانية ومقرها كركوك شاهداً في القضية التي كان يحاكم فيها مجموعة من الضباط منهم الزعيم الركن ناظم الطبقجلي قائد الفرقة الثانية والعقيد رفعة الحاج سري عن دورهم في المحاولة الانقلابية التي قادها العقيد الركن عبد الوهاب عبد الملك الشواف، آمر لواء المشاة الخامس ومقره الموصل ضد الحكومة المركزية يوم الثامن من شهر آذار/ ١٩٥٩ وانتهت في اليوم الثاني، حيث أغارت طائرتان كان يقود الأولى الرئيس الطيار خالد سارة والثانية الملازم أول طيار - نسيت اسمه - على مقر اللواء فأصابتا المقر إصابات بالغة وجرح العقيد الركن الشواف وقتله الجنود المتمردون على النظم العسكرية التي توجب عليهم الطاعة، إطاعة الأوامر وإذ حاول رئيس المحكمة العسكرية العليا الخاصة العقيد فاضل عباس المهداوي الذي لا يحمل شهادة القانون والحقوق بل كان ضابط ميرة وتموين، حاول بالترهيب والترغيب جعله يعترف باشتراك الطبقجلي بالحركة الانقلابية وإذ أصر المقدم الركن عزيز أحمد شهاب على إفادته أن ناظماً كان مجازاً مرضياً وراقداً في مستشفى الفرقة الثانية وبالإمكان مراجعة سجلات المستشفى والتأكد من رقود الطبقجلي ويبدو أن كريم قاسم كان يتابع وقائع المحاكمة التي كانت تذاع على الهواء مباشرة صوتاً وصورة إذاعة وتلفازاً فطير برقية بوصفه وزيراً للدفاع وقائداً عاماً للقوات المسلحة، بتحويل الشاهد المقدم الركن عزيز أحمد شهاب إلى متهم وصرخ به المهداوي أدخل قفص الاتهام فأدخل القفص وحكم عليه بالإعدام مع من

حكم عليه ونفذ الحكم فجر العشرين من أيلول سنة ١٩٥٩ وما كان الأمر صادراً عن المدعي العام ماجد محمد أمين إذ ليس من صلاحيته ذلك بل من وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة. عقدت المحكمة العسكرية العليا الخاصة جلسة مساء الأربعاء ١٦/٩/١٩٥٩ وأصدرت أحكاماً بإعدام الزعيم الركن ناظم الطبقجلي والعقيد رفعة الحاج سري والمقدم الركن عزيز أحمد شهاب والرئيس الركن داود سيد خليل ونفذ حكم الإعدام فيهم في ميدان رمي الجيش في أم الطبول التي كانت وقتذاك ويقع فيها الآن جامع أم الطبول كانت أرضاً للتدريب العسكري والرمي بالذخيرة الحية نفذ الحكم فيهم وفي عدد من ضباط اللواء الخامس وهم:

- ١ - العقيد خليل سلمان.
- ٢ - المقدم الركن علي توفيق.
- ٣ - المقدم إسماعيل هرmez.
- ٤ - الرئيس الأول (الرائد) توفيق يحيى آغا.
- ٥ - الرئيس الأول حميد مجيد الجلبلي.
- ٦ - الرئيس (النقيب) يحيى حسين الحماوي.
- ٧ - الملازم الأول زكريا طه.
- ٨ - الملازم الأول حازم خطاب.

بقي ان نشير إلى أن الرئيس نافع داود الذي يصفه السيد ياسين الحسيني بـ (الضابط الأعمى) قد فقد بصره إثر قصف خالد سارة لمقر اللواء الخامس فأصابته الشظايا في عينيه وكان منظره مأساوياً حضوره المحكمة وقد عصبت عيناه، وكان قد خطب

فتاة معلمة زميلة لأختي الكبرى ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن كما أنه لم يعدم مع وجبة الطبقيلي بل أعدم في أم الطبول كذلك فجر الخامس والعشرين من آب، ١٩٥٩ مع وجبة أخرى من الضباط وهم:

١ - محمد أمين عبد القادر.

٢ - سالم حسين.

٣ - محسن حسين عموري.

٤ - مظفر صالح.

في حين نفذ حكم الإعدام في الوقت ذاته بالمدني الذي تولى إذاعة بيانات الثورة من محطة إذاعة محلية بالموصل، فاضل فهد الشكرة، في سجن بغداد المركزي بباب المعظم والذي أصبح مبنى لوزارة الصحة.

ومن أراد الاستزادة فيأمكنه العودة إلى كتابي (المرء يلقي عصا. ترحاله) الصادر عن دار فضاءات في عمان سنة ٢٠١٣.
تلك أمة خلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
- رحمهم الله تعالى ورحمنا-

نشرت في جريدة المشرق

الأحد الموافق ١٣ من تموز ٢٠١٤

العدد ٢٩٧٣

انهيار ألمانيا في الحرب الثانية

كيف وصل الكيلاني إلى السعودية واستجار بملكها عبد العزيز؟

بعد الخطأ القاتل الذي ارتكبه مستشار الرايخ الألماني الثالث أدولف هتلر بفتح جبهة أخرى في الحرب ضد الاتحاد السوفييتي في حزيران ١٩٤١، هو الذي أسكرته نشوة الانتصارات الصاعقة التي كانت تحققها جيوشه الباسلة، والمطبعة لأوامره طاعة عمياء، فها هي الدول تتهاوى تحت بساطيل جنوده حتى أنه احتل بولونيا في بدء الحرب في عشرة أيام، وها هي فرنسا تتهاوى ولم يحمها خط ماجينو ذائع الصيت، فما أن فتح الجبهة ضد الاتحاد السوفييتي، حتى بدأت الدوائر تدور على الجيوش الألمانية، منذ معركة ستالينغراد الفاصلة، وبسبب قسوة الجو وبرودته تحت الصفر فأدى إلى صعوبة تموين الوحدات المتقدمة بالخدمات اللوجستية، ومن ثم وقوع قوات ضاربة مهمة في الأسر وما يتركه الأسر في نفوس المقاتلين من هزيمة نفسية، تؤدي إلى هزيمة في ميادين القتال، ومنذ صمود ستالينغراد أمام القوات الألمانية الزاحفة، حتى طفت على السطح حقيقة أن المانية ستؤول إلى خسارة الحرب، وإنها ستنتقل وشيكاً إلى الأراضي الألمانية، إزاء هذا التطور الخطير، بدأت الشخصيات والأسر العراقية التي لجأت إلى ألمانيا بعد فشل حركة مايس ١٩٤١، بالتفكير جدياً بأمر مغادرة المانية، إذ من المعروف للدارسين، إن العلاقة التي تآزمت بين قادة الجيش، والذي

عرفوا بالمرجع الذهبي وهم العقدا: محمود سلمان قائد القوة الجوية،
وصلاح الدين الصباغ، ومحمد فهمي سعيد وكامل شبيب، ورئيس
الوزراء رشيد عالي الكيلاني، والوزير محمد يونس السبعاعي من
جهة والبلاط ممثلاً بالوصي على العرش العراقي الأمير عبد الإله من
جهة أخرى، وإزاء اشتداد الخلاف بين الطرفين، فقد اضطر الوصي
إلى مغادرة بغداد نحو مدينة الديوانية مستجداً بقائد الفرقة الأولى
الذي لم ينجده فاضطر ثانية للرحيل نحو البصرة، وكان صالح جبر
متصرفها، وإذ وجد الحال يسوء شيئاً فشيئاً فقد توجه إلى عاصمة
مملكة شرقي الأردن للاستجداء بعمه الملك عبد الله، الذي انجده
بقوات يقودها الجنرال كلوب باشا، تساندهم القوات البريطانية
المسكرة في قاعدة سن الذبان (الحبانية)، في حين قاد المجاهد
الفلسطيني (فوزي القاوقجي) المتطوعين الشباب لنصرة الجيش
العراقي، الذي كان يخوض حرباً غير متكافئة، من ناحية العدة
والعدد، مما أدى إلى هزيمة الوحدات العراقية المقاتلة، ومن ثم عقد
الهدنة بين الجانبين، يوم ٢٩ مايس ١٩٤١، وتوجه القادة ورشيد عالي
نحو الحدود الإيرانية، ومن ثم الوصول إلى المانية، في حين ظل المدني
الوحيد محمد يونس السبعاعي، يقود المقاومة ضد القوات البريطانية،
ومن ثم إعدامه، وكان مع الهاربين الحاج أمين الحسيني رئيس الهيئة
العربية العليا لفلسطين.

تدهور الجبهة

لقد اقترح كامل الكيلاني، على شقيقه رشيد عالي، وهو
يرى التدهور في جبهات القتال ضرورة مغادرة الأراضي الألمانية،

لكن رشيداً لدواع أخلاقية، لم يقبل بهذه الفكرة التي تنم عن الغدر بالصديق أيام الشدة، وكان أمين الحسيني يؤيد رشيداً في رأيه هذا.

لكن تطور الحرب، دفعت القيادة الألمانية للتفكير جدياً بذلك، لذا اقترحت نقل الأسر من العاصمة برلين إلى منطقة قريبة من مدينة درسدن الجبلية التي تقع وسط المانية، لكن المفاجأة أن الطائرات الأمريكية والبريطانية قصفت مدينة درسدن حتى سويت بالأرض، إذ أن الحلفاء كانوا يظنون أن معامل صنع القنبلة الذرية ستقام في هذه المدينة، أو أنها مقامة فيها، هذا السلاح الذي كان هتلر يهدد خصومه بقرب إنتاجه والذي كان يسميه (الماء الأبيض) ولو أمتد عمر الحرب أكثر من سنة ١٩٤٥، لتمكن العلماء الألمان من إنتاج هذه القنبلة الذرية، الذين كان يقودهم عالم الذرة الألماني (أوبنهايمر) الذي نقلته القوات الأمريكية بعد احتلال برلين إلى الولايات المتحدة ليواصل تجاربه، وليمكن أمريكا من الدخول إلى نادي الذرة أول مرة، وكان ظن الحلفاء خاطئاً، فدرسدن ما كانت فيها مفاعلات ذرية، إزاء هذا قررت الحكومة الألمانية، نقل الأسر العربية اللاجئة إلى دول محايدة، هي سويسرة لكن سويسرة رفضت دخولهم، فظلت هذه المجاميع عالقة على الحدود، فضلاً على أعداد كثيرة من الناس ومن جنسيات عدة، تريد مغادرة المانية- وقد بانث هزيمتها- إلى مكان آمن.

في اليوم الثاني من علوقهم على الحدود، قرر رشيد عالي التوجه باتجاه الشرق، لأن القوات الأمريكية كانت تتقدم من

الجهة الغربية، وكان رشيد يفضل الوقوع أسيراً بيد القوات السوفيتية، وهي تتقدم على جبهة الشرق، على ان يقع أسيراً في يد القوات البريطانية أو الأمريكية. التي ستسلمه إلى الحكومة العراقية، التي حكمت عليه بالإعدام، بسبب قيادته لحركة مايس، وكان معه الطيار العراقي إبراهيم جواد والسوري ممدوح الميداني، حدث ذلك في شباط ١٩٤٥، والحرب في أسابيعها الأخيرة، وبهذا انقطع كل أثر عنه ومنه، لكن الدارسين لتاريخ العراق الحديث، يقررون أنه أمضى رداً من الزمن في ضيافة العاهل السعودي المؤسس عبد العزيز آل سعود، بعد أن استجار به، فأجاره الملك السعودي، على جاري عادة العرب، في قبول الاستجارة حتى وإن كان بينهما سوء تفاهم، أو أشد وطأة من ذلك، إذن كيف وصل رشيد عالي إلى المملكة؟ وهذا ما قرأته في كتاب رصين زاخر بالمعلومات الموثوقة، كتبه الدكتور نجم الدين السهروردي، الذي رافق رشيداً في منفاه والمتزوج من كريمته السيدة وداد رشيد عالي الكيلاني عنوانه (التأريخ لم يبدأ غداً) الذي صدرت طبعته الثانية في ٢/ مايس، ١٩٨٩، في الذكرى الثامنة والأربعين لحوادث سنة ١٩٤١، يقول الدكتور نجم الدين. في شباط من سنة ١٩٤٦ سمعت من إذاعة النمسا ان رشيد عالي وصل إلى السعودية أما كيف وصل، فهذا ما يرويهِ نقلاً عن صهره رشيد عالي، فبعد مغادرته منطقة التيرول، توجه نحو براغ بصحبة شخص عراقي اسمه حمدي الخياط، وما أن اقتربت القوات السوفيتية من براغ وهي تغد هجومها نحو برلين عاصمة المانيا،

والرايخ الثالث بغرض إنهاء الحرب، والسيطرة على ما تمكن السيطرة عليه من الأراضي التي احتلها جيش هتلر النازي، حتى رجاء حمدي الخياط، مغادرتها خشية الوقوع في الأسر، فغادرها نحو إحدى القرى الجيكية، وظل فيها نحو شهر، وكان معه شخصان سوريان هما، ممدوح الميداني وجميل الجابي، واستطاع الحصول على هوية تؤيد كونه طالباً تركياً.

بعد مضي أشهر أصدرت قوات التحالف، قراراً بشأن إمكان الأ جانب الرجوع إلى بلدانهم، لذا تقدم جميل الجابي وممدوح الميداني بطلب المغادرة نحو بلدهما سورية، وقدم رشيد طلباً كونه تركياً، ولهذا ركبوا الطائرة من براغ إلى بروكسل، ومن ثم وصلوا باريس بالقطار، ثم بناء على أوامر الحلفاء تقرر تجميع اللاجئين في معسكر بمرسيلية تمهيداً لنقلهم إلى بلدان الشرق.

إثارة الريبة

غير إن هوية رشيد، التي تشير إلى كونه تركياً تثير الريبة والتساؤل، فلماذا يسافر هذا التركي إلى مرفأ بيروت من غير السفر إلى تركيا بلاده؟! لذا فإنهم توصلوا إلى خدعة مفادها ان ينتحل رشيد صفة عتال، حَمال على ظهر السفينة، واستطاع الصعود إليها بهذه الصفة، والسفينة تبحر نحو بيروت، التي كانت وقتذاك (١٩٤٦) تحت الحماية البريطانية، وهنا برزت معضلة أخرى إذ كيف يستطيع التنقل من غير هوية؟ واستطاع بمساعدة زميليه جميل الجابي وممدوح الميداني ملء بطاقة المعلومات من هوية

شخص آخر، واستطاع النزول إلى ارض الميناء، حيث أسرع بالمغادرة نحو سوريا للإقامة في دار شقيقه، لكن سلطات الميناء اكتشفت الخدعة التي انطلت عليها، واحتجزت المسافرين للتدقيق والتحقيق، في وقت كان رشيد قد غادر بيروت نحو دمشق!!

كان رشيد يريد الوصول إلى السعودية، بعد ان تقطعت بوجهه السبل، لذا تمكن وبمساعدة صديقه جميل الجابي من الحصول على هوية سورية تشير إلى انه من أهالي منطقة ألبو كمال، وبهذه الهوية غادر الأراضي السورية، ودخل الأراضي العراقية بحجة بحثه عن أغنام ضائعة، وإذ ارتابت شرطة الكمارك العراقية به أوقفته لكن ما لبثت ان أفرجت عنه وضيفته بعد ان انطلت عليها ادعاءاته وإنه يبحث حقاً عن أغنامه التي فقدها، وبهذه الحجة دخل الأراضي الأردنية ليغادرها نحو الأراضي السعودية من منفذ تبوك الحدودي وما أن وصل أول مدينة سعودية، حتى أخبر أميرها، مدعياً أن وفداً سورياً يريد مقابلة جلاله الملك عبد العزيز آل سعود، وإذ وصل العاصمة الرياض كان الملك عبد العزيز على وشك المغادرة متجهاً إلى مكة لشأن من شؤون الدولة، فأخبروه بموضوع الوفد السوري الزائر، بغية مقابلته، وإذ أذن للوفد بذلك كما يذكر الدكتور نجم الدين السهروردي نقلاً عن قريبه وصهره رشيد - ومصافحة الملك، اسفر رشيد عن حقيقته، مستغلاً شمائل الملك العربي المسلم، في الإجارة وتلبية لهف المستجير، قال رشيد (طال عمرك أنا رشيد) فنظر إليه الملك ملياً، سائلاً إياه أنت رشيد عالي الكيلاني؟ أجاب رشيد: نعم ثم أغمض

الملك عينيه ليتفكر وقال له: (أسلمت يا رشيد)! ولعله كان يتفكر في الاحبولة التي انطلت عليه، وأنه ليس بخب، فكيف غلبه هذا الخب الماكر الذي لعب على كل حبال السياسة؟ ولكن... لا ساعة مندم، فلقد سبق السيف العذل ليعيش رشيد سنوات عدة تقرب من العقد زمناً في المملكة، حتى إذ صعد نجم الرئيس جمال عبد الناصر غادرها ليقوم في الإسكندرية وليعود إلى العراق في شهر آب ١٩٥٨، وكنت من ضمن مستقبله في تلك الظهيرة القائظة من يوم الجمعة ثم يتهمه قاسم بالتآمر عليه في ١٩٥٨/١٢/٨ ليحال إلى المحكمة العسكرية الخاصة برئاسة العقيد فاضل المهداوي فحكم عليه بالإعدام، ثم ليطلق سراحه ليموت في نهاية شهر أيلول من سنة ١٩٦٥.

وتلك الأيام نداولها بين الناس.

نشرت في صحيفة الزمان

السبت ٢٠ من شوال ١٤٣٥هـ / ١٦ من آب ٢٠١٤

العدد ٤٨١

ومات ضابط الموساد الشهير مؤسس وحدة كيدون

هراري يقود صراعاً خفياً بين المقاومة الفلسطينية والمخابرات
الإسرائيلية.

وأنا جالس مع زميلي وصديقي المثقف والقارئ الجيد عثمان محمد المرزوك في مقر عملنا، وأصابع يده تحرك فأرة الحاسوب، توقف ليخبرني نبأ موت ضابط الموساد الإسرائيلي (هيراري) مردفاً أخباره بسؤاله لي هل سمعت باسمه، هل تعرف عنه شيئاً؟ أجبته: إن اسم (هراري) لم يطرق سمعي لكنني أردفت بوصفه ضابطاً مهماً في الموساد، لعل هو الذي كان وراء مطاردة القادة الفلسطينيين في العالم بعد أحداث ميونخ في شهر أيلول / ١٩٧٢، وما هي إلا هنيهة حتى واصل قراءة الخبر ليؤكد ما ذهبت إليه، وفي صبيحة اليوم التالي الثلاثاء ٢٣ / من أيلول ٢٠١٤ قرأت في الصحف ولاسيما (الزمان) نبأ وفاة ضابط الموساد الشهير (مايك هراري) ولأقرأ إن (هراري) الذي نشط في القوات العسكرية الإسرائيلية قبل قيام الكيان الصهيوني سنة ١٩٤٨، ثم تابع عمله في الجيش الإسرائيلي قبل ان ينتقل إلى جهاز (الموساد) وهو الجهاز المكلف بحماية أمن إسرائيل في الخارج، وإنه مايكا (مايك) هراري مؤسس وحدة (كيدون) المكلفة بعمليات مطاردة من يشكلون خطراً على إسرائيل.

وأنا أقرأ هذا، عادت إلى ذهني ذكريات الحرب الصامتة التي

جرت بين فصائل المقاومة الفلسطينية وجهاز الاستخبارات الخارجية (الموساد) هذا عقيب حرب حزيران / ١٩٦٧ وعملية اختطاف الطائرات التي قادتها (ليلى خالد) وخطف طائرتين في أيلول / ١٩٧٠ ونسفها في الصحراء الأردنية، ما أدى إلى انزعاج الحكومة الأردنية الشديد، كما تذكرت اختطاف ثلاثة رجال وفتاة واحدة ينتمون لمنظمة أيلول الأسود طائفة للركاب وغيروا اتجاهها نحو مطار اللد، وطالبوا بإطلاق سراح مئة من المعتقلين في السجون الإسرائيلية، وبعد ثلاثة وعشرين ساعة من الاختطاف، هاجمت قوة من الكوماندوز الإسرائيلي الطائرة البلجيكية المختطفة، وقد تنكر رجال الكوماندوز بهيئة عمال فنيين كلفوا بفحص إطارات الطائرة وملئها بالهواء، وكانوا يستخدمون في عملياتهم المخادعة هذه إحدى سيارات الإسعاف، حدث ذلك في التاسع من أيار / ١٩٧٢ وما هي إلا أيام حتى قامت مجموعة من الشبان اليابانيين من عناصر الجيش الأحمر الياباني، وكلهم من مواليد عام ١٩٤٩ بركوب طائرة من مطار روما وما لبثوا أن طلبوا من قائدها التوجه نحو مطار اللد كذلك وأمطروا قاعة استقبال المسافرين بوابل من الرصاص، وتوجه آخر لأطلاق الرصاص والقنابل على طائرة إسرائيلية كانت جاثمة على أرض المطار، وصادف ان نزلت في الوقت نفسه طائرة أخرى، فأطلقوا النار، فقتل أحدهم، وانتحر الثاني، فيما القي القبض على الثالث، وما زال (أكوموتو) سجيناً منذ ذلك الوقت الحادي والثلاثين من شهر أيار / ١٩٧٢ ورداً على هذه الهجمات - كما يبدو - فقد اغتال

الموساد الإسرائيلي يوم الأحد التاسع من تموز/ ١٩٧٢ الأديب
والمناضل الفلسطيني غسان كنفاني، إذ وضعوا عبوة ناسفة ربطت
بمشغل سيارته، فما أن هم بتشغيلها قتلته، ومن كان معه، وكان
الموساد قد خاض حملات ملاحقة واغتيال ضد رموز فلسطينية في
العواصم الأوربية ويبدو أن هذا كان بتوجيه من مايك هراري
وإشرافه الشخصي كما قرأناه في خبر نعيه رداً على الهجوم الذي
نفذه عناصر من منظمة أيلول الأسود، ضد البعثة الإسرائيلية
الرياضية المشاركة في الدورة الأولمبية العشرين، التي افتتحت
أعمالها يوم السبت السادس والعشرين من شهر آب/ سنة ١٩٧٢،
وإذ هاجم عناصر من منظمة أيلول الأسود مقر بعثة الفريق
الإسرائيلي في القرية الأولمبية بميونخ، يوم الثلاثاء الخامس من
أيلول، فقتلوا اثنين من أعضائها، واحتجزوا تسعة آخرين، وطالبوا
بإطلاق سراح مئتي سجين في السجون الإسرائيلية، بضمنهم
الياباني المحكوم مؤبداً (أكوموتو) الذي أشرت إليه آنفاً، إلا أن
قناصة تابعين للشرطة الألمانية فتحوا النار على الخاطفين
الفلسطينيين، بغية تخليص المخطوفين الإسرائيليين، فنشبت
معركة قتل فيها المخطوفون التسعة وخمسة من الخاطفين فيما
القي القبض على آخرين، وتوقفت الدورة الأولمبية في ذلك اليوم
واستأنفت ألعابها في اليوم التالي، فيما غادرت البعثة المصرية
الرياضية ميونخ عائدة إلى الوطن، ورداً على هذه الأعمال، قصف
السلح الجوي الإسرائيلي مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في
لبنان، وصف بأنه أعمق توغل جوي تقوم به إسرائيل منذ حرب

حزيران / ١٩٦٧ ، كما تعرضت منطقة الهامة وميسلون في محافظة دمشق وبعض المناطق في اللاذقية وحتى حماه إلى قصف جوي طال المخيمات ، فقد بدأ الموساد بعمليات اغتيال محددة ومنظمة ، إذ بدأت باغتيال ممثلي الثورة الفلسطينية في العواصم الاوربية ، إذ جرت محاولة لأغتيال محمود الهمشري ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في باريس ، من خلال رسالة ملفومة انفجرت بين يديه وقرأت نعيه في صحفنا يوم الثلاثاء ٩ / كانون الثاني / ١٩٧٣ ثم اغتيل (وائل عادل زعيتر) مدير مكتب حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) في روما ، حينما كان يهيم بدخول المصعد نحو شقته ، أطلقوا عليه اثنتي عشرة رصاصة اخترقت ظهره ، لقد سقط أرضاً وهو يحمل أوراقاً لعلها جريدة أو مجلة ، وما زلت احتفظ بصورته ، وقد سال دمه على الأرض التي توسدها وائل عادل زعيتر نشرتها مجلة (اليقظة) الكويتية ، وأنا على يقين إن طائفاً كان يطوف بوائل وهو يسقط أرضاً ، إن هذه الأرض غريبة ، وما أسعدني لو مت على أرض فلسطين وتوسدتها وتوسدتنى.

وجاءت قاصمة الظهر المؤلمة فجر الثلاثاء العاشر من نيسان / ١٩٧٣ إذ هاجمت قوة من الكوماندوز الإسرائيلي محمولة جواً مكاتب المقاومة الفلسطينية في بيروت ، فقتلت الناطق الرسمي بلسان منظمة التحرير الفلسطينية كمال ناصر ، كما تمكنت من قتل المناضل كمال عدوان أحد قادة (فتح) فضلاً على أبي يوسف محمد يوسف النجار ، رئيس اللجنة العليا لشؤون الفلسطينيين في لبنان ، وقد سمعنا في الأخبار أن القائمة كانت

تشمل ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير، الذي نجا من عملية الاغتيال.

وفي صباح يوم الجمعة ١٣ / ٤ / ١٩٧٣ شاركت في تشييع جثمان الدكتور باسل رؤوف الكبيسي مدير مكتب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في باريس الجناح العسكري لحركة القوميين العرب الذي انطلق من دارة أبيه بالوزيرية حتى مثواه في مقبرة الشيخ جنيد بالكرخ، كذلك اغتيل مدير مركز الأبحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية وكان مقره في بيروت، وتصدر عنه مجلة شهرية رصينة عنوانها (شؤون فلسطينية) اغتيل الدكتور انيس صايغ برسالة ملغومة فضلاً على قائد قوات منظمة الصاعقة التي كانت تمولها سورية محسن إبراهيم خريف سنة ١٩٧٦ ولعله يوم الاحد ٢٢ / ٨ / ١٩٧٦ على شواطئ الريفيرا، ويوم سمعت خبر اغتياله من إذاعة مونت كارلو ليلاً، تساءلت ونفسي: ما شأن المناضلين أصحاب قضية تحرير الأوطان من الاستيطان، ما شأنهم بشواطئ الريفيرا ومنتجعاتها الباهرة الزاخرة بالقيان وأجساد الحسان، واضعين في الحسبان ان محسن إبراهيم كان يؤم المنطقة وحيداً إذ تخفف من حراسه ومرافقيه، إذن لاريب إنها لحظة من لحظات الضعف الإنساني المميتة، وإن لكل إنسان مهما علا شأنه نقطة ضعف مؤذية، وكانت لدى محسن إبراهيم مميتة.

هذا ما طرأ على ذهني وأنا أقرأ خبر وفاة مايك هيراري، غير ناسٍ عملية مطار عين تيبة، حيث اختطف طائرة تابعة لشركة الطيران الفرنسية إلى ذلك المطار أيام الرئيس الأوغندي نصف

المجنون (عيدي أمين) فطاردها الكوماندوز الإسرائيلي وتمكن من إفشال المهمة التي قام بها الخاطفون وبأمر مباشر من (اسحق عوني) رئيس الموساد الإسرائيلي آنذاك ١٩٧٦ والذي توفى قبل هراري بنحو أسبوع...

وفي شهر كانون الثاني ١٩٧٨ ، تمكن الموساد من اقتصاص علي حسن سلامة مسؤول الحرس الخاص لياسر عرفات ، في بيروت بعد إفلاته من عدة محاولات اغتيال وجدير بالذكر ان سلامة كان زوجاً لملكة جمال لبنان سنة ١٩٦٧ ، جورجينا رزق وأراه كذلك نوع من أنواع العنف الإنساني وفي حزيران من العام ذاته اغتيل ياسين علي ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في الكويت أمام منزله ، ويجب ان لا ننسى عملية الاغتيال الواسعة التي استهدفت (أبو جهاد) في تونس في نيسان / ١٩٨٩ ، بعد انتقال قيادة المقاومة من بيروت إلى تونس ، وما زال في الذاكرة اغتيال (أبو إياد) في اليوم الذي اندلعت حرب الخليج الثانية في ١٧/١/١٩٩١ فلم يقف العالم عند هذا الحادث الجلل بسبب انشغاله بالحرب على العراق.

نشرت في صحيفة الزمان

في ١٩ من ذي الحجة ١٤٣٥هـ ١٣ من تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠١٤ -

العدد ٤٩٢٥

نقاش هادئ مع جواد غلوم

أسرار وتداعيات فرهود اليهود ١٩٤١ وقضايا التهجير

منذ سنوات وأنا أتابع نتاجات الأديب الشاعر جواد كاظم غلوم، الذي طوحت به الدنيا، وكلنا طوحت بنا هذه الدنيا القاسية في هذا البلد المضطرب منذ سنة ١٩٥٨، إذ أنطلق الشر الإنساني من عقاله لا يلوي على شيء، بعد أن أخترم أسس الحياة الرصينة التي كان الملوك يريدون بناءها لهذا البلد المسكين، أقول: قرأت في مقالاته وأشعاره، نفساً طيباً محباً للعراق وأهله، على الرغم من قسوة الحياة التي ضربته، وضربت كل شريف في هذا البلد، ويوم كنت أعمل في (الزمان) كنت حريصاً على الاعتناء بقصائده، كي لا يتسرب الخطأ الطباعي إليها، وإذ غادرتها، كنت حريصاً على قراءة ما يكتب هذا الرجل، وآخر ما قرأت دراسته الضافية الوافية المنشورة على الصفحة الرابعة عشرة من عدد (الزمان) الصادر في يوم الأربعاء ٣ / من صفر الخير/ ١٤٣٦هـ / ٢٦ / من تشرين الثاني / ٢٠١٤ وحملت عنوان (مليون شخص سفروا من التبعية إلى إيران خلال السبعينات -الأقليات العرقية والأثنية في العراق... تهجير دائم في المنافي) ولقد رأيت التعليق على فقرة واحدة، أو أخرى، مما ورد في هذه الدراسة توضيحاً وتوخياً للدقة ولاسيما نحن نناقش قضية أصبحت وديعة في ضمير الزمن والتاريخ وحقائق الحياة والأشياء راجياً تقبلها بقبول حسن، ليقيني بأن الاختلاف في الرأي لا ولن يفسد الود والاحترام.

قال الشاعر الكاتب جواد غلوم: (مارس العراقيون في تاريخهم القديم والمعاصر عمليات غاية في القسوة تجاه الأقليات العرقية والأثنية على مر العهود التي مرت ببلادهم من التهجير القسري والتسفير والطرد خارج الحدود والسبي والاستعباد للشعوب المستضعفة عادة توارثوها منذ عهود سحيقة في القدم وما زالت مستمرة حتى وقتنا الحاضر فمنذ نهاية الأربعينات من القرن المنصرم شنت حملات ومداهمات وإرغاب اليهود العراقيين بهدف تهجيرهم عنوة إلى إسرائيل الناشئة حديثاً وقتذاك وقد رافقتها عمليات سلب أموالهم والاستحواذ على ممتلكاتهم مما سمي بـ (الفرهود) في حينها وكأن التاريخ الآن يعيد نفسه عندما شن الآشوريون والبابليون عمليات السبي الأشد وطأة من التهجير...).

أقول: إننا وفي مناقشة لعمليات التهجير والسلب والنهب التي تعرض لها اليهود العراقيون يجب ان نكتب بدقة ، ونحسب للكلمة حسابها ، لأنها شهادة العصر للأجيال القادمة ، إذ أن هناك خفيا وظواهر لمثل هذه الأمور الدقيقة والحساسة في حياة الشعوب والأمم ، وألا نأخذ بالظاهر، بل يحثاً عن بواطن الأمور وخفاياها ، فإذا كان لبعض الجهال والمتعصبون دورهم في عمليات الإقصاء والتهجير، فيجب ألا ننسى عمليات الترهيب والترغيب التي قامت بها الجهات الأمنية الإسرائيلية لحث اليهود العراقيين وإغرائهم على الهجرة ، في وقت كان الكيان الصهيوني بحاجة إلى الجهد البشري لتسيير عجلة الحياة في الكيان الوليد ، الذي يعاني نقصاً بشرياً مما هو معروف لمن درس التاريخ العراقي الحديث ، ولا أدل

على ذلك من جهود المؤرخ شامل عبد القادر التي نشرها منذ عقود في مجلة (ألف باء) العراقية وأجراء مقابلات مع رجال الشرطة والأمن لتلك السنوات، ويجب ألا ننسى سخف وخطل القرار الذي أصدرته الحكومة العراقية وقتذاك بإسقاط الجنسية عن اليهود العراقيين، مما دفعهم إلى الهجرة السريعة نحو فلسطين المحتلة، ويجب أن ندرس هذا القرار الغبي، هل هو صادر عن غباء وقصر نظر، أم أن وراء الأكمة ما وراءها؟ إذن المسألة خطيرة ومتشعبة ويجب ألا نأخذ الأمور بظواهرها، ترى هل غابت عن بالنا قضية الثري اليهودي شفيق عدس، الذي اتهم بشراء العتاد والسلاح الذي خلفه الجيش البريطاني في قاعدة الشعبية القريبة من البصرة، إثر انسحابه منها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية في ٨ / من مايس / ١٩٤٥، ومن قبلها انتهاء أحداث مايس / ١٩٤١، وهروب قادة التمرد إلى خارج العراق، هذه قضية إشكالية أخرى بحاجة إلى مداورة ومناقشة، ولولا إصرار صادق البصام وسفره إلى البصرة لمتابعة محاكمة شفيق عباس عدس، وتنفيذ حكم الإعدام فيه لفلت عدس، إذ كانت تبذل جهود مؤثرة ومضنية لإنقاذ عدس من حبل المشنقة، هل كان عدس بريئاً، لماذا أعدم وحده في حين كان له شركاء غير يهود؟ وأسئلة أخرى، لكن الواقعة الحقيقية والمؤسفة ما حدث يوم الأول من حزيران سنة ١٩٤١، حيث هاجم الغوغاء والفوضويون مساكن اليهود العراقيين في محلات أبي سيفين والتوراة وبنى سعيد وأبو دودو وغيرها، لكن يجب أن لا يؤخذ هذا العمل المشين منعزلاً عن الظروف السياسية والحياتية

العامّة، التي أعقبت انكسار الجيش العراقي، أمام القوات البريطانية التي تدخلت لإعادة الأمور إلى نصابها، بعد تمرد وحدات من الجيش العراقي على سلطة الوصي على عرش العراق الأمير عبد الإله بن علي، مما فصلته في كتابي (المرء يلقي عصا ترحاله - قراءات في كتابات) الذي أصدرته دار فضاءات الأردنية عام ٢٠١٣ ففي ذلك اليوم ١ / من حزيران / ١٩٤١ عاد الوصي على عرش العراق الملكي الأمير عبد الإله بن علي بن الحسين بن عون الهاشمي، إلى بغداد قادماً من مملكة شرقي الأردن بعد ان آلت حركة رشيد عالي الكيلاني، والعقداء الأربعة إلى الفشل فمن المعروف للدارسين والمنقبين في حوادث العراق الحديث، تلك التطورات ونتائجها المأساوية والدموية السريعة، التي حكمت العلاقة بين رشيد عالي والعقداء الأربعة: محمود سلمان قائد القوة الجوية، وصلاح الدين الصباغ، ومحمد فهمي سعيد، وكامل شبيب يساندهم الوزير محمد يونس السبعراوي من جهة، والبلاط ممثلاً بولي العهد الأمير عبد الإله من جهة أخرى، مما أدى إلى تفاقم الخلاف بين الطرفين، ومن ثم مغادرته بغداد، نحو مقر الفرقة الأولى في مدينة الديوانية، وإزاء اشتداد الأزمة غادر الديوانية نحو البصرة أيام متصرفها صالح جبر، ولما حاول الإنقلابيون المتمردون مراقبته وتضييق تحركاته ومن ثم محاولة إلقاء القبض عليه غادرها نحو عمان، حيث عمه الملك عبد الله بن الحسين، ومن أجل أن يضيء الإنقلابيون أو الثوار أو ما شئت أيها القارئ وأيتها القارئة أن تطلق من صفات ونعوت، أقول: ومن أجل

إضفاء الشرعية الدستورية على حركاتهم فقد عقدوا بالوصاية على العرش للشريف شرف، وكان قد بلغ من الكبر عتياً، بسبب شغور المنصب لمغادرة الوصي عاصمة ملكه بغداد نحو عمان، وما أدى ذلك إلى استعارة النزاع وتدخل القوات البريطانية المعسكرة في قاعدة سن الذبان (الحنانية) لمساندة الشرعية الدستورية، وحصول قتال غير متكافئ بين قوات جيشنا الباسل قليل العدد والعدد وبين القوات البريطانية، التي انطلقت من قاعدة سن الذبان للوصول إلى بغداد هذه الحوادث اندلعت في الثاني من مايس / ١٩٤١، لتنتهي نهايتها المأساوية والمعروفة سلفاً بانهايار مقاومة الجيش العراقي ومغادرة العقداء الأربعة ورشيد عالي بغداد، نحو إيران، وعقد هدنة بين الطرفين في التاسع والعشرين من الشهر نفسه، مايس / ١٩٤١، وإذ أعلنت عودة الأمير عبد الإله إلى بغداد في الأول من حزيران / ١٩٤١ خرج اليهود العراقيون فرحون مستبشرون بعودته، مما أثار حنق بعض الناس وغضبهم، وسبب فرحهم أنهم كانوا يتوجسون خيفة من توجهات قادة الجيش الذين ذكرتهم آنفاً، يؤازرهم رئيس الوزراء رشيد عالي، نحو ألمانيا الهتلرية، التي كانت تخوض حرباً شرسة ضد دول الحلفاء، ولاسيما بريطانيا، بعد احتلال الألمان لفرنسا، وتشكيل (حكومة فيشي) الموالية لهتلر، فضلاً على تحركات السفير الألماني في بغداد (فريتزغروبة) وتطلعات وزير الخارجية الألماني (يواكيم فون ريبنتروب) والتعهدات التي قطعها السفير (غروبة) على نفسه وحكومته لمساندة الحركة الانقلابية كانت تثير خوف اليهود وحفيظتهم، لكن تعهدات

غروبة كانت لغو صيف وسحابة، إذ ما أن اندلعت الحرب بين الجيش العراقي والقوات البريطانية، حتى أقلعت هاربة الطائرات الألمانية التي كانت جاثمة في أنحاء الموصل، وليس بخاف الكره الأوربي والألماني عموماً ولاسيما النازي الهتلري لليهود، لذا رأى اليهود العراقيون أن اندحار الحركة بمثابة نصر لهم لذا هياؤوا أطفالهم والبسوهم ملابس بيضاً وجعلوهم على جانبي الطريق من المطار المدني، القريب من محطة السكك العالمية حالياً، وحتى جسر الصالحية، اصطف الأطفال اليهود بملابسهم البيض حاملين وروداً بيضاً وأزاهير بأيديهم، مما أثار حفيظة الناس أو بعضهم، الذين ساءهم ما آل إليه الأمر، فهاجموا دور اليهود ونهبوا بعض الممتلكات المنقولة فتدخلت الشرطة وقوات الأمن بعد سويغات من بدئها، لتعيد الهدوء والطمأنينة لأرجاء العاصمة التي أفجع شرفاءها هذا الحادث الجلل المؤلم والمخجل وهذا هو ديدن الناس ودابهم في كل الأزمنة والأمكنة يستهويهم المال الحرام إلا من رحم ربي، ومنعه خلقه وضميره من إتيان المحرم ومقارفة المنكر والمرفوض شرعاً سماوياً، وقانوناً أرضياً وضعياً وضعه البشر لتمشية أمور الحياة الدنيا.

نشرت في صحيفة الزمان

الأربعاء ٢٤ من صفر ١٤٣٦هـ - ١٧ من كانون الأول ٢٠١٤

العدد ٤٩٧٧

العلوي ودفء المكتبة البعد عن السياسة وخلوة الذات تنتجان كتباً

يوم غادر الناقد الأنيق والأديب المكتنز بالمعرفة والثقافة والنزاهة مؤيد الطلال، عالم الكتابة والنشر لأسباب ذاتية وموضوعية، لا أرى ضرورة للحديث عنها، كتبت مقالة ادعوه فيها للعودة إلى هذا العالم الأثير إلى قلبه، فما أحوج حركة النقد والثقافة في العراق والوطن العربي، إلى دقة قلمه ونزاهته، وإن الكتابة لا تتأتى إلا للقلّة القليلة، ممن حباهم الله بموهبة الدرس والكتابة، وقد سرني أن يعود، فنشر سلسلة من المقالات النقدية في جريدة (الزمان) وهامو كتابه (عبد الملك نوري: ريادة فنية وسايكولوجية في القصة العراقية) بين يدي والصادر عن اتحاد الكتاب العرب في سوريا وفي ضمن سلسلة الدراسات بطبعته الأولى سنة ٢٠١٢، ولأنه الآن نزيل سوريا العربية فيواصل الكتابة في مجلاتها الثقافية (المعرفة) و(الموقف الأدبي) و(الأسبوع الأدبي) فألى جانب النقد، كتب قصصاً قصيرة مثل (قصتي مع فيروز) و(حياة.. حياة). واذ رأيت انشغال الباحث والمفكر حسن العلوي، حين عاد إلى العراق، بعد غربة طويلة، رأيت إنشغاله بالسياسة، وتركه دنيا الكتابة، وفوزه بالنيابة التي كانت مشغلة إياه، كتبت مقالا عنوانه (العلوي بين السياسة والكتابة) دعوته كما دعوت مؤيد (جواد كاظم) الطلال، للعودة إلى عالم البحث، حيث يغدق علينا كل عام كتاباً ثرياً، فما أكثر السياسيين في

بلدنا، لكن ما اقل الباحثين والمفكرين والدارسين، فالسياسة في
متناول كل من يريد ان يزج نفسه فيها، في حين يظل العقل نخبويًا
يمتاز بالفراة والسمو، ومما قلته في مقالي الذي نشرته جريدة
(الزمان) يوم الأربعاء ٢٠ من ذي الحجة / ١٤٣٢ هـ الموافق
٢٠١١/١١/١٦ وبالعدد المرقم ٤٠٤٦ (لقد وجلت إذ رأيت الباحث
الرصين حسن العلوي يعود إلى السياسة، عالمه الأثير الذي امضى
نصف عمره الأول فيها، وقلت لنفسي، ها هي ستشغله عن المجال
الذي فطره الله عليه، واعني بذلك عالم البحث والكتابة، وهاهي
الشهور تمضي، من غير ان تدور المطابع لتقدم لنا مطبوعا جديدا
يضاف إلى الرصيد الجميل الذي قدمه لنا حسن العلوي. ترى هل
نمى النفس باعتكاف جديد وعزلة عن عوالم السياسة
ومشكلاتها ومغادرة لها، فالسياسة لها أهلها، والعودة إلى ذلك
الحضن الدافئ، حضن المكتبة وغرفة المطالعة وخلوة الباحثين
المنقطعين لدنيا الحرف، التي تغدق علينا، كتابا بل كتب أو
كتبا، كما هو عهدنا به وكما عودنا على هذا الغدق والودق
الذي يخرج من خلاله كتاب بل كتب ما أحوجنا إليها؟!

وظللت أتابع، ورأيت يرشح للنيابة ثانية، كما قرأت نص
الحديث المعرف في الجميل، الذي أجراه معه في أربيل الدكتور احمد
عبد المجيد، وما هي إلا إغماضة عين، حتى بدأت اقرأ تغريدات أو
زقزقة حسن العلوي على صفحات (الزمان) فهت من خلالها انه قد
ازمع عودة ظافرة إلى عالم الكتابة والقراءة، بعد أن نزل أفياء
قبرص، ولقد تأكدت من ذلك وانا اقرأ زقزقته، لا بل شقشقته في

(الزمان) الأحد ٧ / من صفر / ١٤٣٦ الموافق ٢٠١٤/١١/٣٠ وتحت عنوان (تلاميذ الشيخوخة) جاء فيها (أعيش وانا في حمى الكتابة، حالة تدفق فكري، وحالة تدفق عاطفي، وكتاهما تتجاوز حاجز السن، فلتدم هذه الحمى، آملا أن تنتقل عدواها إلى من هم في هذه السن، أم في سن التلاميذ الذين شاخوا قبل أو انهم). فحمدت الله على هذا التدفق الفكري الذي يحياه المفكر حسن العلوي، الذي سترجمه إلى كتب ما أحوج الناس، في هذا الوضع الفكري والسياسي المبلبل إليها.

لقد إزدانت حركة الثقافة في العراق كما لا يخفى على الدارسين والقراء الجادين بنتائج العلويين، هادي وحسن، وإذا كانت الكتابة قد الفت بينهما فان السياسة هذه الآفة الخطرة قد باعدت بينهما، وإذا كان بعض الأشقاء والأخوان يتحاسدان ويتضادان، كما في حنق وحسد الدكتور لويس عوض، على الرغم من المجد والشهرة والذيع الذي حظي به فأنه كان بنفس جهود أخيه المسكين الدكتور رمسيس عوض، ناعتا إياه بمحدودية الملكات والقابليات، ان لم يفهما عنه، مع انه اصدر كتبا تقرأ وتثير الجدل والنقاش، ولقد قرأت كتابه (الهولوكست بين الإنكار والتأكيد) والصادر في ضمن سلسلة كتاب الهلال المصرية سنة ٢٠٠٠ ويقع في ٣٢٠ صفحة، في حين ظل العلوي حسن، يشيد بجهود شقيقه هادي البحثية والفكرية ويفرح لتألقه وسيرورة مجده.

أقول باعدت السياسة بينهما فالراحل هادي تأثر بالأفكار

اليسارية والتصوف وكنت اقرأ مقالاته التي كانت تنشرها له جريدة (التآخي) في عشر السبعين من المئة التاسعة وألف، على لغة ابن خلدون! إذ هكذا كان يؤرخ، (التآخي) المنبر الصحفي الذي ظل عصيا على الخوف والتدجين، أيام صعود نبذة الأدلجة والخوف من كل همسة أو نأمة لا تتدرج مع القطيع في حين اقتفى حسن التوجهات القومية، واذ غادر هادي العراق، منتصف ذلك العقد نحو الصين، بعد أن ضاقت به السبل، وضاق قلبه فكره، وضيق عليه، لأنه كان مفكرا حرا والدنيا دنيا ادلجة وسرير بروتوكراس ظل الأستاذ حسن يرتقي في المراكز الثقافية والإعلامية، وكانت آخر وظيفة شغلها قبل حوادث تموز ١٩٧٩ الفاجعة، رئيس تحرير مجلة (الف باء) وقد اعتقل في المطار حال عودته من لندن، صحبة زوجته، شقيقة المرحوم عدنان حسين الحمداني، ثم اطلق سراحه، فيما بعد وغادر العراق، وكنت اطلع على أخباره وأخبار آل الحمداني، من صديقي وزميلي في المنشأة العامة لتوزيع المنتجات النفطية والغاز، الرائع النبيل ابو إياد كاظم حمودي عباس الحمداني - رحمه الله - وكنت قدمت إلى وظيفة مصحح لغوي في مجلة (الف باء) وكلفت صديقي قريبه كاظم الحمداني لمفاتيحه بهذا الأمر.. ولكن .. وما هي إلا سنوات حتى بدأت تنهال علينا مؤلفات الأستاذ حسن العلوي، فقرأنا في سنوات الحصار (١٩٩٠ - ٢٠٠٣) العديد من كتبه مثل: (أسوار الطين في عقدة الكويت وأيديولوجيا الضم) ثم (الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤ - ١٩٩٠) وكتاب آخر نشرته جريدة

(الصباح) مسلسلأ أول مرة، تم نشره في كتاب عن الخليفة عمر بن الخطاب والتشيع، كما سمعت بكتابه (الجواهري. ديوان العصر) و(الجواهري - رؤية غير سياسية).

التفرغ هبة ربانية للأديب والباحث والكاتب، وسعيد ذلك الذي توفر له ظروف حياته تفرغا عن الركض والعشاء خباز!! فلقد توفر لحسن العلوي الوقت الكافي للكتابة والبحث، بعد أن غادر عالم الوظيفة الإدارية التي تأكل وقته، ويستطيع ان يؤديها أي فرد، وكذلك السياسة، حتى اذا تخلى عنهما في مغتربه ومنفاه، تفرغ للمجال الذي خلقه الله له؛ الكتابة والبحث، وفي التأريخ، وتأريخ الأدب شواهد عديدة على الوظائف التي تأكل من جرف الباحثين ووقتهم، فهذا ولي الدين ابو زيد عبد الرحمن بن خلدون، الذي كان شغوفا بالوظائف والقرب من السلطان، حتى اذا اعتزل الناس والوظائف مدة من الزمن، فرجع إلى تلمسان واندمج بالبدو من العرب، وأقام عند بني عريف، هذا التفرغ اليسير استثمره ابن خلدون في إنجاز كتابه الشهير (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن الأهم من ذوي السلطان الأكبر) وكتب مقدمته المعروفة ب (مقدمة ابن خلدون) وهذا الجواهري الكبير، الذي عزف عن الوظائف، حتى انه غادر البلاط الملكي عام ١٩٣٠، أيام الملك الميجل فيصل الأول، والذي ضمه إلى حاشيته، وبعد ان نشب موضوع الجنسية التي فجرها التركي المستعرب ساطع الحصري (١٨٨٠ - ١٩٦٨) ضد الجواهري ورفض تعيينه معلماً، فأنتخى له وزير المعارف السيد عبد المهدي المنتقجي،

وابطل قرار الحصري مدير التعليم العام، فأزال الملك بحكمته ذلك الاحتقان، وجعله من حاشيته موظفاً في بلاطه العامر، وها هو الجواهري - ثانية - يزهد بالنيابة فيقدم استقالته بعد استشهاد أخيه جعفر فيما عرفت بالأدبيات السياسية بـ (وثبة كانون) ١٩٤٨ ولكن كل الوظائف ما خلدت الجواهري بل خلده شعره، قصائده الباذخة الرائعة (المقصورة)، (ابو العلاء المعري)، (ذكرى أبي التمن)، في رثاء محمد جعفر أبي التمن (آمنت بالحسين) التي كتب منها خمسة عشر بيتاً بالذهب على الباب الرئيسي المؤدي إلى الرواق الحسيني (هاشم الوتري) الذي كان عميداً للكلية الطبية الملكية في العراق أيام الوثبة ١٩٤٨، والمتوفى في كانون الثاني ١٩٦١ وخلف نجله العالم بطب الجملة العصبية، الطبيب النطاسي البارع سعد الوتري (يا أم عوف) في الثناء على المرأة الريفية المضياف في ريف قضاء علي الغربي (زنوبة حواس زبون) (كفارة ندم) التي كتبها - كما يرى - كفارة لقصيدته في تتويج الملك الشاب فيصل الثاني في شهر مايس / ١٩٥٣ لبلوغه السن القانونية، والتي ظل يبرأ منها، وما أراه محققاً فالقصيدة من عيون الشعر العربي الحديث، وما حوته اعترافاً بفضل أبيه وجده عليه، ووصف لموت امه الملكة عالية سنة ١٩٥٠ ونحيب الناس على وفاتها (يا دجلة الخير) (أخي جعفر) (أرح ركابك) (أرح عن صدرك الزبدا) (ذكرى عبد الناصر) في رثاء النسر العربي جمال عبد الناصر (أخي أبا سعد) مهداة لأستاذي الدكتور صلاح خالص - رحمه الله - (يا ابن الهواشم) مهداة إلى الملك الهاشمي الحسين بن طلال

وغيرها من الشوامخ الخرائد.

مضت الوظائف وتلاشت السلطة والسطوة والبهرجة. وبقي الشعر، كما مضت الوظائف التي تقلدها ابن خلدون، فضلا عن استخذه وذلّه أمام الغازي تيمورلنك الأعرج و(لنك) في لغة المغول تعني (الأعرج)، ذهب الأعرج وبقيت المقدمة وكتابه (العبر) علامة شاخصّة في إرث الإنسانية!

نشرت في صحيفة الزمان العدد ٤٩٨٦

الأحد ٥ من ربيع الأول ١٤٣٦هـ / ٢٨ كانون الأول ٢٠١٤

عقد الحكام حين تتحول وبالأعلى الناس

كثيرا ما سألت نفسي وانا انظر إلى صور زعيم الرايخ الثالث أدولف هتلر (١٨٨٧ - ١٩٤٥) مع عشيقته إيفا براون، الشابة الأنيقة الجميلة فارعة القوام، والتي تصغره بربع قرن من الزمان سألت نفسي، ترى لماذا لم يقترن هذا الرجل الأسطورة، وقد نال ما نال من الدنيا سلطة، وكاريزما، وحضورا مدويا وخطبا تأسر قلوب الشباب والناس، كانت أشبه بوقع السحر عليهم ومجدا وشهرة .. و.. ترى لماذا لم يتوج عشقه لإيفا براون بالخاتمة الطبيعية بين الأنثى والذكر، ان يقترن بها ويتزوج منها؟ لماذا هذا العشق الذي يقترن من عشق بني عذرة في التاريخ الأدبي العربي، يكتفون منه بالنظرة واللمسة والهمسة؟ لماذا هذه العلاقة التطهيرية البيورتانية التي جمعتهما التي تقترب من حياة ساكني الدير، رهينة وعزوبا عن التماس الجسدي المتوج بالزواج؟ لعل وراء الأكمة ما وراءها، هذا التظاهر بالقوة والغطرسة وشن الحروب، إنما هو تعويض عن نقص في كيانه الجسدي يحاول إخفاءه.

ترى لماذا لم يفكر أدولف هتلر بالاقتران بإيفا براون؛ عشيقته وخليته إلا حينما بدأت رصاصات القوات السوفياتية بقيادة الجنرال جوكوف تتساقط في حديقة قصر المستشارية؟ ولماذا لم يطلب هتلر من جوزيف غوبلز وزير الدعاية لحكومة الرايخ، أن يستدعي فالترفاغنر الموظف المختص بإبرام عقود الزواج، إلا عندما قرر مغادرة الحياة انتحارا؟ إذ لم يبق أمامه سوى الانتحار بعد أن

تخلى عنه الأصدقاء والخلان وهرب قادته، وهذا شأن الناس أيام الشدائد والملمات عدا قلة مثل غوبلز ومارتن بورمان، والقنابل تتساقط على مبنى المستشارية مقره، الذي غادره إلى قبو محكم التسليح تحت الأرض، بأكثر من عشرة أمتار في المبنى نفسه؟

إن قراءة الوصية الأخيرة لهتلر، التي أملاها على سكرتيرته خلال ساعة متأخرة ليلة ٣٠ نيسان ١٩٤٥، تثير الكثير من الأسئلة فهو يقول فيها (نظرا إلى أني خلال سنوات النضال، كنت اعتقد بعدم إمكاني تحمل مسؤولية الزواج (تري لماذا؟) فقد قررت قبل إنهاء هذه الحياة الأرضية الزواج، بتلك الفتاة التي جاءت بإرادتها الحرة هي، إلى هذه المدينة المحاصرة لتشاطرنني في المصير بعد ما ربطتتا سنوات طويلة من الصداقة المخلصة، إنها تسير معي إلى الموت تلبية لرغبتها هي، وهذا ما يعيد إلينا ما كانت أعمالي في خدمة شعبي تأخذه من وقتنا.. أننا نرغب في أن نحرق فورا في هذا المكان، حيث قضيت قسما كبيرا من أوقات عملي خلال السنوات الاثنتي عشرة التي قضيتها في خدمة شعبي). أيصح أن يتزوج الإنسان قبل ساعة من حرقه؟ أم ان هذا يشبه إسقاط الفرض على لغة الحقوقيين واهل الشرع؟ الإنسان السوي، يقترن في الوقت المناسب أيام القوة والشباب وليس في ساعات يمضي فيها إلى حتفه هذه الشكوك التي تحوم حول جسد الفوهرر وهذه التساؤلات تحولت إلى حقائق، بعد أن أميط الغطاء واللثام عن السر الذي احتفظ به أحد الجنود، الذين كانوا مع هتلر في جبهات القتال، أيام الحرب العالمية الأولى وبالتحديد عام ١٩١٦ وفي معركة

(سومي) إذ يكتشف هذا الجندي الممرض، ان هتلر وكان جندياً أو ضابط صف في الجيش الألماني، قد أصيب بجراح بليغة في بطنه وإحدى خصيتيه، وأنه أسعفه بعد أن نزف دماً كثيراً.

هذا الفوهرر الذي ملأ الدنيا ضجيجاً وحروباً، معطوب الجسد جزئه الذكوري معطوب، منعه من إقامة حياة جنسية طبيعية مع إيذا براون، أو مع غيرها ولعلها زلة لسان تلك الحقيقة التي فاه بها إلى سكرتيرته وهي تدون وصيته الأخيرة، في تلك الساعات المتأخرة من ذلك الليل البهيم إذ قال: كنت اعتقد بعدم إمكانية تحمل مسؤولية الزواج!!

تري من لم يستطع تحمل مسؤولية تكوين أسرة وقيادتها، كيف تمكن من قيادة الشعب الألماني؟!

في الإنسان طاقات كامنة أو فائضة، فإذا لم تجد طريقها الطبيعي إلى الانسراب تحولت إلى عقد من عقد النقص، يحاول صاحبها تقمص شخصيات قاسية وضارية، وإبداء أنواع من الشجاعة لتغطية هذه النواقص، وصرف الأنظار عنها لذلك وجه هتلر طاقاته الجنسية المعطوبة نحو مسارب أخرى، تأسيس الحزب الوطني الاشتراكي (النازي) وخوض الانتخابات، والفوز بها عام ١٩٣٣ ومطالبته بالتعويض عن خسائر الحرب الأولى التي هزمت فيها المانيا والدولة العثمانية، واسترجاع مناطق السودان من جيكوسلوفاكيا وتأكيد صفاء الدم الآري ونقاوته، ومن ثم إشعال الحرب التي أكلت الأخضر واليابس على مدى ستة أعوام، وانتهت بإنهائه حياته بطلق ناري وتناول

عشيقتة؛ زوجته لساعات عدة ايضا براون، السم في الساعات الاولى من صباح يوم الاثنين ٣٠ من نيسان، ولعل من غرائب المصادفات، في الدنيا ان يقتل صديقه ونصيره في الحرب الدوتشي الايطالي بينيتو موسوليني، رئيس وزراء ايطالية وعشيقتة كلارا بيتاتشي قبله بساعات أي يوم ٤/٢٩، بعد أن سيطرت عناصر الأنصار اليسارية بإسناد من قوات الحلفاء، على ايطالية فعلمت جثاهما مقلوبتين على الأسلاك، وقد رأيت صورة مقتلهما وقد بانت ملابس كلارا بيتاتشي الداخلية في حين غطت ملابسها وجهها!!

هتلر معطوب الجسد الذي كشفه الجندي الممرض بعد مضي تسعين عاما على حادث الإصابة فوجه همه نحو مظاهر القوة والعظمة والثأر، بعد أن ما وجدت طاقاته الجسدية منسربها الطبيعي له شبيه آخر، في التاريخ هو نابليون بونابرت، الذي يؤكد المؤرخون انه كان معطوب الجسد كذلك، الأمر الذي جعله يدوخ الدنيا بحروبه التي لا تنتهي!!

مرة ثانية هتلر يشبه بونابرت، فكلاهما توجه نحو موسكو لاحتلالها، وكلاهما هزما عند أسوارها الحصينة ممثلة بالثلج والصقيع، ولطالما تساءلت إذا كان نابليون بونابرت قد مني بالهزيمة أمام جليد موسكو وصقيعها عام ١٨١٢، لماذا لم يتعظ أدولف هتلر من هذه الحقيقة التاريخية فيفتح الجبهة الشرقية في حزيران من عام ١٩٤١ ضد موسكو، ليمنى بأقصى هزيمة بدأت تتبلور منذ عام ١٩٤٣ أمام قساوة الطبيعة في تلك الأصقاع الروسية

المغطاة بنديف الثلج وقساوة البرد الصقيعي!! الأمر الذي يؤكد نظرية أن التاريخ يعيد نفسه، أي يعيد أحداثه لكن لا بمعنى التطابق الكامل مثل الدائرة، بل قريب من الشكل البيضوي وفي مناطقنا العربية كانت هذه العقد وراء أذى كبير حاق بالمنطقة، إذ ظهر في الدنيا من كانت أغلي أمانيه حيازة بندقية كسرية وناظور وسيارة جيب لغرض الصيد، ليكون فيما بعد على رأس الدولة ولكم أن تتصوروا ما حاق بها من أذى ودمار!!

جريدة المشرق الأربعاء الموافق ١٤/ من كانون الثاني/ ٢٠١٥

العدد ٣١٠٨

وتلك الأيام نداولها بين الناس يوم راجعنا الأستاذ عبد الملك العاني

غالباً ما أقرأ ما يكتبه ضابط الشرطة السيد شاكر العاني، التي تعيدنا كتاباته إلى أيام خلت بحلها ومرها، وفيها الكثير من العبر والحديث عن أخلاق رجال الزمن الماضي، ومنها مقاله على الصفحة الثامنة من عدد جريدة (الزمان) المنشور يوم السبت ١٤ / من شباط، ٢٠١٥ والموسوم بـ (من دفتر مركز الشرطة. وتحرشت بالحرشة) وفيه سرد لحوادث جرت مع اللواء الركن عباس علي غالب الذي تولى في بداية الخمسينات قيادة الفرقة الأولى ومقرها مدينة الديوانية، وكان صديقاً للمرحوم أبي الذي كن يزوره في مقر القيادة وقتذاك، يوم كان أبي موظفاً في كمرك الديوانية، وتمر الأيام لألتقي بحفيده (سلوان علي عباس علي غالب) مخرجاً إذاعياً لأحدثه عن صداقة أبي لجدّه.

كما أعادت المقالة إلى ذاكرتي، ما قدمته لمديري الأستاذ عبد الملك العاني، الذي كان مديراً لمصلحة توزيع المنتجات النفطية - فرع البصرة - ومقرها في المفتية، إذ شاءت المصادفات أن أعين، بوظيفة كاتب محطة تعبئة في تلك الدائرة وباشرت في ٢٨ / من نيسان / ١٩٦٥، ونسبت للعمل بعد أقل من شهر للعمل في مستودع نفط ناحية العزيز جنوبي العمارة مع زميلي سلمان داود محمد، وكان أمين المستودع الرجل الرائع الذي لا أنسى فضله ما حييت،

أبو شاكر السيد رحيم السيد هاشم السيد عبد الكريم الجابري- أنزل الله شأبيب رحمته على جدته الطاهر- وعلى الرغم من محاولاتي النقل إلى بغداد وكنت شاباً في العشرين من عمري، ارجب في إكمال دراستي ومساعدة أسرتي، إلا أن مديري الأستاذ عبد الملك العاني، شقيق الطبيب وعيادته في الكرخ - وقتذاك - كمال العاني الذي كان عدل الرئيس الطيب عبد الرحمن عارف، كانت طلبات نقلي تصطدم بصخرة رفض الأستاذ العاني، الذي كان يشترط للموافقة الحصول على موظف بديل عني، ومن أين اجلب له البديل؟!

سمعت بوجود موظف اسمه علي أمين من أهالي مدينة الكوت يعمل في محطة تعبئة كيلو ١٦٠ في منتصف الطريق الرابط بين الرمادي وقضاء الرطبة، زرته في مكان عمله محطة تعبئة الكيلو ١٦٠ عارضا عليه النقل البديل، فاعتذر فاتصلت هاتفيا بالموظف في مستودع نفط الرطبة، جليل كريم الهلالي الذي كان هو الآخر من أهالي الكوت، فوافق جليل كريم الهلالي على النقل البديل، وبذلك نقلت من مديرية فرع البصرة إلى مديرية المنتجات النفطية/ فرع المنطقة الوسطى كان ذلك في شهر نيسان، ١٩٧٠.

ومرت السنون، ففي منتصف الثمانينات وكان الأستاذ عبد الملك العاني قد أحيل إلى التقاعد، بعد أن أصبح رئيساً لجهاز التفتيش، راجعنا صحبة صديق له، كان قد بلغ من الكبر عتيا، ولم يعرفه أحد سواي، كانت لديه معاملة، فرحبت به وأجلسته في مكاني، وجلبت كرسيّاً لصديقه، وأنجزت المعاملة وأعدتها إليه

مرحباً ومودعاً له خارج غرفتي، راجياً منه مراجعتي، إذ احتاج شيئاً، خرج الرجل شاكراً سعيداً ولم أعرفه بنفسي، وإذ خرج الأستاذ عبد الملك سألني زميلي قيس فرج نصوري، مَنْ هذا الذي استتفرت كل جهودك من أجله (وانخبصت بيه)؟ هل هو قريبك؟ قلت له ألا تعرفه إنه الأستاذ عبد الملك العاني المفتش العام؟ فسألني وهل ما زال في الوظيفة؟ قلت له كلا لقد تقاعد منذ زمن، فقال لي: واللّه بطران. متقاعد وانخبصت بيه؟!

هذه الذكريات إنثالت على ذهني وأنا أقرأ مقالة السيد شاكر العاني الذي قدم خدمات جلى للواء الركن عباس علي غالب أيام الوظيفة، وحتى بعد أن غادرها يقول الأستاذ شاكر: ومضت السنين كنت يومها مديراً للجنسية العراقية، ووجدت أثناء مراقبة سير العمل رجلاً قصير القامة يقف في صف (سرة) أمام أحد الضباط، وعرفته إنه عباس علي غالب مدير الشرطة العام الأسبق، سلمت عليه. قلت: سيدي أما كان عليك أن تدخل إلى مدير هذه الدائرة وتعرفه بنفسك ليسهل عليك ساعات الانتظار؟ أمسكت بيده ورجوته ان يتبعني إلى مكثبي وصحبته أولاده الثلاثة، وأنجزت له عمله، وهو جالس معي وحده، لأنه طلب إلى أولاده الانتظار خارج الغرفة.

لقد أديت له واجباً أؤديه يومياً لمئات المراجعين ولم أنبس بكلمة وعندما أراد الخروج نهض وقال شكراً).

لقد أبت أخلاقهما شرفاً للواء عباس علي غالب والأستاذ عبد الملك العاني، ان يقدمنا نفسيهما لمنتسبي تلك الدائرتين اللتين كانا

يشغلان فيها مناصب مرموقة، فالأول مدير الشرطة العام والثاني المفتش العام في النفط، بل جاءا بتواضعهما يراجعان مثل أي مراجع اعتيادي، ففطن الأستاذ شاكر العاني مدير الجنسية العام للواء الركن عباس علي غالب فقدم له المساعدة اللازمة، وانتهت أنا لمديري السابق الأستاذ عبد الملك العاني فقدمت له الواجب المطلوب.

وتلك الأيام نداولها بين الناس، ورحم الله تعالى تلك الأيام الخوالي وناسها الغوالي.

جريدة (الزمان)

الاثنين ١٠ / جمادى الأولى، ١٤٣٦هـ / ٣ / ٢٠١٥

العدد ٥٠٤٠

السامرائي يساجل الزيدي في أطراف الحديث صفاء خلوصي القائل بعروبة شكسبير

أنا قليل المشاهدة لما يبثه التلفاز، لأنني أراه مضيعة للوقت، ولأنني منحاز لثقافة الكلمة في مواجهة ثقافة الصورة، التي تقدم المعلومة - غالباً - مسطحة وسريعة، لكن أتابع مشاهدة برامج قليلة، يقف في المقدمة منها، البرنامج الحواري السجالي الممتع، الذي يقدمه المحاور اللبق الدكتور مجيد السامرائي- وفي الذاكرة المحاورون الجيدون: ماجد السامرائي وابتسام عبدالله وفاروق شوشة وجوزيف عيساوي- يقدمه من على قناة الفضائية الشرقية والموسوم بـ (أطراف الحديث) ولقد سعدت حقاً وأنا أشاهد الحلقة المبنوثة مساء الاحد ٢٥ من كانون الثاني / ٢٠١٥ حيث كان الفنان الدكتور عبد المرسل الزيدي، ضيفاً عند السامرائي، لتعيد الندوة، ذكريات الدراسة في متوسطة فيصل الرسمية، إذ كان عبد المرسل زميلاً لنا فيها، والتي كانت تشغل بيت النواب المطل على نهر دجلة، والقريب من ثانوية الكرخ، قبل أن يهدم ويقام على أرضه مستشفى الكرخ للولادة، لتنتقل المدرسة إلى بداية (قصر غمدان) القريب من الصالحية، والذي هدم هو الآخر في شهر مايس / ١٩٨١ والدور السكنية في محلة (البيجات) لتقام على أنقاضها العمارات السكنية في شارع حيفا، وما زلت أتذكر قيادة (عبد المرسل) وكان يسمى (مرسل) للتظاهرات التي انطلقت من مدرستنا والتي أضحت اسمها (الوثبة) في العهد

الجمهوري، نحو مطار بغداد (المثى حالياً) القريب من محطة السكك العالمية، استتكاراً لزيارة المبعوث الأمريكي - اوانذاك - للشرق الأوسط (وليم رونتري) واستقبله رئيس الوزراء الزعيم الركن عبد الكريم قاسم في المطار، وهذه سابقة دبلوماسية خطيرة أن يستقبل رئيس الوزراء دبلوماسياً زائراً اقل من درجة وزير، مما يدل على قلة تجربة سياسية وعدم فهم بأصول الدبلوماسية، واضطر (رونتري) إلى الخروج من الباب الخلفية للمطار، بسبب صخب المتظاهرين!! ولأستذكر - كذلك - العديد من طلاب مدرستنا: عدنان خير الله طلفاح، عبد الستار عز الدين الراوي، الذي اختص بالفلسفة الإسلامية والأستاذ الجامعي، والفنان التشكيلي والأديب والسفير. خلف دشر، خالد علوان، لاعب الزانة المرموق الذي اعتنى به مدرسنا للرياضة الأستاذ علي الصفار - رحمه الله - والذي انتخب اكثر من مرة لرئاسة اتحاد كرة السلة، وتحول خالد بعد تموز ١٩٥٨ إلى سياسي قومي ناصري متعصب، لؤي شمس الدين السعدي، نائل عبد الجبار البكري، الذي صار مديراً لتحرير جريدة (الجمهورية) الدكتور قاسم ناجي، السياسي الذي غادر الحياة في تموز / ٢٠٠٢ اثر حادث سيارة في نيوزيلندا ودفن هناك، وشقيقه المهندس المعماري عبد الأمير ناجي المقيم في برلين منذ عقود، الشاعر سامي مهدي، طبيب الأسنان سامي مهدي السلطاني المقيم في كربلاء الآن،، شقيقي الطبيب ناظم كاظم سعودي، الحاصل على شهادة F. R. C. S -

زميل كلية الجراحين الملكية البريطانية في اختصاص الأنف والأذن والحنجرة، حسن عزيز الذي أصبح مديراً عاماً للصناعات النسيجية في الحلة، حميد (بدرى) العزاوي، ومحمود هادي مهندس الكهرباء من لندن، الذي كان من المؤمل أن يصبح أنطس جراحي العراق لو درس الطب.. ولكن. الطبيب. حكمت محمود المهاجر إلى امريكة منذ عقود، عمار محمد عبد اللطيف العاني.

فازع ربيع العاني، الذي أمسى مديراً لثانوية المنصور وغيرهم وما دمننا تحدثنا عن الطلاب، فيجب أن نقف عند أساتذتنا الأجلاء: شاكر الجودي الأب والتربوي الرائع، الذي نقل إلى وظيفة مدير معارف لواء الدليم بعد تموز/ ١٩٥٨ وله كتاب في النحو عنوانه: (تشذيب منهج النحو) صدر عن مطبعة المعارف ببغداد سنة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩ ويقع في ثمان وثمانين صفحة ومعاونه الإداري الحازم مصطفى الشيخ، الذي كان اشد ما يزعجه أن نتظاهر في المدرسة تأييداً لعبد الناصر ولقيام الوحدة السورية المصرية في شباط، ١٩٥٨ ومعاونه الثاني حسن موسى، الذي كان مدرساً للتاريخ القديم، والرائع النبيل مدرس اللغة العربية، أبونا الروحي الأستاذ محمد عبد اللطيف العاني، والأستاذ عبد الغني مدرس الحساب، والفلسطيني الكهل الدجاني مدرس اللغة العربية والأستاذ ازهر، ومدرس الإنكليزي نيازي، ومدير المدرسة (احمد اسعد عبد الكريم) بعد نقل استأذنا شاكر الجودي، وشقيق الفنانة (زينب) فخرية عبد الكريم، الذي كان يمضي ساعة الدرس بالحديث عن عنترياته السياسية! والمربي الفاضل

جمال المتولي، والقريب إلى نفوسنا مدرس التاريخ الإسلامي (كاظم حسين) وأستاذ اللغة العربية والدين عبد الأمير البلداوي، الذي ما درسنا ديناً، بل شك وارتياح وبعد عن الدين!!

من المعروف للمتابعين ان الدكتور عبد المرسل الزيدي، يعد من المهتمين بوليم شكسبير، ومسرحياته، وقد أخرج أكثرها مسرحياً، وأعلن أنه يأمل إخراج مسرحيته (عطيل) وتخطر على بال مجيد السامرائي ان يسأله عن ما يشاع عن الأصول العربية لشكسبير، فيجيبه الزيدي ان هناك دارساً أكد عربيته، لكنه لا يحضره أسمه، ويبدو أن اسم هذا الدارس قد غاب- كذلك- عن بال السامرائي مجيد، إذ لو كان تذكره لذكر اسمه.

أقول: من المعروف للدارسين ان الأستاذ الدكتور صفاء (عبد العزيز) خلوصي (١٩١٧-١٩٩٥) هو صاحب هذه النظرية أو الفرضية، التي يصر على تسميتها بـ (الأدلة) وانه كان ينوي إصدار كل أدلته أو فرضياته في كتاب كان يرغب في أن يسميه بـ (هذه أدلتي في عروبة شكسبير) ولا أعلم هل صدر الكتاب أم لا؟

إذ تظل الكثير من طموحات الكتاب والباحثين، في مدار الفكرة والرغبة، ولا تترجم إلى واقع ملموس لأسباب حياتية عدة. لقد رجعت إلى اللقاء الموسع الذي أجراه معه الباحث حميد المطيعي، ونشر على حلقات سبع في جريدة (الثورة) للمدة من ٧/ ٣ / ١٩٨٨ ولغاية ١٨ / ٤ / ١٩٨٨ وصدرت في وقت لاحق بكتاب ضم هذه الحلقات السبع في سلسلة (موسوعة المفكرين والأدباء العراقيين)، لأقرأ فيه أن الدكتور صفاء خلوصي قد أصبح

موضوعاً لعدة أطروحات في المملكة المتحدة، وإيرلندا والولايات المتحدة الأمريكية بسبب نظريته الخاصة بعروبة شكسبير (...). وقد كتبت صحيفة (الواشنطن بوست) الأمريكية الشهيرة، في تشرين الثاني سنة ١٩٦١ مقالاً عن صفاء خلوصي ونظريته في عروبة شكسبير وهو أمر لم يسبق له مثيل لأديب في العالم، لأن افتتاحيات (الواشنطن بوست) مخصصة للشؤون السياسية وكبار القادة في العالم، ثم يواصل الأستاذ حميد المطبعي سرده للمعارك الأدبية والثقافية التي خاضها الدكتور صفاء خلوصي، هذا الطقس الذي اختفى من حياتنا في عقود تلت، وأراه بسبب ضيق صدر الناس، فلا يقبلون ما يخالف رأيهم البتة، ومنها: هل كان فولتير فيلسوفاً؟ وهل كانت لأبي تمام جذور غير عربية؟

ومعركة أخرى بشأن الجذور العربية - الكردية للرصافي، ليصل إلى المعركة التي ما زالت مستعرة الأوار بشأن عروبة شكسبير ويقدم تلخيصاً لهذه المعركة قائلاً: ابتدأت هذه المعركة سنة ١٩٦١ (...) فلقد اجتمع خلوصي والدكتور مصطفى جواد وفؤاد عباس وفؤاد جميل في ندوة تلفزيونية، وكان عريف الجلسة الدكتور حسين أمين (...) محورها (أثر التراث العربي في الحضارة الأوروبية) (...) ولما وصل الكلام إلى خلوصي قال: أراكم أطلتم القول في أمور تكاد تكون بديهية (...) فأنا أستطيع أن أقول لكم ملء فمي وثقة إن شكسبير نفسه متشبع بالثقافة العربية من قمة رأسه إلى أخمص قدميه.

بل يكاد يكون عربياً في كل شيء حتى الاسم.

فضحك زملاؤه وقالوا: وما الاسم العربي الذي تقترحه له،
فقال، (شيخ زبير).

وصادف ان ممثل وكالة رويترز كان يراقب الندوة (...). فَطِير
في الحال العديد من البرقيات إلى مختلف أنحاء العالم (...): إن
الدكتور صفاء خلوصي الأستاذ بجامعة بغداد يؤكد أن
شكسبير كان من أرومة عربية، وقد قدم العديد من البراهين
تأييداً لنظريته وهي (...). إن شكسبير هو: وليم بن جون بن
ريتشارد، ويقف نسبه عند هذا الحد (...). وثمة حقيقة أخرى،
فقد ترك مسقط رأسه (ستراتفورد) واختفى ست سنوات، ثم ظهر
فجأة، على مسرح التاريخ وفي أذنه قرط مما يلبسه القراصنة (...).
هل اعتكف شكسبير في رباط أو زاوية للمتصوفة، أم انه التحق
بالبحارة العرب الذين- بعد أن فقدوا الأندلس- راحوا يحاربون
الإسبان بحراً ويهاجمون الموانئ البحرية والأساطيل والسفن
البريطانية والبرتغالية وحتى الأمريكية التي أصبحت تدفع الإتاوة
لهم مقابل التعهد بعدم مهاجمتها (...)?

وفي هذه السنوات (وهذا ما تبين لصفاء) أثيرت نخوة شكسبير
وتطوع للقتال مع البحارة العرب، ومن هنا تعلم كيف يصف البحر
والزواج البحرية ويبدع فيها...!

ومن فرضيات صفاء خلوصي، أن شكسبير تغزل بسيدة عرفت بـ
(السيدة العربية) وحرار الباحثون في أمرها من تكون؟ (...). ولم
يخرجوا السيدة السمراء من دائرة الفتيات الإنكليزيات، مع أن صفاء
يرى أن الإنكليزيات شقراوات، ويتساءل: فمن أين جاءت هذه

السمرء؟ ليجيب: أليست فتاة عربية ممن لقيها شكسبير في بعض مغامراته في المغرب العربي، وكل الأوصاف العربية تنطبق عليها؟! (...)
كما أننا لا نجد كلمة سوء عن العرب في مسرحياته وقصائده، (...)
ووجد بجانب ذلك انه ألف مسرحية كاملة لبيين غيرة العربي على عرضه وشرفه وكيف يقتل من أحب وينتحر عندما يكتشف خطأه، تلك هي مسرحية (اوتيللو) أو (عطاء الله)
وقد حرف خليل مطران الاسم فكان (عُطيل)...!

ومن فرضيات صفاء الأخرى (...)
أن شكسبير ذكر الأمير المراكشي في (تاجر البندقية) بأجمل النعوت (...)
كما أنه لحبه للعرب، فإنه يمقت اليهود مقتاً شديداً، وقد حاربه اليهود إلى درجة أنهم جعلوه شخصية أسطورية لا وجود لها، محاولين محو وجوده التاريخي محواً مطلقاً.

وتظل أقوال الباحث الدكتور صفاء خلوصي في دائرة الفرضية والاحتمال والنظرية مع انه يؤكد أن ما قدمه من أفكار يدخل في دائرة الأدلة، وتظل النظرية أية نظرية بحاجة إلى منطوق ومطلوب إثباته، ومن ثم البرهان على صدق النظرية، وإذ قدم خلوصي منطوقاً ومطلوباً إثباته، ترى هل قدم برهاناً مقنعاً لصدق نظريته، برهاناً علمياً بعيداً عن العواطف؟ فالعلم علم والعاطفة عاطفة ولن يلتقيا أبداً ترى لماذا طرأت على ذهني مقولة الشاعر البريطاني روديارد كبلنك: الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا؟

نشرت في صحيفة الزمان - الثلاثاء ٢٥

من جمادى الأولى ١٤٣٦هـ / ١٧ من آذار ٢٠١٥ - العدد ٥٠٥٢

خسرنا مواهب رائعة

شغف بعضهم بالاقتران من الشخصيات العامة

وأنا أقرأ نعي المطربة اللبنانية الشهيرة (نهاوند) التي عصفت بها يد الأقدار في أواخر عمرها لتسكنها داراً للعجزة في بيروت، هي التي كانت ملء السمع والبصر، جمالاً وكمالاً ورقة وأنوثة طاغية، وصوتاً ساحراً، وبحة قد لا تدانيها جمالاً سوى بحة صوت زهور (زهرة) حسين، أو قارئ المقام العراقي المقتدر يوسف عمر (١٩١٨-١٩٨٦) أقول: وأنا أقرأ خبر رحيلها يوم الخميس ٢٧/ من تشرين الثاني ٢٠١٤، (نهاوند) التي عرفت الشهرة في بغداد الخمسينات الهادئة الرائعة، والتي غنت للعراق الباهي كثيراً. وما زلت أحتفظ بأكثر من شريط لأغانيها، التي على الرغم من قلتها عدداً، فإنها كانت زاخرة بالجمال والبهاء والطرب الأصيل، ومازالت في الذاكرة أغانيها مثل، (إدلل علي أدلل) و (يا يا يا شلون عيون عندك يا يا) التي لحن بعضها الفنان الأصيل رضا علي، وكتب كلمات بعضها شاعر الأغنية البغدادية الرائع سيف الدين ولأني، قبل أن تتريف بغداد، ويخبو القها بكثرة المهاجرين إليها، الذين ما تعايشوا معها، ولا تركوها تحيا حياتها، فأماتوها تدريجياً، هذا الشاعر الذي ما شفع له أي شيء، فألقوه سنة ١٩٨٠ على الحدود، في غضبة من غضبات أبناء القاع الرقاع، هذه المطربة التي خبا وهجها، وكانت في قمة القها وشبابها، ولطالما

سألت عن مصيرها، ولا أجد جواباً، ويأتي الجواب في خبر وفاتها، فلقد استحوذ على شبابها الأخاذ وصوتها الساحر ثري لبناني أناني، فرض عليها، أن تترك الغناء، وأن ترافقه إلى مغتربه في البرازيل صناعياً ثرياً، ولعلها ساعة نحس، أو ساعة ضعف إنساني، ولعلها أرادت ضمان حياتها في كنف هذا الثري الأناني، فوافقت على الزواج منه، وغادرتنا نحن الشغوفين المسحورين بصوتها، وأمضت في عزلتها بالبرازيل عقوداً عدة تجاوزت الأربعة عقود، حتى إذا امتص الزمن، وهذا الثري اللبناني الأناني رحيق شبابها وحلاوة حنجرتها التي أصدأتها الأيام، فلم يبق أمام (نهاوند) سوى العودة إلى لبنان، مسقط رأسها، ولكن عودتها كانت متأخرة جداً فلم يترك الزمان، وهذا الثري اللبناني لها شيئاً أستنفدا كل أيامها فعادت لنا شبحاً، ولعل نفسها كانت تهفو لاستعادة مجدها الخمسيني، أو بعض المجد، لكن لات ساعة استعادة، فلقد خبا كل شيء وتوارى خلف عتمة السنين التي لا ترحم، أطلقت على جمهورها في مهرجان بيبيلوس الدولي في السنتين ٢٠٠١ و ٢٠٠٢، ولكن كانت إطلالة محتضر، وما لبثت أن لفتها العتمة وخمول الذكر وخموده، لتأوي في إحدى دور المسنين.

مصير المطربة الساحرة (نهاوند) أعاد لذاكرتي مصير أشباه لها ونظائر وأد تألقهن، وأذهب جمالهن وإطلالتهن أنانية بعض الأثرياء والمتنفذين، مالا أو سلطة، فلقد وأد ثري لبناني طموحات الصوت الساحر لنزهة يونس، التي زارت العراق مرات عدة أوائل الستينات، وكانت تأتي للغناء في العراق، للاحتفال السنوي في

الثالث من كانون الأول بنجاة رئيس وزراء العراق الأسبق اللواء الركن عبد الكريم قاسم من محاولة الاغتيال الفاشلة، إلى جانب أختها (هيام) ذات البجة الساحرة، والمطربة طروب، وجاكلين وقوت القلوب، ونصري شمس الدين ووديع الصافي وإحسان صادق وغيرهم.

لقد عانت نزهة يونس، ما عانته (نهاوند) إذ بعد طلاقها من إحسان صادق استحوذ عليها ثري لبناني مقيم في أميركة اللاتينية، وكذلك أختها (هيام) تزوجت هناك فحسر الطرب العربي أصواتاً باهرة، وإذ كانت (لاراكيروز) أي (نهاوند) قد عادت إلى بلدها لبنان ركاماً، فإن (نزهة يونس) ما عادت بل ماتت هناك. وما زال ثري سعودي يحرمنا من صوت المطربة المغربية الرائعة (عزيزة جلال) التي أعادت إلينا بصوتها الشجي أغنيات ملكة الطرب العربي (آمال الأطرش) (أسمهان) شقيقة الملحن والمطرب الكبير فريد الأطرش التي لو امتد بها الزمن والحياة لوأدت ألف أم كلثوم ولكن.. ومنذ سنوات، استحوذ موظف جزائري كبير، هو جمال قصير وكيل وزير الاقتصاد، استحوذ على صوت (وردة منتوكي)، المطربة الرائعة (١٩٤٠-٢٠١٢) التي عرفت فنياً باسم (وردة الجزائرية) أو (وردة) في بداية تألقها، سنة ١٩٦٠ إذ دعاها إلى القاهرة المنتج والمخرج حلمي رفلة، ليقدّمها أول مرة في فيلم (المظ وعبد الحامولي) حرم هذا الموظف الناس من صوت (وردة) فاعتزلت الغناء، لكن الرئيس الجزائري الأسبق (هواري بومدين) تذكرها وطلب منها الغناء في الذكرى العاشرة

لانتصار الثورة الجزائرية واستقلالها في تموز/ ١٩٦٢ فطلقها الموظف الكبير الذي كان اشترط عليها لاستمرار حياتهما الزوجية أن تطلق الغناء، التي ما لبثت أن تزوجت من مطلقها للشهرة الملحن بليغ حمدي وعادت للغناء بلون جديد مفارق للبدايات البسيطة، لتتطلق نحو آفاق المجد والشهرة بأغنية (أوقاتي بتحلو) للملحن الباهر (سيد مكاوي) الذي اعد اللحن لأم كلثوم، لكن وفاتها المفاجئة في شباط/ ١٩٧٥، جعلته يحتفظ باللحن سنوات، فلم يجد أجدر من (وردة) بأن تشدو به وتطرب الناس.

أنى إذ تحدثت عن خسارتنا لهذه الأصوات، فاني ليحيرني تهافت بعضهم على الشخصيات العامة والمشهورة، ولعلمهم يدارون نقصاً في ذواتهم فيحاولون فرض سطوتهم عليهن، والا ما الذي يدفع ثرياً شاباً للزواج من مطربة تونسية من الدرجة العاشرة (ذكرى) لها حياتها الخاصة المنفلتة، حتى إذا فاجأها في موقف مخجل، ما استطاع امتلاك زمام نفسه فقفلها ثم انتحر؟ أو ما الذي يدفع بشري مصري وسيم للارتباط بالمطربة والممثلة الساحرة (هيفا وهبي) إذ ما لبثا أن تطلقا، فلهيها حياتها، وله حياته ولن يلتقيا، ومع أن هذين لم يشترطا للزواج ترك الفن، فان من سبقهما اشترطوا ذلك، فخسرنا خسارة فادحة، ترى هل من مقترحات قانونية تمنع مثل هذا الاستحواذ الأناني على الشخصيات العامة؟

وفي الذاكرة هذه الحكاية: منتصف سبعينات القرن العشرين، كتب الأديب الصحفي (احمد العزي) مقالاً طريفاً في مجلة (الف باء) الأسبوعية العراقية، وكان العزي كثير الكتابة

وقتذاك -وانها لفرصة سانحة أن أتساءل أين الأستاذ العزي، من يعرف عنه شيئاً؟ كذلك أتساءل من يعرف شيئاً عن فاضل الخياط، الذي كان يوزع كتاباته المستنسخة علينا في شارع المتنبي وفي مقهى الشابندر؟ ترى أين القاص والمترجم البارع منير عبد الأمير؟ اسأل الكثير ولا جواب - أقول كتب العزي مقالاً طريفاً عن الشخصية البغدادية الفكهة (إبراهيم عرب) وطرائفه، صاحب المقهى المشهور، فعقب على المقال، أحد أبنائه عاداً ما جاء في استذكارات العزي اللطيفة، وما يعرفه الناس ويتداولونه من طرائف (إبراهيم عرب) الشهيرة، عد ذلك استهانة بأبيه وتجريحاً لشخصه، وفي عدد تال عقب العزي قائلاً إبراهيم عرب، ليس أباً لكم فقط، بل أب لنا ولكل عار في فضله وأخلاقه، فضلاً عن، هذا الذي أود تأكيده أن إبراهيم عرب شخصية عامة، فهو ملك الناس جميعاً، ليس ملككم أنتم ذووه وأسرته فقط.!

مرة ثانية: هل من تشريع يحمي الشخصيات العامة من استحواذ الأسرة، أو ثري أناني؟

نشرت في صحيفة الزمان

السبت ٢٠ من جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ / ١١ من نيسان ٢٠١٤

العدد ٥٠٧٣

حديث مستطرد عن الرصافي الشاعر الكبير ما باع السجائر على قارعة الطريق

قرأت مقالاً كتبه الصحفي العراقي الشاب المغترب في عاصمة السويد (عمر) نجل الأديب القاص والروائي العراقي- المغترب كذلك - فيصل عبد الحسن حاجم وكان قدر العراقيين أمسى الغربية والاعتراب في بلدان الشتات، نشرت المقال جريدة (الزمان) بعددها الصادر يوم الأربعاء ٥ / جمادى الأولى / ١٤٣٦ هـ - ٢٥ / من شباط / ٢٠١٥، المقال أوقفه (عمر فيصل) للحديث عن أبيه الأديب، وتلك سابقة خطيرة، فلأول مرة أقرأ من يكتب عن أبيه، والحق يقال، إنه تحدث عنه بحيادية وموضوعية، واقصى الذاتية والأبوة والبنوة من مقاله، فكان منصفاً وصادقاً، فأنصف الكاتب والأديب فيصل عبد الحسن حاجم، ونحى العواطف، عواطف الابن تجاه أبيه.

ولقد قرأت، يوماً مقالة نقدية لأديب عن نفسه، ذاكراً إنه إذ لم يجد من يكتب عن كتابه، فقد تولى هو هذه المهمة الصعبة، وأرى أن ذلك معيباً، والأكثر عيباً أن تنشر الجريدة مقالة كهذه، ومقالة (عمر فيصل) تعيد لذاكرتي، يوم أهديت صديقاً لي كتاباً من كتبي، فجاءني بعد اشهر- وهو الصحفي والمترجم- قائلاً: إنه لم يجد في وقته المزدحم فضلة كي يقرأ كتابي، بله أن يكتب عنه، ورجاني أن اكتب عن نفسي، وبتوقيعه، فبهت من عرضه هذا واستغربت، قائلاً له: إني اهدي كتبي لعشرات من

الأصدقاء والقراء، ولا أضع في حساباني أن يكتب عني الكاتبون، بل أقصى أمني أن يقرأ منه فضلاً، أو صفحات، فهذا كتابي أهديه لأنني لم أجد من يشتريه.

فأجابني ان هذا الأمر، كتابة الكاتب عن نفسه، وبأسماء أخرى أو محددة، موضوع شائع ذائع، فقلت له مؤكداً: ان كان بعضهم يفعل ذلك، وانا اعرف عدداً منهم، جاعلاً من ذاته وكالة خبرية تمجد ذاته وكتاباتة، فضلاً عن عقده صداقات مع من يتوسم فيه ميلاً للكتابة عنه، فأنا أربأ بنفسي أن اقترف هذا الفعل المخجل المشين.

مقالة (عمر فيصل) الموسومة بـ (صورة كاتب بقلم ابنه - أديب عراقي من الزمن القبيح) مقالة جيدة منصفة، راجياً له السير على النهج المنصف ذاته، لكن بودي أن أقف عند فقرة معقباً وموضحاً، خدمة للحق والحقيقة، ضالة الكاتب وهدفه.

قال (عمر فيصل) وهو يتحدث عن الحدث الحاسم الذي مثل مفترقاً في حياة أبيه يوم أكمل الدراسة الثانوية بتفوق، هو المحب للأدب، لكن المتفوق بالفرع العلمي، هل يدرس الأدب في الجامعة، أم يواصل درسه للعلوم؟ هنا يتحدث أبوه، قائلاً لابنه (إن الأدب لا يطعم خبزاً في الوطن العربي، وذكره بمصير بدر شاكر السياب، اكبر شعراء الحداثة في العراق، الذي القي بأثاث منزله في الشارع، لأنه لم يكن يملك ثمن كراء شقته، وكانت الحكومة مغتازلة من شعره الثوري المندد بها دوماً، وكذلك، الشاعر العراقي معروف الرصافي الذي كان يبيع السجائر على الرصيف

ليكسب لقمة عيشه، ومات وهو لا يملك داراً يسكنها بل في دار مؤجرة، سرعان ما القى مالها مخلفات الشاعر البسيطة إلى القمامة، حين لم يجد المال لتسديد أجرة الكراء) ١.هـ.

في هذا المقبوس غلطان شنيعان، أطلقهما (عمر فيصل) من دون تروٍ وتمحيص، أو هذا ما وصل إليه، رأيت الوقوف عندهما خدمة للحقيقة:

١ - بعد أن تخرج بدر شاكر السياب من قسم اللغة الإنكليزية بدار المعلمين العالية، عين مدرساً في أكثر من مدينة منها الرمادي، لكنه أثر الانتقال إلى البصرة بعد أن حاربه بعضهم، شاعر وحزب، فنقل خدماته إلى مديرية الموائى العامة بالبصرة، وإذ ضربه المرض الويل، حتى كاد يشل جسمه، فعاملته مديرية الموائى العامة، معاملة موظف اعتيادي، متناسية شعره ومنجزه ولأنه ما عاد بمكنته الدوام، ففصلته، واستتبع الفصل ضرورة مغادرته الدار الحكومية، ولقد كتبت ذلك مرات عدة، وتحدثت عنه في ندوات.

هذه هي الحقيقة المرة.

٢ - لقد كثر الحديث عن بيع الرصافي للسجائر، وهذه مغالطة وفرية، ونحن - غالباً - لا نمحص في المروييات، بل نطلق الكلام جزافاً وعلى عواهنه، ونأخذها مسلمات، ونبني آراءنا على ما قال السابقون، حتى وان كان قولهم خاطئاً وغلطاً، فالرصافي لم يبيع السجائر على قارعة الطريق والرصيف مثل الصبيان، فكانت أخلاقه وأنفته تمنعانه من إتيان هذا العمل، ومع أن العمل، أي عمل شرف لصاحبه لكن هذا العمل لا يليق بقامة

إبداعية شامخة مثل الرصايف، ثم كان هناك الأخيار الأكارم، الذين كانوا يصدقون عليه الأموال والأعطيات والهبات والألبسة وافخر الأطعمة والحبوب أمثال: آل عريم الكرام في الفلوجة، ومظهر الشاوي، الذي أهدها عباءة وعصا ابنوسية، فضلاً عن المال وحكمت سليمان الذي كان ينفحه بفاخر الفاكهة من مزرعته في الصليخ ببغداد، يوم كانت الصليخ مزارع ولم تزحف إليها وعليها الأبنية وبيوت السمنت والحديد.

وكذلك أعطيات أسرة المنديل الكريمة بالبصرة، ممثلة بعميدها عبد اللطيف المنديل، إذ ان عبد العزيز عريم، يوم اشترى الدار المطلة على الفرات بالقرب من جسر الفلوجة وكان يشغلها المهندسون الإنكليز من موظفي الشركة التي قامت بإنشاء الجسر الحديد في الفلوجة، الذي يشبه جسر الصرافية ببغداد، ولما كانت للرصايف صداقة مع أبيه، فقد طلب من الرصايف النزول في هذه الدار، كما يذكر ذلك الأستاذ سعيد البدري في كتابه (الرصايف في أعوامه الأخيرة) الصادر عام ١٩٥٠ ببغداد وكتب بعض فصوله الأديب الشاعر نعمان ماهر الكنعاني - رحمه الله - ولقد زرت الدار مراراً، إذ كنت اعمل في الثمانينات من القرن العشرين رئيس ملاحظي مؤسسات الأنبار النفطية لكن أسفت إذ زرتها شتاء ٢٠٠٢، صحبة الأديب مؤيد داود البصام والقاص حنون مجيد، فوجدتها مهدمة، وإذ سألت أجابني من أجاب، إن أصحابها يرومون بناء عمارة على قطعة الأرض هذه!!

جليه الأمر، أن الرصايف قدم طلباً، عريضة إلى مديرية الكمارك

والمكوس العامة ببغداد، بداية الأربعينات، بعد مبارحته الفلوجة اثر حوادث مايس ١٩٤١ للحصول على حصة من السجائر وهي ما تشبه الحصة التموينية، ولقد حدثني المرحوم أبي عن هذه القضية، وكان موظفاً في تلك المديرية، الكمارك وانه حاول جاهداً الحصول على عريضة الرضا، من شعبة الذاتية للاحتفاظ بها ذكرى، دون جدوى، اذن الرضا في قدم طلباً للحصول على حصة، كمية من السجائر، كان يبيعها جملة، مستفيداً منها في تمشية أموره، هو الكريم المتلاف، الذي كان لا يقيم للمال وزناً عاده وسيله للعيش وتمشية أمور الحياة، وليس غاية يركض وراءها.

كذلك هو لم يجلس على الرصيف يبيع السجائر مثل الصبيان فكبرياؤه تمنعه من ذلك، حتى ان مات جوعاً، فضلاً عن ان العديد من أعيان العراق ووجهائه وأثريائه، كانوا يمنعون عنه غائلة الحاجة، حتى انه أعتذر عن قبول هدية عبد العزيز عريم، بان يسجل الدار التي يسكنها بالفلوجة باسمه، فضلاً عن اعتذاره عن قبول عرض ابن عمه عبد المجيد عريم بشراء الدار التي يسكنها في الأعظمية وتسجيلها باسمه، أو أية دار في الرمادي، رجل هذا شأنه وكبرياؤه كيف نصدق جلوسه على قارعة الطريق يبيع السجائر، أو يلقي مالك الدار مخلفات الشاعر البسيطة إلى القمامة؟

فالناس كانت تعامله باحترام وتقدير بالغين

نشر في ملحق (الف ياء) جريدة (الزمان)

الاثنين ٢٩ / ن جمادي الآخرة / ١٤٣٦ - ٢٠ / نيسان

(أبريل) ٢٠١٥ - العدد ٥٠٨١

بجهود الرعيل الأول من البنائين شواخص معمارية بغدادية..

إطلالة على قصور تراثية كرخية

تُحفل مدينة بغداد، شأنها شأن أية مدينة تاريخية عريقة وذات تاريخ حافل، إذ إنها بقيت نحو ستة قرون عاصمة للدولة العباسية، حيث باشر الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور بإنشائها بدءاً من ١٤٥ للهجرة المباركة. وحتى بعد انطفاء مجد بغداد إثر الغزو المغولي سنة ٦٥٦ - ١٢٥٨. فان بغداد بقيت ولاية من ولايات العراق الثلاث أواخر العهد العثماني، إلى جانب ولايتي الموصل والبصرة. أو ولاية من ولايات العراق الأربع أوائل العهد العثماني، إلى جانب ولايات شيرزور والموصل والبصرة حتى إذ أنشئ الحكم الملكي في العراق، إثر اندحار الدولة العثمانية في حربها إلى جانب المانية ضد بريطانية وفرنسة وارتقاء فيصل الأول عرش العراق باحتفال مهيب، أقيم في بناء القشلة الذي أنشئ سنة ١٨٥١، وما زال قائماً حتى الآن. أقول أقيم حفل التتويج يوم ٢٣ من آب ١٩٢١، وحضره المندوب السامي البريطاني، وأول رئيس لوزراء العراق قبل تأسيس العهد الملكي، وأيام الانتداب البريطاني، السيد عبد الرحمن النقيب. ظلت بغداد عاصمة للدولة الوليدة التي شهدت الناس خلالها وعلى مدى نحو أربعة عقود، أيام سعادة ورخاء وامن وتقدم حثيث ووئيد، بسبب عدم توفر المال اللازم للقيام بالنهضة الواسعة لهذا البلد

العريق، حتى إذ حصل العراق بداية الخمسينيات على ما نسبته واحد وخمسون بالمئة من عوائد تصدير النفط، أنشئ مجلس الإعمار، ومن ثم وزارة الإعمار ليشهد العراق أروع عملية بناء وإعمار.

العقل المعماري العراقي

في بغداد، العديد من الشواخص المعمارية التي مازالت قائمة تواجه ظروف الزمان والأيام معلنة سمو العقل المعماري العراقي، الذي قدم هذه التحف المعمارية الخوالة. ففي الرصافة شيء كثير منها وكذلك في كرخ بغداد. وقد آثرت الحديث عن عدد من هذه الدور التراثية الواقعة في ما سمي منذ عام ١٩٨١ بشارع حيفا. وهو الشارع الذي كان يخترق، أو يواجه محلات هي: الكريمات والشواكة وباب السيف، وهي المحلات المحصورة بين الجسرين، جسر الملك فيصل الثاني، الذي ابدل إلى الأحرار وجسر المأمون، الذي غير إلى الشهداء بعد تموز ١٩٥٨، وقد أتى هذا الشارع على العديد من الشواخص والدور التراثية ومنها: قصر غمدان الذي كان نهاية الخمسينيات مقرا لمدرستنا، متوسطة فيصل الرسمية بعد انتقالها من بيت النواب المطل على نهر دجلة، والقريب من ثانويتي الكرخ للبنين والبنات، وقد أنشئ مستشفى الكرخ للولادة على أرضية مبنى بيت النواب ومازال قائما. أقول جاء شق شارع حيفا وإنشاء الشقق السكنية على العديد من الدور، لكن بقيت بعضها في لمسة حضارية من أجل إبقاء هذه الشواخص شاهدة على

زمان مضى ولتذكر الأجيال بجهود ومن أكثرها بهجة وأناقة،
وفناً، دار الوزير ورئيس الوزراء أيام العهد الملكي توفيق السويدي،
الذي أنشئ سنة ١٩٣٣، ومازال ذلك بارزا على واجهة القصر المنيف
مع الإشارة إلى اسم صاحب الدار من خلال الحرفين الأولين لاسمه
بالإنكليزية (t.s) أي توفيق السويدي ومن سخریات القدر أن
تتحول الدار بعد أن عصفت الأيام بذويه، إلى مقر للجمعية
الاستهلاكية لمنتسبي وزارة التربية، في سبعينات القرن العشرين
والى جانبه مباشرة دار أنيقة تعود لشقيقه الطبيب المعروف شاعر
السويدي، الذي شغل وقتا مناصب مدير المستشفى الملكي، الذي
أنشأه السلطان العثماني عبد المجيد، والذي كان معروفا باسم
مستشفى المجيدية، ومازال بعضه قائما وأنشئت إلى جانبه في ضمن
مشاريع مجلس الإعمار؛ مدينة الطب.

وكنت أراه في سبعينات القرن العشرين، وقد بلغ من الكبر
عتيا يدب دبيبا وتيدا، وقد تحولت هذه الدار الأنيقة بداية
السبعينات، إلى مقر لمكتبة الكرخ العامة، وكنت ارتادها في
ذلك الوقت أيام كنت طالبا في قسم اللغة العربية بآداب الجامعة
المستصرية، وكونها قريبة من محلي الشواكة وقريبا من هذه
الدار، دار منيفة كانت مقرا لمدرسة الأماني الابتدائية في
الخمسينات قبل أن تتحول إلى منطقة علاوي الحلة.

داران أنيقتان

في مواجهة هذه الدار، هناك داران أنيقتان بنيتا على هيئته واحدة تعودان للوجيهين البغداديين: عبد الهادي الظاهر وعبد الرزاق الظاهر، بنيا في ثلاثينيات القرن العشرين وكانا صديقين للمرحوم أبي وكان عبد الرزاق الظاهر، أديباً يكتب القصة القصيرة، وقد قرأت مجموعته القصصية (عذارى بابل) الصادرة عام ١٩٤٨، والمطبوعة بإحدى مطابع مدينة صيدا اللبنانية، وقد تحولت هاتان الداران الأنبيقتان، إلى مقر لبنانية مديرية تربية بغداد الكرخ في الستينات، وأصبح احد الدور في التسعينات مقرا لجريدة (الزوراء) الأسبوعية ومازال حتى الآن ومن ثم مقرا لنقابة الصحفيين العراقيين، وفي داخل محلة الشواكة هناك دار أنيقة منيفة مطلة على نهر دجلة، يوم كان نهر دجلة يجري هادراً مسرعاً، لا كما يسير الآن وثيذا كأنه شيخ عتي، بناه أواخر الأربعينات الوجيه البغدادي، الذي انتقل من محلة الحيدر خانة إلى الشواكة، وعاشت بناته الأربع فيها وتزوج صغراهن؛ (لميس) المؤرخ الأستاذ خيرى العمري، إذ لم يرزقه الله بالولد وتوفي فيها، الأستاذ محمود صبحي الدفتري، أمين العاصمة والوزير في العهد الملكي، وصاحب، المجلس الشهير ضحى كل يوم جمعة، والمقترن بالسيدة (صبيحة) شقيقة السياسي العراقي النزيه الأستاذ كامل الجادرجي، (رحمه الله) حتى إذ حل تموز ١٩٥٨ تفرق أصحاب المجلس بددا وهذا الوجيه المحترم ظل يتفاعل مع الحوادث التي تحدث في محلة الشواكة فكان يحضر مجالس العزاء خاصة.

شارع صلاح الدين

بقي لي أن أشير إلى دار تقع على الشارع العام، شارع حيفا وكان اسمه سابقا شارع صلاح الدين، تخليدا لذكرى صلاح الدين الصباغ، احد شهداء حركة ١٩٤١، سكن هذا الدار وقتنا خلال الثلاثينيات، الدكتور احمد الجلبي الذي اصبح وكيلا لوزارة الصحة منتصف السبعينات، شقيق الطبيب الذي كان يغدق خيره على أهالي محلة الشواكة من خلال عيادته الطبية المرحوم محمد الجلبي، وكذلك الطبيبة المحترمة نزيهة جودت الدليمي التي أستوزرها الزعيم في تموز ١٩٥٩ وزيرة للبلديات، لتكون أول امرأة تتسّم منصباً وزارياً في الوطن العربي، احد المرشحين المزمّنين في انتخابات مجلس النواب العراق في أيام العهد الملكي، وكان ممثلاً للتيار اليساري والى جانب هذه الدار، دار أخرى لا اعرف عنها شيئاً استخدمت في السبعينات (اسكلة) لبيع مواد البناء ومازالت قائمة حتى الآن..

نشرت في صحيفة (المشرق)

الخميس ٩/ نيسان/ ٢٠١٥

العدد ٣١٨٠

مَنْ الَّذِي سَمَّ أَبَا هَانِي وَدِيَعِ حَدَادٍ؟

هل بيع مؤسس الفرع الخارجي والعمليات الخاصة في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين؟

وأنا أنجز قراءة الكتاب المهم، المعنون بـ (وديع حداد) للسياسي الفلسطيني، وأحد قادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والناطق الرسمي لها في سنوات عديدة، ومن أهمها سنوات اختطاف الطائرات، بسام أبو شريف، الذي طالته عمليات الاغتيال و أطفأت إحدى عينيه التي كانت تقوم بها وحدة كيدون التابعة لجهاز الأمن الخارجي الإسرائيلي (الموساد) والتي كان يتولى قيادتها ضابط الموساد الشهير مايك (مايكل) هراري، الذي توفي يوم الاثنين ٢٢ / من أيلول / ٢٠١٢، هذا الكتاب المهم الذي أصدرته دار الرعاة للدراسات والنشر، بمدينة رام الله الفلسطينية وكان خلواً من تاريخ النشر، والذي يدرس بدقة حياة وديع، منذ ولادته في مدينة صفد بفلسطين لأسرة مسيحية عريقة في القدم، ولعل من طرائف الأمور أن نذكر أن والدته كان حاملاً بتوائم ثلاثة ولم تكن تدري، إذ ما كانت أجهزة الكشف الدقيقة والسونار قد عُرِفَتْ في ذلك الوقت ١٩٢٧، فجاء للنديا جورج، وتلاه بشير، وكان ثالث الثلاثة وديع في الثامن والعشرين من شهر آذار من ذلك العام، ويعلق بسام أبو شريف تعليقاً طريفاً على مولده قائلاً: لقد أرسل وديع، بشيراً وجورج قبله ليخرجا ويتأكدا له من أن الطريق آمن، فعندما شب وكبر و أصبح قائداً بقيت المعادلة

ذاتها، يرسل دائماً من يستطلع الطريق، ليتأكد أنها آمنة قبل أن يعبرها.

درس الطب مع جورج حبش

درس بسام أبو شريف، وديعاً منذ الولادة فأيام الدراسة والشباب ومن ثم توجهه لدراسة الطب مع زميله ورفيقه الدكتور جورج حبش في الجامعة الأمريكية ببيروت، ثم عملاً مع آخرين: هاني الهندي لتأسيس حركة القوميين العرب، حتى إذا حصلت كارثة الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧ عملاً وآخرون على إنشاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الجناح العسكري الضارب للحركة، والتي عانت انشقاقات مؤسفة لاحقة أهمها انشقاق نايف حواتمة، أحد القادة التاريخيين لحركة القوميين العرب، وأسس الجبهة الشعبية الديمقراطية، وانشقاق ثالث لتتشأ الجبهة الشعبية / القيادة العامة كما عمل الدكتور وديع حداد، على تأسيس الفرع الخارجي للحركة وهو فرع العمليات الخاصة، المهتم بعمليات مد الجسور مع المنظمات الثورية في العالم التي كانت سائدة في العقد الستيني من القرن العشرين، وفي العقد اللاحق مثل: منظمة الجيش الأحمر الياباني، ومنظمة الألوية الأحمر الإيطالية، ومنظمة بادر ماينهوف الألمانية الغربية التي أخذت اسمها من مؤسسيتها، أندرياس بادر، وأورليكة ماينهوف، والحركة الساندينيستية في نيكاراغوا، ومن ثم استقطاب فلاديمير إيلتش راميرز سانشيز المعروف باسم (كارلوس) والمسجون في فرنسا

حالياً، الذي قام بعملية احتجاز وزراء منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) يوم الأحد ١٢/٢١/١٩٧٥، مع أربعة من رفاقه كانوا يتكلمون الفرنسية واقتادوا الرهائن وكانوا واحداً وسبعين فرداً نحو مطار فينا ومنه نحو مطار الجزائر وأخيراً نحو مطار العاصمة الليبية طرابلس، وقد تولى هذا الفرع عمليات خطف الطائرات: عملية مطار اللدّ، عملية مطار عينتيه بأوغندا، وخطف الطائرات إلى الصحراء الأردنية صيف سنة ١٩٧٠، وعلى إثرها تفجرت معارك أيلول بين الجيش الأردني، وعناصر المقاومة الفلسطينية، وانتهت بعقد مؤتمر قمة طارئ دعا إليه الرئيس جمال عبد الناصر، وفي نهايته، جاءت نهاية عبد الناصر في الثامن والعشرين من أيلول.

مدفوعون لا شعورياً لمواجهة قدرهم

شخص هذا شأنه، لا بد أن يكون هدفاً لمخابرات دول عدة، غربية وعربية تقف إسرائيل في مقدمتها، لكن الذي يؤسف له أن الكثير من الشخصيات العامة والمؤثرة والمطلوبة، كانت تتصرف بتلقائية، مما جعلها هدفاً سهلاً لعمليات الاغتيال، ما كانت تحتاط، وكأنها ما كانت تدري أنها مطلوبة، ولقد سبق لي أن تحدثت عن الحرب الخفية، حرب التصفيات الجسدية بين القادة الفلسطينيين والمخابرات الإسرائيلية، ولا سيما وحدة كيدون ومؤسسها وقائدها (مايك هراري) في مقالتي المنشور بجريدة (الزمان) - الأثنين ١٣/١٠/٢٠١٤ - حتى وديع حداد، الذي كان

أكثر المطلوبين للوحدات الإسرائيلية الخاصة، بسبب تأسيسه لفرع العمليات الخاصة، والقائد له، والناشط في عقد صلات واسعة مع كل المنظمات الثورية، حتى هو كان يتصرف ببساطة وتلقائية، وإلا كيف جَوَّزَ لنفسه أن يحضر مأدبة العشاء التي أقامها البعثي السابق أكرم الحوراني في بيته ببغداد، وحضرها شخوص كثيرون، مما سهل على أجهزة استخبارات محلية باعت نفسها لمخابرات أجنبية ومعادية، بالوصول إليه واقتناصه وسمه؟ وحتى هو يشعر بأنه قد سقى السم، وشغل عقله المخابراتي، ما كان رد فعله موازيا أو مساوياً لعملية سمه، كأنه كان مدفوعاً نفسياً وعقلياً لملاقاة قدره وموته، ومن خلال استقرائي لحيوات بعض القادة، وردود فعلهم البسيطة التي لا ترتقي إلى مستوى الحدث، كنت ألمس أنهم مدفوعون لا شعورياً إلى النهاية. من هذه الاستقراءات ما حدث ليلة الرابع عشر من تموز/ ١٩٥٨ إذ قرأت ما كتبه - الملازم الأول فالح زكي حنظل، الضابط الخضر للحرس الملكي بقصر الرحاب تلك الليلة، يقول فالح: كان الأمير عبد الاله جالسا في حديقة قصر الرحاب، ووصلت إلينا برقية مستعجلة من معاون مدير الاستخبارات العسكرية، وفيها إشعار بان بعض وحدات الجيش تروم الانقلاب على السلطة القائمة، وفي التقرير، البرقية أسماء عديد الضباط المتآمرين، وبدل أن يتخذ الأمير عبد الاله ولي العهد العراقي الإجراءات اللازمة فإنه وضع التقرير على الطاولة دون اكتراث قائلًا: ما شأن العراقيين معنا هم الذين جاءوا إلينا يطلبون منا أن نتولى الحكم في بلادهم، والأن يحاولون

أقصاءنا؟ إن كانوا لا يريدوننا حقاً، فإننا على استعداد لمغادرة العراق. أيصح هذا، لو لم يكن عبد الاله والأسرة المالكة مدفوعة من قوى روحية خفية ومؤثرة نحو حتفها، أكان مقبولاً أو معقولاً أن يتصرف مثل هذا التصرف؟

الأمر الثاني الذي وقفت عنده ملياً، موقف رئيس الوزراء ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة، والدارس في أرقى معهد عسكري في العالم، كلية سانت هيرست البريطانية، موقف الفريق الركن عبد الكريم قاسم صبيحة الجمعة الثامن من شباط / ١٩٦٣، وقيام أكثر من طائفة حربية بقصف مقره، وزارة الدفاع، فانه بدل أن يتوجه إلى مكان آمن لقيادة المواجهة ضد الانقلابيين مثل: معسكر الرشيد أو معسكر الوشاش، قيادة القوة الجوية، فانه ذهب إلى منطقة القتل، منطقة القصف، وزارة الدفاع، وعلى الرغم من اعتراض من كان بمعيته وهم في طريقهم إلى وزارة الدفاع ضحى ذلك اليوم، ولعله الزعيم الركن طه الشيخ أحمد، فان قاسماً ذهب إلى وزارة الدفاع وحصل الذي حصل. كذلك الدكتور وديع حداد، المطلوب الأول، والذي شعر بأثار السم ظل رد فعله بسيطاً وكان الذي كان.

والان أتساءل من الذي اغتال الدكتور وديع حداد، من الذي وضع سم الثاليوم في فنجان قهوته، هل بيع وديع حداد؟ هو الذي كان يؤكد لبسام شريف سوف يبيعونني لمن يدفع أكثر، إنها دول تبيع المناضلين عند أول (كوع) لمصالح، لماذا لا يقبضون ثمننا، وهم ليسوا معنيين بنضالنا من اجل حريتنا؟ انهم يرون فينا

سهماً ضد عدو لهم، فاذا كان ثمن هذا السهم يوفر لهم أكثر مما يوفره السهم لماذا لا يبيعونه وفي جعبتهم سهام كثيرة؟!

يتساءل بسام أبو شريف، وأنا أتساءل معه: هل كان للعراق دور؟ هل كان لأجهزة المخابرات العراقية دور؟ تاريخ المخابرات العراقية ليس زاهياً فمن الكزار (يقصد ناظم كزار لازم) إلى حمدون (بسام أبو شريف يقصد سعدون شاكر) إلى .. إلى.

هل سار القاتل في جنازة وديع حداد؟ كان العراق بأمس الحاجة لعلاقات جيدة مع الغرب ومع السعودية، وللاثنين الآخرين علاقات جيدة مع بعضهما، وللغرب علاقات وثيقة مع إسرائيل. إذا كان الكزار قد حاول قتل أحمد حسن البكر (وبالاتفاق مع صدام) وولى هارباً إلى الحدود الإيرانية، فمن الذي يمنع جهاز المخابرات (أو الأمن العام) لمصلحة العراق، أن تسعى للتخلص من وديع حداد أو التعاون على ذلك؟

يورد بسام أبو شريف في كتابه المهم هذا عن وديع حداد، روايتين، رواهما له وديع حداد، تختلفان في الصيغة، لكن تتفقان على سير الحدث.

جاء على الصفحة ١٢٩ من الكتاب ما نصه ((حسبما أبلغني الدكتور وديع، عندما جاء النادل يحمل صينية القهوة، لم يضعها على الطاولة، بل راح يناول كل ضيف فنجان. كان وديع يشرب القهوة دون سكر، فتناول فنجان. ووصف لي الدكتور وديع ما جرى بعد ذلك بالحرف: بعد أن رشفت من الفنجان، رشفة واحدة، أحسست برغبة قوية في التقيؤ. وضعت الفنجان على الطاولة أمامي

وتوجهت مهرولاً نحو المنزل لأتقيأ في الحمام. إلا أنني لم أتمكن من الوصول فقد تقيأت في الحديقة. وأحسست بألم في الحلق واللسان منذ ذلك اليوم، وأنا أتقلب من تعب شديد إلى هدوء من هبوط إلى استرخاء وفقدت شهيتي للأكل كلياً (...). الثالسيوم وضع في القهوة ورشفة واحدة، أدخلت الثالسيوم إلى جسده (...). وإذا لم يعالج بما يلزم بتلك الأيام الأربعة الأولى لن يتمكن أحد من إيقاف مفعوله. إذ يستمر في قضم أجزاء الجسم الداخلية ويدمر الكريات الحمر، ويقضي على الكلى والكبد والرئتين (والدماغ)).

أما الرواية الثانية، التي دونها بسام أبو شريف، والتي جاءت على لسان الدكتور وديع حداد، فقد نشرت على الصفحة ٢٧٣ من الكتاب وتحت عنوان: من قتل وديع حداد؟ من دس له السم؟ لقد قال لي الدكتور وديع حداد بالحرف: بعد العشاء (في منزل الزعيم السياسي السوري أكرم الحوراني، الذي لجأ إلى بغداد، وكرمه فيها حزب البعث الحاكم في العراق) جاء الخادم يحمل فناجين القهوة، وقام بتوزيع الفناجين على الضيوف، فوضع أمامي فناجان القهوة. وما أن رشفت منه رشفة واحدة حتى شعرت بلعيان وغثيان ورغبة شديدة في التقيؤ. كان الشعور عنيماً لدرجة أنني وقفت مسرعاً محاولاً الوصول إلى حمام المنزل لأتقيأ هناك، إلا أن اللعيان كان أقوى وأسرع فتقيأت في الحديقة قبل وصولي باب البيت.

من هذه الكلمات التي قالها لي الدكتور وديع حداد مباشرة

أثناء زيارتي الأولى له في منزله السري في الجزائر، تبين أن السم قد دس له فعلاً في تلك الليلة، وأنه دس من خلال فنجان القهوة. أكدت الأعراض التي راحت تظهر وتتطور يوماً بعد يوم، إن السم ينتشر، ويتحرك دون حدود في جسد وديع حداد. في البداية كانت تتوالى عليه حالات الهبوط، وفقدان الشهية للأكل والتقيؤ وعدم القدرة على الحركة، إلى حالات عودة النشاط لجسده وعودة الشهية والقدرة على الحركة حتى اللعب مع كلبه في حديقة منزله السري في الجزائر (...). لقد دس السم له في فنجان القهوة تماماً كما قال وروى بنفسه لي وللجنرال الأكل العياطي في منزله بالجزائر.

والآن نعود، بعد أن نقلنا روايتي الدكتور وديع حداد عن حادثة سمه عن طريق فنجان القهوة نعود لتساءل عن من الذي كانت له مصلحة في اغتيال وديع حداد والتخلص منه؟

من سم وديع حداد؟

وأتساءل من الذي باع وديع حداد؟ هل كان لأكرم الحوراني يد في سمه، هل استغل ثقة وديع حداد به ليمهد لسمه؟ هل كان أكرم الحوراني ساذجاً ولم يكتفه محاولات قتل وديع حداد؟ وأعود للسؤال الأهم لماذا كان الحس الأمني بسيطاً لدى وديع حداد، وهو المطلوب عالمياً، كيف يجالس كل هذه الجمهرة من الدبلوماسيين والسياسيين من جنسيات مختلفة؟ بسام أبو شريف يؤكد: لا بد أن جهات عربية كانت تعلم بذلك العشاء، طالما أن

الحضور كان قومياً، أي حضره أشخاص ينتمون لأكثر من بلد عربي، وكان هنالك سوريون وعراقيون وسعوديون ولبنانيون فضلاً عن وديع حداد.

من خلال استقرائي للحادث، وما رافقه من أحداث وملابسات وتطورات، فاني أرى أن لأجهزة الأمن والمخابرات العراقية، الدور المهم، لا بل الأكثر أهمية في عملية اغتيال وديع حداد. لقد حاول صدام حسين في ذلك الوقت عام ١٩٧٨ تلميع صورته لدى الغرب، هو الذي كان قاب قوسين أو أدنى للوثوب على المركز الأول في الدولة العراقية، فالرئيس أحمد حسن البكر، يحيا أيامه الأخيرة في الرئاسة، ونذر انتفاضة صاعقة تطيح بشاه إيران تلوح في الأفق، وإن سقوط الشاه - الذي ارتبط مع صدام بعلاقات ودية منذ اتفاقية الجزائر في شهر أذار ١٩٧٥، وكان الرئيس الجزائري الأسبق هواري بومدين لولبها - يعني ارتفاع المد الديني في إيران، لأن نذر الانتفاضة الإيرانية يقودها رجال دين متشددون، وما يعني ذلك من تأثيرات على الواقع العراقي دينياً ومذهبياً لذا كان بيع وديع حداد، محاولة لتلميع صورة النظام العراقي، ولا سيما صدام، وتوثيق الروابط مع أمريكا والغرب، فلا مبادئ في السياسة، والمصالح هي الأساس، ومما زاد في وثوقي من أن أجهزة الأمن كانت ضالعة في اغتيال وديع حداد، ما قرأته من تقرير نشرته صفحة (ذاكرة عراقية) من جريدة (المشرق) العراقية يوم الأحد الموافق للثاني عشر من شهر تشرين الأول / ٢٠١٤، وتحت عنوان: فصول من مذكراتي، من بدأ الحرب.. إيران أم العراق؟

مفاده أن صدام كان نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة، استدعى أبا نجوى، علي رضا باوة، الذي كان بعد ١٧/ تموز/١٩٦٨، عضواً في مكتب العلاقات العامة، الذي كان صدام حسين يرأسه، وكان علي رضا مسؤول مكتب حركات التحرر، وبضمنها فصائل المعارضة الإيرانية، التي كان الإمام الخميني قائداً لها، ومن الجدير بالذكر أن علياً هذا قد برز اسمه، يوم كان عضواً في المحكمة التي شكلت. لمحاكمة المشتركين في ما عرفت بالمؤامرة الإيرانية الشاهنشاهية، بداية سنة ١٩٧٠، وأرسلت العديد من الناس إلى ساحات الإعدام الراديكالية، لكن خبا نوره بعد فشل محاولة ناظم كزار مدير الأمن العام للسيطرة على مقاليد السلطة في العراق في بداية تموز/ ١٩٧٣ ومن ثم إعدامه، وإعدام عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي محمد فاضل، بوصفه مساهماً ومخططاً للمحاولة مع ناظم، ولإن علي رضا باوة كان عديلاً لمحمد فاضل، فقد حكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات، فضلاً عن كونهما زميلي دراسة في كلية التربية بجامعة بغداد، إذ درس علي رضا باوة الكيمياء، في حين تخرج محمد فاضل في قسم اللغة العربية.

علي رضا باوة يروي في المقال الذي نوهت عنه أنفاً، أن النائب صدام استدعاه وعلي رضا كانت تربطه بالإمام الخميني علاقة وثيقة، أيام كان مسؤولاً عن مكتب حركات التحرر، الذي كان يقدم المساعدات لقوى المعارضة بقيادة الإمام الخميني العاملة على تقويض حكم الشاه. فيطلب صدام منه التوجه إلى باريس

لمعرفة رأي الخميني بالحكم القائم في العراق، ذلك أن صدام كما يروي علي رضا باوة، كان واثقاً من أن الخميني سيكون قريباً في طهران على رأس السلطة الجديدة، ولأنه لم يكن يريد إلفات نظر أحد إليه في مهمته السرية هذه، فقد أنجز معاملة سفره كأى فرد اعتيادي وسافر نحو باريس والتقى في مقر إقامة الخميني بإحدى الضواحي الباريسية نوفل لوشاتو، بصديقه القديم (صادق قطب زادة) الذي عين وزيراً للخارجية في أول وزارة بعد انتصار الثورة الإيرانية، الذي طلب منه ترتيب لقاء له مع الخميني، ولما كان وقته مزدحماً بكثرة الزوار، ومراسلي وكالات الأنباء في العالم الذين يرومون إجراء مقابلات إذاعية أو تلفزيونية معه، فقدم بطاقته التعريفية لصادق قطب زادة ورجاه عرضها أمام الإمام الخميني، ولشد دهشة علي رضا باوة، إذ لما يمض سوى يومين، حتى اتصلوا به يطلبون حضوره لمقابلته، كان الخميني سعيداً جداً برؤيته وعلائم الفرح والانتصار بادية على محياه، تقدمت منه وقبلت يده (...). لكنه فاجأني وهو يقول لي أهلا بك أيها الصديق العدو.. فسألته وأنا أضحك، بعد أن أجلسني إلى جواره: مولاي صديق عرفنا... ولكن كيف أكون عدواً وصديقاً في وقت واحد؟ ... ضحك وقال لي: اسمع علي، أنت إنسان طيب ولن ننسى مواقفك، وكان ابني (اغاي مصطفى) (الذي اغتاله الشاه) يحدثني عن مواقفك لدعم معارضتنا.. لهذا أنت صديق ... لكن لكونك (بعثياً) فانت عدو.. المهم تجاوزنا الموضوع، لكن الخميني انفجر، وهو يتحدث بحنق عن النائب

صدام حسين، وقال بالحرف: علي... اسمع لن أنسى موقف صدام وتأمره مع الشاه وبوساطة بومدين على المعارضة الإيرانية في اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥، ولمجرد أن استقر في طهران، لن أتركه يحكم العراق.. وأنا أعرف بأنه هو الحاكم الفعلي لبلادكم وليس سواه.. وأنت يا علي تعرف مواقفه، وقد سمعت أنه زج بك في السجن.. لم أعلق، وحولت الحديث إلى مسائل عامة، وبعدها ودعته وخرجت لأعود سريعاً إلى بغداد، وطلبت مقابلة النائب صدام حسين لأخبره بما يهيء له الخميني (...). وكتبت تقريراً له قلت فيه: إن هدف الخميني الثاني بعد طهران سيكون بغداد..

إذن كان لتقرير علي رضا باوة، وقع الصاعقة على صدام، لذا فأن المستقرئ لحوادث بداية سنة ١٩٧٨، يرى زيارات صدام المتواصلة لمدن الجنوب العراقي، وحتى مناطق الهور، ومكوته هناك أياماً، لدراسة نبض المجتمع هناك واستقراء خواجه وتوجهاته، كان يهيء نفسه لاستلام الرئاسة وما زلت استذكر ملاحظة صديقي وزميلي في الوظيفة (لبيب محمد عطية السامرائي) الذي غادرنا مهاجراً بعيد اندلاع الحرب في أيلول /١٩٨٠، ملاحظة لبيب الذكية عن هلع النائب وخوفه من تطورات الوضع الإيراني، وتأثيراته المستقبلية على الأوضاع في العراق، رابطاً بين ذلك وهذه الزيارات المتكررة لمدن الجنوب ومحاولة استنهاض همم الناس، وتقديم نفسه إليهم، ومحاولة التقرب ودغدغة مشاعرهم ومسايرتها مادياً ومعنوياً، إذ كان يغدق على الناس عطاياها بغية استمالة قلوبهم.

إذن الوضع خطر فلا بد من ثمن، وكان بعض هذا الثمن، تقديم رأس المطلوب مخبراتياً دولياً: الدكتور وديع حداد، وذلك الاغتيال السمي المتقن، الذي لم يفطن إليه وديع حداد، الذي ما فهم الإشارة.

إذ كان من عادة النادل في بيت أكرم الحوراني، أن يضع صينية فناجين القهوة على الطاولة، ويأخذ كل منهم فنجاناً، لكنه غيرَ عادته، في زيارة وديع هذه إذ خص كل فرد منهم بفنجانه، لأن وراء الأكمة ما وراءها، ولأن الفنجان المسموم يجب أن يذهب نحو الضحية المطلوب رأسه.

لقد كنت من المتابعين لنشاطات أبي هاني الدكتور وديع حداد وقيادته لما عرف بفرع العمليات الخاصة، أو الفرع الخارجي، الذي كان ينفذ عمليات خطف الطائرات بدقة، كانت الأخبار التي نقرؤها صاعقه في الصحف والمجلات، أو نسمعها في الإذاعات شحيحة جداً فالرجل مطلوب دولياً، ولم أشاهد صورة له، لكن يوم قرأت نعيه في صحيفة عراقية مع صورة غائمة له، وإن جثمانه سينقل إلى بغداد من برلين، خمنت أن الميتة غير طبيعية، فما شأنه ببرلين إن لم يكن مريضاً، ولقد رجعت إلى مدوناتي لأقرا عن يوم الاثنين ١٩٧٨/٤/٣ ما يأتي: شاهدت اليوم في عرض الأنباء من التلفزيون مراسيم تشييع أحد قادة ومؤسسي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، واحد قادة ومؤسسي حركة القوميين العرب الدكتور وديع حداد، العقل المخطط والمنفذ في حركة المقاومة الفلسطينية، والذي كان وراء عمليات خطف الطائرات، وكان

المرحوم الدكتور وديع حداد وهو من مواليد صنفد عام ١٩٢٧ ، قد توفى في برلين يوم الثلاثاء الماضي (٢٨ / من أذار) ووصل جثمانه يوم السبت ٤/١ شارك في التشييع كبار القادة والدكتور جورج حبش وأسرتة وأسرة الفقيد.

أعود إلى الصفحة ٢٨٦ من كتاب (وديع حداد) لمؤلفه بسام أبو شريف لأقرأ ما دونه عن يوم الثلاثاء ٢٨ / من أذار/ ١٩٧٨ : غادر أبو ماهر اليماني على عجل ليرافق جثمان الشهيد وديع حداد إلى بغداد ، بعد أن تقرر أن يدفن الدكتور وديع حداد فيها.

كان الأخوة المسؤولون في بغداد قد قاموا بالاستعدادات كلها لجنائزة رسمية للدكتور وديع بعد وصول جثمانه إلى بغداد ، (...) حملت الطائرة العراقية المتجهة من برلين إلى بغداد جثمان الشهيد وديع يرافقه الإخوان أبو ماهر اليماني وحامد (سليم أبو سالم).

نقل جثمان أبو هاني للمستشفى حيث وضع في البرادات إلى حين إتمام ترتيبات الجنائزة الكبيرة.

في هذه الأثناء كان قد وصل إلى بغداد الدكتور جورج حبش ترافقه زوجته هيلدا ، وعدد من قيادات حركة القوميين العرب والجبهة الشعبية ووصلت أنا معهم.

سارت الجنائزة الكبيرة تتقدمها المراسم العسكرية وعربة المدفع التي حملت جثمان القائد الراحل ، وسار خلفهم كبار المشيعين على رأسهم الدكتور جورج حبش ورفاق وديع والمسؤولون العراقيون ، وعائلته أم هاني وهاني وجموع حاشدة من الجماهير.

أقامت الجبهة الشعبية سرادقاً قرب مقرها ببغداد لتلقي العزاء

من آلاف المواطنين والمسؤولين على مدى ثلاثة أيام كانت تتردد
الأناشيد الوطنية والأقوال الثورية، ومقتطفات مما قاله وديع حداد
أثناء حياته، حول ملاحقة العدو في كل مكان (...). غاب المعلم.
ترى هل سار القاتل في جنازة القتييل، وإلا لماذا قامت المخابرات
العراقية - كما يقول بسام أبو شريف- لحظة وفاة وديع حداد،
والتأكد من الخبر بمدهامة مقراته السرية كافة، وصادرت
مطابعه الحساسة التي كانت تنتج جوازات السفر الدقيقة
والمحدودة للعمليات الخاصة؟ فلقد غاب المعلم.
وبعد أهى مصادفة أن يولد وديع حداد في مدينة صفد
ال فلسطينية في الثامن والعشرين من شهر أذار/ عام ١٩٢٧، ويموت
في برلين في اليوم ذاته ٢٨ / أذار من عام ١٩٧٨!

نشرت في جريدة الزمان

٢٠ من محرم ١٤٣٧هـ/ ٢ من تشرين الثاني ٢٠١٥ - العدد ٥٢٤٩

بعضهم بحاجة لقراءة في التاريخ

الحسيني مفتي القدس الأسبق بريئ من المحرقة

أطلق رئيس الوزراء الإسرائيلي (بنيامين نتياهو) تصريحات قاسية ومثنجة ، ضد مفتي القدس الأسبق سماحة الحاج محمد أمين الحسيني المولود عام ١٨٩٣ ، وفي مدوناتي ليوم السبت ٦ / من تموز / ١٩٧٤ دوت عنه ما يأتي: (سمعت هذه الليلة من إذاعة لندن نبأ وفاة الحاج محمد أمين الحسيني ، مفتي الديار الفلسطينية ورئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين ، ليلة الخميس الماضي في بيروت إثر نوبة قلبية) أ. هـ

لقد أتهمه نتياهو بأنه كان وراء المحرقة التي ارتكبتها النازية الهتلرية ضد اليهود في المانية ، أو الدول التي وقعت تحت الاحتلال الألماني أثناء الحرب العالمية الثانية (١ / أيلول / ١٩٣٩ - ٨ - ٥ - ١٩٤٥) وهو الذي أقترح على أدولف هتلر (٢٠ / ٤ / ١٨٨٩ - ٣٠ / ٤ / ١٩٤٥) مستشار الرايخ الثالث ، في وقت كان هتلر ينوي طرد اليهود من أوربة فقط.

لقد دلت هذه الأقوال التي فاه بها نتياهو على جهل في قراءة التاريخ ، الأمر الذي دفع بالبيت الأبيض الأمريكي إلى رفض هذه التصريحات ، واصفاً إياها بأنها جالبة للأحقاد والكراهية. لقد كانت سياسة معاداة اليهود ، أس السياسة التي قامت عليها أفكار الحزب الوطني الاشتراكي الألماني ، المعروف اختصاراً بـ

(النازي) الذي أسسه وقاده هتلر إلى السلطة بفوزه بالانتخابات سنة ١٩٣٣، هو الذي كان يصرخ في كتابه (كفاحي) (كنت أجد أوغاداً يشتمون الحرب (أي الحرب الأولى) ويتمنون نهايتها السريعة، وكثير عدد الأنهزاميين، ولكنهم كانوا جميعاً من اليهود، كانت المكاتب مملأ باليهود، فكل كاتب يهودي، وكل يهودي كاتب (...). وكان الإنتاج كله في عامي ١٩١٦ - ١٩١٧ تحت سيطرة المال اليهودي (...). وكان اليهودي يسرق الشعب كله، ويضعه تحت سيطرته، ورأيت فزعاً الكارثة تقترب) وهذا النص منقول من كتاب.

(The rise and fall of the third Reich)

AHistory of nazi Germany- by- william . L. shirer

الذي ترجمه المترجم الفلسطيني خيرى حماد ويقع في اكثر من الفى صفحة ومن أراد قراءة الكره الأوربي عامة والنازي خاصة لليهود على مستوى الرواية والأدب تحديداً فسيجد هذا الكره المستحكم في النفوس من خلال قراءة (تاجر البندقية) لوليم شكسبير، أو رواية (موبي دك) للأمريكي هرمان ملفل (١٨١٩-١٨٩١) أو جيمس جويس في (يوليسيس) ترجمها ببراعة الأديب العراقي المغترب صلاح نيازي، وكان الروائي الروماني كونستانتان جورجيو، قد أوقف ملحمة الرائعة، روايته (الساعة الخامسة والعشرون) على الطقس المعادي لليهود في أوربية، ولولا هذا العداء لما فكر الاتحاد السوفياتي في حل مشكلة الوطن اليهودي في منطقة بيرو بيجان، لكن بيروقراطية الدولة

السوفياتية، ودكتاتورية ستالين وأدت هذا المشروع الذي كان يعاني أصلاً جرثومة موته، إذ كان الوطن المختار نائياً بعيداً قريباً من أراضي منغوليا، تنتشر فيه البرك المائية والبعوض وصعوبة الوصول لندرة المواصلات، وهو ما درسه دراسة وافية ضافية الباحث العراقي والمترجم نجدة فتحي صفوة في كتابه المهم (بيروبيجان. التجربة السوفيتية (لأنشاء وطن قومي يهودي) أصدر طبعته الأولى سنة ١٩٧٣، مركز الدراسات الفلسطينية بجامعة بغداد، سلسلة دراسات فلسطينية.

لذا فإن أدولف هتلر المعبأ بكره اليهود، هو والطبقة الحاكمة معه ما كان بحاجة إلى نصح هذا المسكين، الذي قدم إلى العراق هارباً من بيروت سنة ١٩٤٠، هو ومجموعة من رفاقه المجاهدين ووجد أرضاً خصبة في خلاف رشيد عالي الكيلاني يسانده المربع الذهبي: صلاح الدين الصباغ، ومحمود سلمان، وفهمي سعيد، وكامل شبيب، مع الأمير عبد الاله بن علي الوصي على عرش العراق، فشغل المفتي مركز الصدارة في الوسط السياسي البغدادي، وتجمع حوله الشباب القومي المتحمس، وصار مرجعاً استشارياً أعلى للعقلاء الأربعة، وأدى دوراً خطيراً ومهماً في توجيه السياسة العراقية ما بين آذار ١٩٤٠ إلى نيسان / ١٩٤١ كما يذكر الدكتور محمد حسين الزبيدي، الذي تولى تحقيق مذكرات علي محمود الشيخ علي وزير العدالة في حكومة الدفاع الوطني، أي وزارة رشيد عالي الكيلاني الأخيرة سنة ١٩٤١، محمد أمين الحسيني الذي لجأ إلى العراق هارباً، ما لبث أن فر - كذلك -

هارباً إثر اندلاع الحرب غير المعقولة وغير المتكافئة بين القوات العراقية، والقوات البريطانية، ما أدى إلى سرعة انهيارها في ٢٩ / من مايس / ١٩٤١، بعد نحو سبعة وعشرين يوماً من القتال المعروفة نتائجها سلفاً، وبعد رحلة طويلة من إيران يصل إلى برلين، شأنه شأن رشيد عالي الكيلاني، الذي ما لبث أن فر ثانية بعد سقوط هتلر وانتهاء الحرب في ٨ / ٥ / ١٩٤٥، ولجأ إلى السعودية واذ يصعد نجم الرئيس عبد الناصر، يذهب إلى مصر، وليعود إلى العراق في ١٧ / من آب / ١٩٥٨، ثم يتهم بالتآمر على كريم قاسم في ٨ / ١٢ / ١٩٥٨، ويحاكمه فاضل عباس المهداوي رئيس المحكمة العسكرية العليا الخاصة فيحكمه بالإعدام، ثم يطلق الزعيم سراحه عام ١٩٦١، وليموت في شهر أيلول / ١٩٦٥ ببغداد.

فالهولوكوست، أي المحرقة اليهودية ما كان حاثاً عليها هذا الرجل، بل سياسة دبرت ليل أو نهار، وهي جزء من توجهات السلطة الهتلرية، لذا كانت تؤمّن محاولة الرئيس الإيراني السابق محمود أحمددي نجاد نكران هذه المحرقة أو التقليل من ضحاياها، فنحن ما اقتربنا منها، أي نحن العرب، أو المسلمون، أو الشرقيون، ما اقتربنا هذا الإثم كي ننكره، فالذي يجب عليهم نكرانه والتخفف من إثمه والاعتراف بارتكابه هم، النازيون، الألمان، الأوروبيون، الذين اقتصوا اليهود من حياتهم وجعلوهم يحيون في كيتوات منعزلة خائفة وجلة، في حين عاشوا معنا بحرية واحترام، منذ أيام الدولة العربية الأندلسية، حتى إذا أسقطت ايزابيلاً وزوجها فرديناند الوجود العربي في آخر مثابة من مثاباته، غرناطة

وسلم أبو عبدالله الصغير مفتاح المدينة صاغراً وكان راجلاً ذليلاً في حين كانت ايزابيلا على صهوة جوادها أنفة متغطرسة بدأت حملة شعواء ضد اليهود والمسلمين، فلجأ اليهود إلى الدولة العثمانية، ومادمننا بصدد الحديث عن الهولوكوست، وأعداد ضحاياها، فان هناك من الباحثين والمؤرخين من ينكر هذا العدد، ويعده مبالغاً فيه وهذا الرأي ما صدر عن باحث عربي أو مسلم أو شرقي بل صدر عن باحث اكاديمي بريطاني، هو الدكتور (ريتشارز هاروود) الباحث المتخصص في دراسات وشؤون وقضايا الحرب العالمية الثانية، والأستاذ المتفرغ في العلوم السياسية والعلاقات الدولية والمسائل الدبلوماسية بجامعة لندن في كتابه الذي صدر في ضمن سلسلة:

historital Fact

Did six million Really Die

The truth at Last

وما زالت في الذاكرة الدراسة التي كتبها الأستاذ الدكتور الباحث العراقي الرصين حازم طالب مشتاق، لعرض ومناقشة ما جاء في الكتاب، هذا ونشرتها مجلة (آفاق عربية) في عدد شهر آذار/ ١٩٧٦ وإنها لمناسبة أن أذكر قراءتي لعدد بحوثه، ولا سيما كتابه المهم (من الوعي الأيديولوجي إلى الوعي الاستراتيجي) الذي نشرته دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد عام ١٩٩٣، وقرأته في كانون الأول/ ٢٠٠٧

ولدى قراءتي البحث الذي كتبه الدكتور عبد الجبار ناجي

لدراسة حوادث سنة ١٩٤١ ، ونشره في مجلة (أفاق عربية) بعددها الصادر في أيار / ١٩٨٠ ، ولا سيما البرقيات التي كان يبرقها (بول نابنشو) السفير المفوض الأمريكي في ذلك الوقت (١٩٤١) إلى وزارة خارجية بلاده، فيرد ذكر سماحة الحاج محمد أمين الحسيني، مما يؤكد دوره المؤثر في أحداث تلك السنة ولاسيما ما كتبه الصحفيان الأمريكيان (سولز بركر) و (لويس فريكتلنج) في مجلة (الشؤون الخارجية - Foreign affairs) مما هو مبثوث في البحث الذي أشرت إليه آنفاً وهي مراسلات وتقارير جديدة بالقراءة والفحص والتدبر.

نشرت في جريدة الزمان

٢٥/ من محرم / ١٤٣٧هـ - ٧- من تشرين الثاني ٢٠١٥

العدد ٥٢٥٣

نظرة إجمالية إلى واقع الحياة الثقافية

لقد ظلت السلطة منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة عام ١٩٢١ تتظربعين الريبة والتوجس إلى حركة الثقافة والأدب والكتابة، بوصف الكتاب مجموعة من المشاكسين والخارجين على بلادة القطيع وتطامنه وتواكله، لذا لجأ العهد الملكي الذي احترم الحريات العامة - نسبيًا - وكان افضل في هذا المجال من الراديكاليين الذين تلوه، لجأ كثيرا إلى إلغاء امتياز إصدار الصحف، كما قدم اكثر من أديب إلى المحاكمة، وفي الذاكرة قصائد حسين مردان (١٩٢٧ - ١٩٧٢) المشاكسة العارية، وكان يحظر على منتسبي الدولة الكتابة في الصحف، فكان الكتاب يحتالون على هذا القيد، فيكتبون بأسماء مستعارة وفي الذاكرة كتابات عبد المجيد لطفي وشاكر علي التكريتي، وإبراهيم صالح شكر وغيرهم كثير.

حتى اذا جاء تموز ١٩٥٨ كان الرقيب على المطبوعات العقيد لطفي طاهر وكان يزاول عمله في دار الإذاعة بالصالحية بداية، شقيق المقدم وصفي طاهر، مرافق رئيس الوزراء الأسبق نوري السعيد، الذي مالبت ان اضحى مرافقا لرئيس الوزراء الجديد الزعيم الركن عبد الكريم قاسم، ولا تنسى ضيق الزعيم بكتابات شاعر العرب والعراق الأكبر الجواهري وكتاباته في جريدته (الرأي العام) فضلا عن كتابات الأستاذ كامل الجادرجي

والمنشئ الأنيق نجيب المانع، حتى اذا جاءت الجمهورية الثانية في ٨ من شباط / ١٩٦٣ اغلق الانقلابيون كل الصحف: (البلاد)، و(الزمان)، و(الأخبار)، و(المستقبل)، وأخرى كان يصدرها الصحفي الرائد عبد الرزاق البارح، ضاع من بالي اسمها، ومازال في ذاكرتي كتابه عن الزعيم عبد الكريم وعنوانه (معنى عبد الكريم قاسم)! وأصدروا جريدتهم: الجماهير، وسمحوا للقوميين العرب بإصدار جريدة (الوحدة) ترأس تحريرها نايف حواتمة وعمل معه: أمير الحلو والدكتور باسل الكبيسي - رحمهما الله - وللإخوان المسلمين جريدة (الجهاد) اللتين أوقفنا عن الصدور بُعيد أسابيع قليلة!

وإذ ينقلب الرئيس عبد السلام عارف على البعثيين في ١٨ / تشرين الثاني / ١٩٦٣ فانه يصدر صحيفة (الثورة العربية) لسان حال الاتحاد الاشتراكي العربي فضلاً عن مواصلة صدور صحيفة (الفجر الجديد) لطله الفياض و(العرب) لنعمان العاني، و(البلد) للصحفي الرائد عبد القادر البراك و(المنار) ورئيس تحريرها عبد العزيز بركات.

شهد عهد الرئيس عبد الرحمن عارف، ولاسيما بعد كارثة الخامس من حزيران ١٩٦٧ حرية نسبية، فصدرت صحف تداوي جراحات الكارثة ومن وحيها، فصدرت جريدة (صوت العرب) لشاكر علي التكريتي و(الوحدة) لكن شهد أواخر عهده، صدور قانون الصحافة والمطبوعات في شهر كانون الأول / ١٩٦٧ وبموجبه أممت الصحف، وتحول الصحفيون إلى موظفين كسالي ينتظرون

ما تجود به عليهم وكالة الأنباء العراقية!

وبعد ١٩٦٨ ظل الحال على ما هو عليه، صحافة مؤمنة تابعة للدولة، مع فرض مزيد من الرقابة والادلجة، حتى رفاقهم في الجبهة، ما نجوا من رقابتهم ومحاولات اختراقهم! وقد استعير هذا النهج، تأميم الصحف وإلغاء حرية الأفراد في إصدار صحفهم الخاصة، وفي كل الدول العربية الراديكالية، استعير من الدول الشرقية الاشتراكية الشمولية، ويقف الاتحاد السوفيتي على رأسها، وبقي آخر نموذج لها في سورية، إذ تصدر صحف: (البعث)، و(الثورة)، و(تشرين)، و(الوطن)!

لقد تحدثت عن حرية الصحافة والصحف ليكون حديثي ظلًا لقراءة الحركة الثقافية في العراق، فالصحافة رديف الثقافة والحلبة التي تتبارى فيها الأقلام، فالكتابة تخضع لرقيب قاس، وغالبا يكون جاهلا، أو قادما من الثكنة، سواء ثكنة حقيقية أم ثكنة فكرية! لذا لجأ البعض إلى نشر كتبهم خارج العراق، وفي الذاكرة رواية (الرجع البعيد) لفؤاد التكرلي، وكتاب (علي بن أبي طالب. سلطة الحق) للمفكر عزيز السيد جاسم، الذي كان نشره سببا أساسا في تغييبه، واعتقال شقيقه الناقد الدكتور محسن جاسم الموسوي والحديث يطول، حتى أن رقيب وزارة الثقافة والإعلام، منع نشر كتابي الثاني وعنوانه (الضفة الثانية. في نقد القصة والرواية) عام ٢٠٠١ لأن فيه ذكرا للروائي العراقي المغترب عبد الرحمن مجيد الربيعي فضلا عن استشهادي بدراسة كتبها الناقد المصري عبد القادر القط، عن رواية (الوشم)

للربيعي، أو تقديم تعهد بحذف هذه السطور كي ينشر الكتاب!!
وجاء طوفان ٢٠٠٣ صحف كثيرة تبخرت سراجا وحرية نشر لا
بل انفلات في هذه الحرية، وطفت على الساحة ظاهرة استسهال
النشر فدور النشر مفتوحة الأبواب، ولا مانع لديها من أن تطبع لك
حتى مئتي نسخة أو مئة! فضلا عن دور النشر في دول الجوار.

وتلاشت صفحات القراء والمبتدئين والشداة، وتلك النصائح التي
كان يقدمها المحرر لتقويم كتاباتهم، وتبيان نقاط الضعف فيها،
فاذا لم تنشر له في الصفحة الثقافية، فبإمكانه النشر على مواقع
التواصل الاجتماعي فأمسى يكتب من لا يميز بين عمل الفاعل
والمفعول به ولا تسألن عن الأخطاء والأغلاط والخطايا اللغوية
والإنشائية والنحوية والإملائية، فهو يكتب ولا يعرف مواقع رسم
الهمزة رفعا وجرا ونصبا، لا بل سمعت وشاهدت من يرتقي منصة
المريد، فيلحن ويخطئ ولا يعرف شيئا عن العروض، فالعروض من
آثار الماضي، وقصيدة النثر هي المعول عليها، لأنها لا تحتاج إلى
وزن ولا إلى تفعيلة وقافية، ومع كل هذه لا يقبل ألا أن تصفه
شاعرا!

الأمر بحاجة إلى وقفة ووقفات، الاهتمام بالتعليم منذ الابتدائية
وحتى الجامعة، وان لا تنشر الصحف لكل من هب ودب، ويكتب
(ذلك) هكذا (ذاك!) و(نحن) يكتبها هكذا (نحنو)!

وتعاد صفحات القراء، ووضع المؤهلين ثقافيا في رئاسة الأقسام
الثقافية بالصحف، وعدم منح عضوية اتحاد الأدباء، فضلا عن
نقابة الصحفيين، إلا لمن يستحقها، وارى أن إلغاء المنحة السنوية

سيقلل من تهافت بعضهم على بطاقة الهوية، والتقليل من هذه المؤتمرات الثقافية التي تدعى إليها وجوه محددة تتكرر في كل آن وعام تجدهم في كل ندوة ومهرجان يتقدمون الصفوف، فهي لا تقدم إلا النزر اليسير، وبالإمكان الاستفادة من هذه المبالغ في تعضيد ونشر كتب أعضاء الاتحاد، وان تعاد إلى الوجود جهة تتولى توزيع المطبوع. فالمطبوع على المستوى الرسمي والأهلي، يبقى حبيس المخازن والصناديق الكارتونية تعلوه الأتربة عدا كتب محظوظة تشارك في معارض الكتب على قلفتها. الأمر بحاجة إلى مدارس ومناقشة ووضع الحلول الناجعة، والا فأن النزف الذي تعانيه الثقافة العراقية بسبب تآكل الكفاءات بالموت، والهجرة والصمت والخوف واللاجدوى، وانحسار القراءة، فالجيل الجديد الذي نشأ على صور المعركة وكل شيء من اجل المعركة وانحلال القيم، لا شأن له بها، سيجعل الثقافة والقراءة أقرب إلى ديناصور مضى زمانه، فالزمن زمن اكل وشرب ومتع وسخف ومواقع تواصل وتساخف.

ملحق (ألف باء) جريدة (الزمان)

الأربعاء ٣٠ - ١٢ - ٢٠١٥

إيماضة من الماضي الجميل

معلمون مسيحيون ودروز ومسلمون سنة في المدرسة الجعفرية

ببلبنان

احرص في قراءاتي، على البحث عن صور الالتقاء بين الديانات السماوية الثلاثة في بلدنا العراق، فضلا عن الوطن العربي، فأنا ابحث عن نصف الكأس المملوء وتأكيده، لا النصف الفارغ، نقاط الالتقاء لا نقاط الافتراق، قبل ان تطفو على السطح موجات الإقصاء والإلغاء والكره والتكفير، حتى على مستوى الدين الواحد، وارى ان ذلك حصل، بسبب صعود نجم الراديكاليين العرب، وقضهم إلى سدة الحكم، منذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين، واهتمامهم بالحفاظ على كرسي الحكم، من خلال القولية والتجهيل، لذا شهد العراق وبلدان عدة في الوطن العربي تراجعاً في التفكير وعودة إلى مفاهيم عصور خلت، لا بل إلى ابشع ما في هذه العصور من مفاهيم ولقد حرصت من خلال قراءاتي على التقاط الصور الجميلة في ثقافتنا التي كانت تعلي شأن المواطنة والعيش المشترك، وجعل الهويات والاعتقادات الأخرى السياسية أو الدينية، وحتى المذهبية أو الانتماء العرقي أو القومي، شأناً خاصاً بالفرد لا يميزه عن الآخرين، كذلك لا يقلل من قيمته وأهميته ومازلنا نتذكر مسألة ترشيح رئيس الوزراء الأسبق الزعيم الركن عبد الكريم قاسم، للعالم الفيزيائي الدكتور عبد الجبار عبد الله ليرأس جامعة بغداد الوليدة حديثاً، واعتراض بعضهم على الترشيح، وينسب

الاعتراض لرئيس مجلس السيادة، الفريق الركن محمد نجيب الربيعي كون الدكتور عبد الجبار صابئياً مندائياً، فينسب إلى الزعيم قوله: أنا أرشحه ليكون رئيساً للجامعة، وليس إماماً لجامع! ولقد قرأت الكثير بشأن هذه القضية ونسبة الاعتراض إلى آخرين منهم وزير الداخلية الزعيم الركن احمد محمد يحيى والى أشخاص آخرين لكني أرجح هذه الرواية التي كتبها المختص بالشأن القاسمي الدكتور عقيل الناصري.

أقول: في حين كان أول رئيس لجامعة بغداد أيام العهد الملكي هو العالم الدكتور متي عقراوي، الذي أقيـل من منصبه بُعيدَ تموز / ١٩٥٨ ولم يعترض احد على ترشيح هذا العالم المسيحي لمنصب رئاسة جامعة بغداد أيام العهد الملكي لتألق مفاهيم التقدم والمواطنة والأخذ بأساليب الحياة المتحضرة والراقية، ولقد قرأت ان الدكتور عقراوي ظل حزينا خائفا يترقب لما سيؤول إليه مصير هذا الصرح العلمي الرصين بعد إقالة ضباط تموز له، حتى اذا تناهى إليه ترشيح هذا العالم العلم الدكتور عبد الجبار عبد الله هدأ قلبه واطمأن على مصير هذا الصرح الذي غذاه بعمله وعلمه وروحه. وأنها لمناسبة كي أؤكد أن أول رئيس لجامعة بغداد هو الدكتور متي عقراوي وليس الدكتور عبد الجبار عبد الله، وهو ما دأب الكثير على تأكيده، لعلها لدوافع سياسية أو لقصور فهم. لقد كتبت شيئاً من هذه الصور الجميلة المحببة، التي تعلي شأن المواطنة على الشؤون الأخرى، ومنها ما ذكرته عن الأديب المسيحي اللبناني أمين نخلة (١٩٠١ - ٧٦/٥/١٣) الذي كتب مقدمته

المسيحية، لكتاب عنوانه (نفسية الرسول العربي) للكاتب اللبناني إسكندر الرياشي (١٨٨٨ - ١٩٦١) في حين كتب مقدمته المحمدية العلامة الشيخ عبد القادر المغربي (١٨٦٧ - ٧ / حزيران / ١٩٥٦) الذي ترأس المجمع اللغوي بدمشق، فضلاً عن مقالي عن الناقد اللبناني مارون عبود (١٨٨٦ - ١٩٦٢) الذي كان يكنى نفسه بـ (أبي محمد) فضلاً عن مقالي عن الكاتب اللبناني المسيحي (بولس سلامة) (١٩٠٢ - ١٩٧٩) وكتابه الشعري (عيد الغدير. أول ملحمة شعرية) وجورج جرداق وحبه للإمام علي، ما دفعه لتأليف كتابه الجميل (الإمام علي صوت العدالة الإنسانية).

وأنا أقرأ ملفاً عن الكاتب والسياسي اللبناني محمد دكروب (١٩٢٩ - الخميس ٢٤ / ١٠ / ٢٠١٣) استوقفني مقال للأستاذة نوال العلي، حمل عنوان (محمد دكروب: الصبي الفوّال.. تعلم على الطريق) وبعد أن تسرد علينا شغف أبي محمد دكروب بالنسوان، حتى أن زوجته كانت معتادة على الإصغاء لغراميات زوجها بأع الفول، فأن هذه الخصلة قد أورتها لابنه (محمد دكروب) وكما تعايشت أمه مع غراميات أبيه، وعدتها أمراً اعتيادياً فإن زوجة محمد دكروب الروسية (سفيتلانا) تعايشت مع شغف زوجها بالنساء، فكانت تلفت نظره إلى النساء الجميلات أن اغفل - لأمر ما - النظر اليهن! تقرأ في المقال، صورة جميلة من صور المحبة والتعايش الديني، لدى الناس في عشرينات القرن العشرين وما تلاه، إذ لم يكد محمد دكروب يقضي أربعة أعوام في (المدرسة الجعفرية) حتى اضطر أبوه - كما تكتب نوال العلي إلى إخراجه منها ليساعده في العمل،

فالأُسرة فقيرة، والأفواه بحاجة إلى طعام يجلبه العمل، لا الدرس وعلى الرغم مما يحمله اسم (المدرسة الجعفرية) للوهلة الأولى من دلالة مذهبية، وكان مؤسسها احد رجال الدين، الا ان أساتذتها كانوا من المسيحيين والدروز والمسلمين، سنة وشيعة، بل ان مديرها عبد الحسين شرف الدين كان يصدر مجلة ذات طابع قومي عربي، هذا المناخ الثقافي السائد الغني، اسهم في تأسيس بنية منفتحة لآبناء ذلك الجيل ومنهم محمد دكروب الذي ماتني مسألة خروجه لا بل إخراجة من المدرسة الابتدائية وفي مرحلة مبكرة من حياته، جرحا لم يندمل والأمر ينطبق على المدارس الجعفرية في بغداد، اذ كان في الثانوية الجعفرية ومازالت قائمة قرب العبخانة، التي درست فيها وتخرجت عام ١٩٦٣ - ١٩٦٤ طلاب من مختلف الديانات والأعراق، وكان صديقي (جورج) من طلابها قبل أن تتدها الادلجة والرأي الأوحد، وليغير اسمها الى (ثانوية محمد سليمان) القائد البعثي السوداني، وعضو القيادة القومية لحزب البعث الذي ارسل صيف سنة ١٩٧١ على رأس وفد حزبي كان منهم صلاح صالح وحمودي العزاوي وسمير عبد العزيز النجم، للتهنئة بالانقلاب العسكري الذي قاده الضابط السوداني هاشم العطا، ضد الرئيس جعفر النميري، فسقطت الطائرة به ومن معه لدى نزولها في مطار جدة، فاطلق اسمه على الثانوية الجعفرية.

ويحدثنا رجل الدين اللبناني الجنوبي والمنشئ الجميل هاني (مصطفى حسن) فحص (١٩٤٦ - الخميس ١٦ / من أيلول / ٢٠١٤) في الجزء الثاني من كتابه الرائع الذي هو اقرب إلى سيرته الذاتية، وفيه

يؤرخ لحياته في العراق يوم جاء عام ١٩٦٣ للدراسة في حوزة النجف، مع مجموعة من الطلاب اللبنانيين، وليغادره سنة ١٩٧٢ بعد إكمال دراسته، هاني فحص الذي احب العراق اكثر من حب العراقيين له، النخلة العراقية المزروعة في لبنان، وشجرة الأرز اللبنانية المغروسة في العراق، هاني فحص في الجزء الثاني من كتابه (ماض لا يمضي) يحدثنا عن المدرسة ذاتها المدرسة الجعفرية التي أسسها السيد عبد الحسين شرف الدين (١٢٩٠ - ١٨٧٢ - ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧) عام ١٩٣٨ في مدينة صور وكان جهازها يضم عددا من الأساتذة المسيحيين منهم: متري الحلاج وجورج خوري وجورج كنعان، وإذ تحدث النكبة سنة ١٩٤٨ فان الإمام شرف الدين يخلي طلابها، ويفتح أبواب المدرسة والمسجد للنازحين الفلسطينيين مسلمين ومسيحيين حتى ان المسيحيين منهم يبنون في وقت لاحق - كنيسة لهم في منطقة (البص) وهذا الأستاذ مارون الحاج المسيحي الماروني يأتي للتعليم في مدرسة القرية، ولم يعتم ان امسى مارون الحاج مستشار الضيعة في كل شيء، حتى ان مختار القرية عبد الغفار حرب يجعل ابنه حسينا رفيقا دائما لمارون الحاج.

صور جميلة رائعة من أيام التعايش والسلام، ما أجدرنا ان نتأساها ونجعلها في حياتنا نبراسا والهاما.

جريدة (الزمان)

الخميس ٧ - ١ - ٢٠١٦

القاضي محمد نور الذي حاكم طه حسين

عقل نيرٌ وفكرٌ حصيف

قال الدكتور طه حسين (١٨٨٩-١٩٧٣) في مقدمة الطبعة الثانية من كتابه في الأدب الجاهلي المؤرخة في ١١/ مايو/ ١٩٢٧ ما يأتي ((هذا كتاب السنة الماضية حذف منه فصل، وأثبت مكانه فصل، وأضيفت إليه فصول، وغير عنوانه بعض تغيير، وأنا أرجو أن أكون قد وفقت في هذه الطبعة الثانية إلى حاجة الذين يريدون أن يدرسوا الأدب العربي عامة، والجاهلي خاصة، من مناهج البحث وسبل التحقيق في الأدب وتاريخه)).

فلقد أصدر الدكتور طه حسين في بداية عام ١٩٢٦ كتاباً سماه في الشعر الجاهلي احتفلت الأوساط الثقافية بالقاهرة صيف عام ١٩٩٦ بمناسبة مرور سبعين عاماً على إصداره، تعرض فيه لبعض الموضوعات الحساسة جداً، مما أثار حفيظة الكثير من الناس، وذهب ببعضهم الأمر إلى رفع شكوى، لا بل شكوى إلى النيابة العامة بمصر، لغرض تقديم المؤلف إلى المحكمة، كما أثار ثائرة عديد رجال الدين فضلاً عن الدارسين والباحثين، فألفوا كتاباً بعينها للرد عليه، وموضوع الكتاب هذا يذكرني بكتاب (الإسلام وأصول الحكم) الذي كتبه الشيخ الأزهرى علي عبد الرازق، (١٨٨٨-١٩٦٧) وهو من قضاة المحاكم الشرعية بمصر، وصدرت طبعته الأولى سنة (١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥) وهو بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام، الذي أثار ضجة واسعة عند

صدوره، لأنه ذكر أن نظام الخلافة جاءت به ظروف الحياة التي استجذبت بعد وفاة الرسول الأعظم، ولم يكن أصلاً من أصول الحكم، وإذ أحيل طه حسين إلى المحاكم المدنية، وشاء حسن حظه أن يتولى الأمر، أمر محاكمته، العاقل الحصيف القاضي محمد نور، رئيس نيابة مصر، فأن علي عبد الرازق أحيل إلى هيئة من كبار رجال الأزهر، تولت محاكمته، فقررت عزله عن القضاء، وتجريده من شهادة العالمية، الشهادة التي يحصل عليها كل دارس في الجامع الأزهر! وقد قرأت الكتاب، ونصوص محاكمته، تولى تحقيقها، فضلاً عن دراسة قيمة بين يدي الكتاب كتبها الدكتور محمد عمارة، صدرت طبعته الأولى عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت عام ١٩٧٢ وأعادت نشر الكتاب دار الهلال سنة ٢٠٠٠ الدكتور محمد عمارة، الذي يسجل له فضل دراسة فكر المعتزلة الوسطي، القائل بالمنزلة بين المنزلتين، ونشره، تحول عمارة إلى داعية متعصب في سنوات تلت ومكفر!

كما ان كتاب في الأدب الجاهلي يذكرنا بكتاب للدكتور صادق جلال العظم الذي أقام الدنيا، وأثار مشاعر الناس عنوانه نقد الفكر الديني قرأته لدى صدوره صيف عام ١٩٦٩ فانبرى للرد عليه عدد من الباحثين ورجال الدين، وما فتئ في الذاكرة، رد رجل الدين اللبناني الشيخ محمد جواد مغنية توفى ١٩٧٩ الذي قرأت عديد كتبه مثل: فضائل الإمام علي. الشيعة والحاكمون. في التصوف والكرامات، في سنوات الفتاء والشباب الأولى.

ولقد كان هذا الباحث الفلسفي الرصيني، صادق جلال العظم، مولعاً بكل مثير للجدل، فأصدر في ذلك الوقت، نهاية عقد الستين من القرن العشرين، كتاباً عنوانه (النقد الذاتي بعد الهزيمة) أي المقاومة الفلسطينية، فضلاً على كتاب (مأساة إبليس) وله كتاب (ذهنية التحريم) وما بعد ذهنية التحريم خصصهما للحديث عن تداعيات نشر رواية (آيات شيطانية) للروائي هندي الأصل بريطاني الجنسية، سلمان رشدي، واحتوى الثاني ما كتب عن رواية آيات شيطانية فكان، الكتاب، بمثابة وثيقة تاريخية، قرأت هذه الكتب كلها، فضلاً عن دراسته المشيرة للجدل - كذلك - يوم نشرت الصحف المصرية، فضلاً عن جريدة الأنوار اللبنانية، ما قيل في شهر مايس / ١٩٦٨ وكنا نحيا تحت وطأة وكابوس هزيمة الخامس من حزيران / ١٩٦٧ باحثين عن بارقة أمل ورجاء في ليل الهزيمة الدامس، فنشرت الجرائد، صورة خيال، قيل إنه خيال السيدة مريم العذراء، فوق إحدى الكنائس بمدينة الإسكندرية، وفسروا ظهورها بأنه إيذان بنصر مقبل! فناقش العظم هذه الظاهرة مناقشة علمية بدراسة رصينة نشرتها مجلة (دراسات عربية) اللبنانية الرائعة والمحتجبة عن الصدور مع الأسف، نشرتها صيف تلك السنة ١٩٦٨

أعود لأقول: إن كتاب في الشعر الجاهلي قد أثار ثائرة الناس التي - غالباً - لا تقرأ، بل تتبع الأقاويل والشائعات، حتى أن طه حسين، صرح في حينها بان ثمانية وتسعين بالمئة من هؤلاء المعترضين لم يقرأوا الكتاب!، فما شأن الدهماء بالقراءة

والكتابة ١٥

فتصدى للرد عليه عدد من الكتاب منهم: محمد فريد وجدي، (١٨٧٨-١٩٥٤) في كتابه نقد كتاب في الشعر الجاهلي، وقد ذكر لنا أحد أساتذتنا أيام الطلب في كلية آداب الجامعة المستنصرية بداية عقد السبعين من القرن العشرين، أن محمد فريد وجدي هذا، رتب كتابه بان يورد صفحة من كتاب في الشعر الجاهلي وفي الصفحة المقابلة رد وجدي، صفحة إزاء صفحة، وكذلك كتاب (نقد كتاب في الشعر الجاهلي) للمرحوم محمد الخضر حسين توفي في ٢٨ / شباط / ١٩٥٨. وكتاب (الشهاب الراصد) لمحمد لطفي جمعة (١٨٨٦-١٩٥٣) وغيرها كثير. لقد رفعت القضية إلى النيابة العامة بمصر، للنظر في الشكاوى المقدمة ضد ما جاء في الكتاب هذا، ولقد اطلعت على حيثيات القرار الذي أصدرته النيابة العامة ممثلة بالسيد محمد نور، رئيس نيابة مصر في ذلك الوقت، والذي تولى تحقيقها ونشرها الروائي المصري خيرى شلبي (١٩٣٨-٢٠١١) في كتاب عنونه بـ (محاكمة طه حسين) أصدرت طبعته الأولى في شباط / ١٩٧٢ المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت.

لقد دل القرار، على ما يمتاز به القاضي محمد نور من عقل نير وفكر حصيف، وأبان أنه قارئ جيد، اطلع على كثير من المعارف والعلوم، لذلك ناقش طه حسين في آرائه الواردة في كتابه، وافحمه في مواضع متعددة، وانه رجع في مناقشاته إلى المصادر القديمة العديدة، ومنها كتاب (طبقات الشعراء) لأبي عبد الله

محمد بن سلام الجمحي ت ٢٣٢ هـ، إذ أن طه حسين أوردَ قولاً مشهوراً لأبي عمرو بن العلاء، ت. ١٥٤ هـ (ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا)، في محاولة من طه للدلالة على ان الشعر الجاهلي لا يمثل الحياة الدينية والعقلية عند عرب الجاهلية، وان هذا الشعر بعيد كل البعد، عن ان يمثل اللغة العربية في العصر الذي يزعم الرواة وجامعو الشعر أنه قيل فيه، إلا أن الأستاذ محمد نور يصحح ما ذكره طه حسين من خلال رجوعه- كما قلت- إلى كتاب (طبقات الشعراء) لينص على أن ما قاله أبو عمرو بن العلاء هو: ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعريبتنا.

ولا يخفى على الباحثين والقراء الجادين، أن أبا عمرو بن العلاء هو أحد القراء السبعة للقرآن الكريم.

القاضي محمد نور القارئ المدقق لما في بطون المظان، وصولاً إلى الحقيقة التي هي رائدته، لا يقف عند هذا الحد، بل يقول: وقد يكون للمؤلف مأرب من وراء تغيير النص، على أن الذي نريد أن نلاحظه، هو أن ابن سلام قد ذكر قبيل هذه الرواية، في الصفحة نفسها ما يأتي: وأخبرني يونس (ويعني ابن سلام أنه يونس بن حبيب الذي يعد من أوائل النحاة الذين درسوا نحو العرب)، قال: العرب كلها ولد إسماعيل إلا حمير وبقايا جُزهم.

وللدقة فان محمد نور يحيل من يهمله الأمر إلى الصفحة الثامنة من كتاب (طبقات الشعراء) طبعة مطبعة السعادة بمصر وتبلغ الحاجة ذروتها ليقول: فواجب على المؤلف ادن وقد اعتمد صحة العبارة الأولى أن يسلم بصحة العبارة الثانية، لأن الراوي واحد

والمروى عنه واحد ، وتكون نتيجة ذلك أنه فسر ما اعتمد عليه من أقوال أبي عمرو بن العلاء بغير ما أراده، بل فسره بعكس ما أراده، ويتعين إسقاط هذا الدليل. ويتألق القاضي محمد نور- رحمه الله - لدى مناقشته لطله حسين في موضوع القراءات السبع الواردة في كتابه، الأمر الذي يدل على علو كعبه في العلم العسير هذا، فيرجع إلى أمات المصادر والمراجع، يورد ما ورد فيها وأراء القراء، قراء القرآن الكريم، واهل العلم في ذلك.

ولولا الإطالة لعرجت على الموضوعين الثالث والرابع، بعد أن تحدثت عن الموضوعين الأول والثاني، اللذين ناقشهما القاضي محمد نور فأفحم طه حسين وأسكته في مواطن كثيرة، لكنه لشدة احترامه لأراء الآخرين وعدم تزمته، فانه يتوصل إلى أن المؤلف طه حسين وان كان قد أخطأ فيما كتب الا ان الخطأ المصحوب باعتقاد الصواب شيء، وتعمد الخطأ المصحوب بنية التعدي شيء آخر... لذا تحفظ الأوراق إدارياً. وتلك- لعمري- تخريجات مبهرة وحاذقة وذكية، تدل على حذق صاحبها وفكره الواسع وقراءاته الجيدة، وانها لمناسبة أن أذكر، أني بحثت في (كوكل) عن شيء يخص هذا القاضي النزيه، فما وجدتُ حرفاً يشير إليه، فوا أسفاه!

رحم الله محمد نور رئيس نيابة مصر في العقد الثالث من القرن

العشرين

الزمان ملحق الضياء -الاثنين ٢٢/٢/٢٠١٦

كفاءات باهية رحلت عن دنيا مصر ..

العرب خسروا غالي وهيكل

رزئت مصر والأمة العربية، برحيل شخصيتين شاخصتين في عالم السياسة والصحافة، فما أن أفاقت مصر والأمة العربية من صدمتها برحيل الدكتور بطرس بطرس غالي يوم الثلاثاء ١٦ / من شباط / ٢٠١٦، أول مصري وعربي وأفريقي يصل إلى أعلى منصب في عالم السياسة الدولية، وهو منصب الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة وسادس أمين عام بعد رومينكه وداكهمرشولد وأوثانت وكورت فالدهايم وبيريز دي كويلار.

هو سليل أسرة قبطية مصرية عريقة في القدم، تولت مناصب عليا في الدولة المصرية منذ أيام الخديوات، وكان جده بطرس باشا غالي قد تولى رئاسة الوزارة، وكانت تسمى وقتذاك بـ (النظارة) وإذ حاول بعضهم الاعتراض على كونه قبطياً، فإن الخديوي عباس حلمي الثاني، يرد اعتراضهم بان تاريخ مصر المتعاش والقابل للأخر، قد أسند إلى (نوبار باشا) رئاسة الوزارة مع إنه ما كان مصرياً، فضلاً على كونه مسيحياً، لكن بطرس باشا غالي تجابهه (حادثة دنشواي) التي حصلت في ١٣ / حزيران / ١٩٠٦، وتعددت الروايات فيها، وخلصتها أن عدداً من جنود الاحتلال البريطاني، كانوا يصطادون الطيور في ضواحي دنشواي، فأصابوا عدداً من فلاحها وقتلت امرأة مسنة، فثارت ثائرة الناس وقتلوا عدداً من الجنود الإنكليز ثأراً، فاستشاط

الحاكم الإنكليزي اللورد كرومر غيظاً، فأعتقل بعض هؤلاء الناس وحكم ستة منهم بالشنق، وآخرون بالجلد، ووجهت أصابع التواطؤ والاتهام إلى بطرس باشا، فقتله إبراهيم الورداني، ولحافظ إبراهيم قصيدة بهذه الحادثة، عنوانها (حادثة دنشواي) نشرها في الجرائد في ٢/ يوليو/ تموز/ ١٩٠٦، وضمها ديوانه الشعري، جاء فيها:

ليت شعري أتلك (محكمة التف)

تيش) عادت أم عهد (نيرون) عاداً؟

وقد تولت هذه الأسرة مناصب عليا في الدولة المصرية، وكان بطرس بطرس غالي (١٤/١١/١٩٢٢ - ١٦/٢/٢٠١٦)، قبل أن يتسلم منصب الأمين العام للأمم المتحدة، نائب رئيس الوزراء للشؤون الخارجية، وتولاها لعهد واحد، إذ قيل أنه واجه رفضاً أمريكياً على تجديد ولايته، بسبب تنديده بجريمة (قانا) حيث هاجمت الطائرات الحربية الإسرائيلية، مقر الأمم المتحدة في قانا، الذي لجأ إليه الناس هرباً من القصف الهمجى الإسرائيلي بداية سنة ١٩٩٦ فدفع غالي ضريبة صدقه ونزاهته.

وإذا كان غالبية المصريين يتحدثون بالعامية، فاني سمعت أحاديث شيقة لهذا العلم الشاخص، يتحدث بلغة صافية راقية جميلة، شأنه شأن الدكتور طه حسين، الذي ما شان حديثه بتعابير عامية.

وما هي إلا سويغات قليلة، حتى تناقلت الأنباء، رحيل الصحفي

الشهير محمد حسنين هيكل (١٩٢٣/٩/٢٣ - ٢٠١٦/٢/١٧)، الذي زاول العمل الصحفي منذ أيام الحرب العالمية الثانية، وتقلب في الوظائف الصحفية والإعلامية سنوات طويلة، وتولى رئاسة الصحيفة القدمى والأكثر شهرة في تأريخ الصحافة العربية واعني بها (الأهرام) التي أسسها سليم تقلا المهاجر اللبناني، وأصدر عددها الأول في يوم السبت ٥/ آب/ ١٨٧٥، وكانت في بدايتها أسبوعية، وكان هيكل قريباً من مصادر الأخبار والقرار ولا سيما أيام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر (١٩١٨ - ٩/٢٨/ ١٩٧٠)، الذي عينه أخريات أيامه وزيراً للإرشاد.

لقد عرفنا (هيكلًا) من خلال مقالاته التي كان ينشرها على صدر الصفحة الأولى من جريدة (الأهرام) ولا سيما مقاله الأسبوعي الموسوم (بصراحة) كنت تعرف من خلاله توجهات السياسة المصرية وزعيمها جمال عبد الناصر، أيام تصاعد المد القومي العربي، وكنا نستمتع إلى المقال مذاعاً من إذاعات القاهرة ولاسيما إذاعة صوت العرب، التي كنا نستطيع التقاط بثها، الأوضح من بث الإذاعات المصرية الأخرى بسبب اهتمام القيادة المصرية، بإيصال آرائها وتوجهاتها إلى الناس في كل أصقاع الوطن العربي، وإن فاتنا الاستماع إلى مقال (بصراحة) مذاعاً من صوت العرب فإننا نتابعه في الجريدة، التي كانت تصل إلى العراق، وفي سنوات تلت، اشترت حق نشره جريدة (الأنوار) اللبنانية، كبرى منابر مؤسسة سعيد فريحة الصحفية اللبنانية.

كما قرأت عديد دراساته التي كانت تنشرها مجلة (وجهات

نظر) المصرية الرصينة، فضلاً عن كتبه الشيقة ومنها: (عبد
الناصر والعالم) وفيه إضاءة للقاءات الزعيم عبد الناصر مع:
خروشوف الزعيم السوفياتي، وشوان لاي القائد الصيني
وغيرهما، و(زيارة جديدة للتأريخ) وهو مجموعة مقابلات معمقة
ورصينة مع عدد من الشخصيات المؤثرة في القرن العشرين مثل:
انشتاين عالم الفيزياء الشهير ومكتشف البعد الرابع للكون،
وروكفلر أحد سدنة الاقتصاد الأمريكي وثالثاً كتابه الوثائقي
المهم (ملفات السويس. حرب الثلاثين سنة) فضلاً عن كتابه
(خريف الغضب. قصة ونهاية عصر السادات).

ومع أني قليل المشاهدة للتلفاز فقد حظيت ببعض حلقات (شاهد
على العصر) ومع أني ما أواقفه على قوله ناكراً فضل ناصر عليه
بانه كان صحفياً معروفاً يوم كان جمال عبد الناصر ضابطاً في
الجيش المصري مغموراً، فأقول: نعم هذه نصف الحقيقة، أما
نصفها الآخر، فهو ان قريه من ناصر أضفى عليه مزيداً من التائق
والذئوع، والا لماذا لم يحصل عدد من أساطين الصحافة المصرية،
على عشر معشار ما حصل عليه هيكل؟، واضعاً في الحسيان
الفروقات الفردية للأفراد، ومزاياهم الشخصية، فلولا فضل ناصر
عليه لما بزَّ محمد التابعي وفكري أباطة والتوأم علي أمين
ومصطفى أمين وغيرهم كثير؟!

كذلك كنت أجد في أحاديثه، تنفجاً وزهواً بالذات، أن لم
أقل تدليساً ومجافاة للحقائق، وهذا ما نعانیه في عديد الكتابات
السياسية، سواء على مستوى المذكرات المكتوبة فضلاً عن

الأحاديث في التلفاز أو الندوات، والردود والمناقشات في الصحف والمجلات وما درى هؤلاء أن أقوالهم بما فيها من غث وسمين وحقائق وتخرصات، ستكون شاهداً على عصرهم، وسيبني عليها المؤرخون والدارسون من الأجيال التالية. إذن كيف السبيل إلى غربلة حقائق الحياة والأشياء؟ هل نخضعهم لجهاز كشف الكذب؟!

وإذ اعتزل بطرس بطرس غالي الحياة العامة، بعد مغادرته منصب الأمين العام للأمم المتحدة، فإن هيكل ظل يكتب ويصرح ويناقش حتى آخر العمر، وإذا كان للصحافة في مصر أن تفخر بهذا الرعيل الرائع: محمد التابعي. وفكري أباطة، ومحمد حسنين هيكل وعلي أمين، وأنيس منصور وعبد الرحمن الخميسي وغيرهم ومصطفى أمين، فإن من حق الصحافة العراقية ان تفخر بالرعيل المؤسس: روفائيل بطي، والجواهري الكبير وفيصل حسون، وقاسم حمودي ويحيى قاسم ومعاذ عبد الرحيم وعبد العزيز بركات صاحب جريدة (المنار) المدوية، وعبد الرزاق البارح، وسجاد الغازي.. وطه الفياض، ونعمان العاني، وشاكر علي التكريتي، وسلمان الصفواني صاحب جريدة (اليقظة) الرائعة.

الزمان ص ١٦ - السبت ٢٠١٦ / ٢ / ٥

بسبب نكوص القراءة ..

باحثون مرموقون تطويهم وديان النسيان

يوم توفي الباحث الكاتب حلاج بغداد الدكتور كامل مصطفى الشيبلي (١٩٢٧- الاثنين / ٤ / من أيلول/ ٢٠٠٦) سألت صديقي الأديب والقاص، الذي أصدر أكثر من رواية وكتاب، وكنا نعمل في قسم التصحيح اللغوي بجريدة (الزمان) وهو من دعاة الحداثة وما بعدها، نحن الفارقين في الجهل والأمية والتخلف، سألت صديقي الحداثي: ماذا قرأت للباحث الشيبلي؟ فأجابني صادقاً: وهل أنا سمعت باسمه كي أقرأ له؟! فهالني جوابه الصاعق الصادق، وشعرت بعمق الفجوة التي نعيشها، فإذا كان هذا حالنا نحن حملة القلم والقارئ الكاتبين، فكيف الحال مع بقية الناس؟.

ويوم أقام بيت المدى للثقافة والفنون، جلسة احتفالية بالأديب المحقق يوسف يعقوب مسكوني يوم الجمعة ٢٨ / من تشرين الأول / ٢٠١١ سألت صديقي الذي يجالسني وهو قارئ جيد وإذاعي: هل سمعت بالأستاذ مسكوني؟ فأجاب نافياً، وأنه لم يسمع به، كما أن هناك من لا يفرق بين الدكتور علي جواد الطاهر (١٩١٩- ١٩٩٦/١٠/٦) الأستاذ الجامعي خريج السوربون، الأديب، الباحث، المقالي، الناقد، وبين المؤرخ الكبير الدكتور جواد علي، الذي يكفيه فخراً وخلوداً أنه صاحب الكتاب الفخم (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام). وإذا ذكرت أستاذي

النحوي الجليل، الشاعر الرقيق إبراهيم الوائلي، يسألني من أحدثه عن الشيخ الدكتور خطيب المنبر الحسيني أحمد الوائلي. ولن أتحدث عن من يقع في الوهم واللبس، فلا يفرق بين الشاعر الباحث الأكاديمي الدكتور محمد حسين آل ياسين (١٩٤٨-)، وأبيه الباحث المحقق الشيخ الجليل محمد حسن آل ياسين (١٩٣١-٢٠٠٦)، مُصنِّرُ مجلة (البلاغ) الكاظمية التي كان لي شرف الكتابة فيها سنة ١٩٧٦ قبل ان تتدها وأخواتها مثل (الرابطة) النجفية الرائعة، الأدلجة والرأي الواحد المتعسف.

هذه التدايعيات طرأت على ذهني وأنا أقرأ الجزء الثاني من الكتاب الرائع، الذي خطته يراعة الأديب الأنيق الأستاذ وديع فلسطين، الأديب المصري الكبير والموسوم بـ (وديع فلسطين يتحدث عن أعلام عصره) الصادرة طبعته الأولى عن دار القلم بدمشق سنة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣، ويقع في ثلاث مئة واثنين وخمسين صفحة، وأحتوى على ثلاث وأربعين ترجمة لشخوص في دنيا الثقافة والكتابة في حين أشتمل الجزء الأول على خمس وأربعين ترجمة منهم: عبد الله كنون، وعثمان أمين، وعجاج نويهض، وعلي أحمد باكثير، وعلي أدهم، وشدوى طوقان، وفيليب حتي، وقدرى حافظ طوقان، وكامل السوافيري، ومحمد مندور، ومي زيادة، وميخائيل نعيمة، ونجيب العقيقي، ونجيب محفوظ، ونظير زيتون، ووداد سكاكيني، ويعقوب العودات، الأديب الأردني المعروف بـ (البدوي المثلث) وغيرهم، هذه التدايعيات طرأت على ذهني وأنا أقرأ المبحث الذي كتبه الباحث وديع فلسطين عن الأديب الباحث

المصري الكبير علي أدهم (١٨٩٧/٦/١٩ - ١٩٨١/١/٨) إذ بث التلفزيون المصري وقائع ندوة مع أستاذ جامعي مصري، يحمل لقب (المستشار الثقافى) تسألته مقدمة الندوة عن رأيه بالأديب علي أدهم، فيتلعثم المستشار الثقافى ثم يداري لعثمته، ليقول يبدو: أن هناك خطأ حصل فى السؤال ففعل المذيعة، مقدمة الندوة تقصد الممثل عادل أدهم؟! فأجابته المقدمة بحزم لا بل أنا أقصد الكاتب علي أدهم. فما كان من الأستاذ الجامعي الجاهل إلا ان يداري جهله بجواب أشد جهلاً وجاهالة، فقال يبدو انه أديب مبتدئ، لأنى لم أقرأ شيئاً من ما كتب!.

لم يسمع بعلي أدهم، لا لأنه لم يقرأ ما كتبه، بل لأنه أساساً لا يقرأ، ولأن بينه وبين القراءة طلاقاً بائناً بينونة كبرى، لا صغرى! لم يسمع هذا الأستاذ الجامعي بعلي أدهم ليقراً له، وهو الذي ظل يكتب على مدى أكثر من نصف قرن، وحصيلته أكثر من ثلاثين كتاباً، ويسعدني أنى قرأت ثلاثة منها وهي (ألوان من أدب الغرب)، و(متزيني) و(على هامش الأدب والنقد).

يوم توفى الأديب الكبير علي أدهم، امتلأت - كما يكتب الأستاذ وديع فلسطين - صفحات التعازي بالجرائد المصرية بالتعزيات، لا من الهيئات الأدبية والفكرية، بل من شركات السياحة والفنادق الكبرى التي كانت تشاطر كريمته (آمال) الأحران فى فقدها لأبيها، لا لأنها ابنة الأديب الكبير، بل كونها زوجة الخبير السياحي الكبير!.

مجلة (الهدى) الأسبوعية - الجمعة ١/٤/٢٠١٦ العدد ٩٣

معنى ان تعيش كتاباتك لمدة ساعتين؟! البضاعة المزجاة في متن صحيفة.

في مقالته الجميلة الموسومة بـ (سايكولوجية الكتابة لمطبوع يعيش ساعتين)^(١) يطرح المنشئ الأنيق والمترجم الأنيق (نجيب المانع) (١٩٢٦-١٩٩١) قضية جديرة بالمناقشة، عن جدوى الكتابة التي لا تدوم أكثر من ساعتين، وتذهب إلى الظلام، والمقصود هنا الكتابة في الجريدة اليومية، التي تحيا ساعات الصباح فقط، فإذا انتصف النهار، وجدت عزوف القراء عنها، فلقد تخطاها الزمن وأصبحت عبئاً على ربة المنزل، التي تكره القراءة والمجلة كرهها لضرة، حتى ان تراكم الجرائد كما يقول الأستاذ نجيب المانع يفتح باباً لأكثر من نزاع عائلي، فالزوجة أو الأم تريد بيتاً محتمياً بنفسه عن خضم العالم الخارجي، بينما يريد الزوج أو الابن بيتاً يتلاطم ويتلاحم مع العالم .

إذن، ما السبيل إلى الوصول للقارئ، الذي هو الهدف الأساس من الكتابة وما كل القراء تواقون لقراءة الكتاب؟ تأتي المجلة الأسبوعية نقطة وسطى بين الجريدة والكتاب الذي هو الأبقى والأدوم في الذاكرة، لباأس بالمجلة الشهرية، ولذلك يميل الكاتب في المجلة الشهرية - كما يقول المانع- إلى عبور الزمان الأوسع ظاناً أنه على مبعده مأمونة من صندوق القمامة، الذي هو المصير الحتمي للجريدة اليومية، وكان أكثر ما كان يؤلني منظر الجرائد التي تصلنا يومياً، في المؤسسة الإعلامية التي عملت فيها،

والتي كنت انا المتصفح الوحيد، أو القارئ لها، بعد ان غادرنا الدكتور حيدر جواد إلى مؤسسة إعلامية أخرى، يؤلني منظرها وقد حملها المنظف نحو كيس القمامة، ولطالما حثت زملائي على تصفحها بله قراءتها، ولاسيما الشباب الذين لا يقرأون أبداً، وإذا قرأوا، فإنهم يقرأون الأبراج والكلمات المتقاطعة!!

إذن ما السبيل للوصول إلى القارئ، سوى هذه الوسائل: الجريدة، المجلة الأسبوعية، أو المجلة الشهرية، إنك راغب في الوصول اليومي للقارئ، تعرض بضاعتك عليه، لكن يقف هنا أمامك ذوق القارئ، فما كل القراء براغبين في قراءة الأدب والشعر والثقافة، تعرض بضاعتك على قارعة الطريق، أو كشك لبيع الجرائد، بضاعتك المزجاة في بطن الصحيفة، ولكن كثيراً ما يعود الكاتب الذي يأخذ نفسه مأخذاً جدياً - كما يقول الأستاذ نجيب المانع- في الجريدة اليومية حاملاً طبق بضاعته دون ان يثلم أدنى ثلم، فالتناس المسرعون لا يرون ما في الطبق من منمنات، وهكذا يرجع الكاتب إلى نفسه أشد إفلاساً في العلاقات القرائية مما كان قبل ان يكتب، مثلما تعود العجوز من السوق حاملة طبق المعجنات التي صنعتها دون ان تمتد يد مشترية.

وإذا كنا نحن في العراق، نأخذ معنا الصحيفة اليومية التي قرأناها، نأخذها معنا لبيوتنا عسى ان ينظر فيها أحد، أو تستفيد منها ربة المنزل، فاني وجدت في سورية يوم انتقلت للعيش فيها، ظاهرة مؤسسة، تدل على استخفاف بالجريدة، فكنت تجدها على طاولة بمقهى، أو حديقة عامة أو كرسي سيارة عامة، حتى إذا

مررت بصاحب مكتبة في مدينة حمص، لغرض عرض كتابي عنده، أفجعني قوله: ما في حيدا بيقراً؟!

كنت ألاحظ من يأتي المقهى أو الحديقة العامة، حاملاً صحيفة، حتى إذا فرغ منها وغادر المقهى تركها ثاوية على الطاولة، وإذا كان العراقيون يعولون على المجلة الشهرية بوصفها الأبقى والأكثر ديمومة، فإن المصريين يرغبون في نشر كتاباتهم في الجريدة اليومية، واضعين في الحسبان ان خيرة كتاب مصر كانوا ينشرون في الجرائد، ولا أدل على ذلك من ان طه حسين نشر فصول كتابه (حديث الأربعاء) في جريدتي (السياسة) و(الجهاد) اليومييتين، فكان قد خصص له يوم محدد، احتراماً له واحتراماً للقارئ، كي يستطيع متابعة كاتبه المفضل، فكان يوم الأربعاء، فضلاً عن مقالات عباس محمود العقاد وسلامة موسى، ويجب ان لانسى ان نجيب محفوظ، قد نشر روايته الإشكالية (أولاد حارتنا) نشرها بدءاً مسلسلة في جريدة (الأهرام) اليومية، قبل ان تشور ثائرة الأزهر عليها، يوم أراد نشرها بكتاب بعد سنوات من نشرها مُنجمَةً في الأهرام، فأضطر إلى التوجه إلى دار الآداب اللبنانية، فضلاً عن كتابات توفيق الحكيم ومحمود أمين العالم ورجاء النقاش وغيرهم، ولقد تأكدت من هذا التوجه والنزوع لدى قراءتي مقالة كتبها ابو بادية الشاعر حميد سعيد منذ سنوات، واصفاً زيارة له لمصر العربية في عقد السبعين من القرن العشرين، واحتفاء الأدباء والكتاب المصريين به، والطلب إليه ان يزودهم بإحدى قصائده واختيار المنبر الإعلامي الذي يرغب

بنشر قصيدته فيه، وتواؤماً مع توجهات العراقيين في أهمية النشر بالمجلة الأسبوعية، فإنه رغب ان تنشر في إحدى المجلات، وأظنها المجلة التي كان يرأس تحريرها الكاتب أحمد عباس صالح (الطلیعة)، فكان رأيهم ان النشر في الجرائد، ولاسيما (الأهرام) يحقق للشاعر حميد سعيد حضوراً أكثر، بسبب سعة انتشارها، وكثرة عدد المطبوع منها، فاستجاب لرغبة أصدقائه وزملائه من كتاب مصر المحترفين به، ولعل المنشئ الأنيق نجيب المانع، يتواءم - كذلك - مع آراء المصريين بضرورة النشر في الصحيفة اليومية، التي على الرغم من السويغات القليلة التي تمكث في باصرة القارئ، قبل ان تأخذ طريقها نحو العدم، فإنه يرى ان كتاباً ومؤرخين وعلماء وجدوا في الجريدة اليومية معبراً إلى جمهرة من القراء، ما كانوا ليجدوهم إذا خاطبوهم بين طيات كتاب، فاسمهم الفخم على الصحيفة يوجد لهم مزيداً من القراء الذين يبحثون فيما بعد عن كتاب تصنعه مساهماتهم الصحفية، فالمقالة وعد بكتاب، والكتاب تنفيذ لهذا الوعد.

مجلة (صوت الآخر) - أربيل

الأربعاء ٢٠١٦/٤/٦ العدد ٥٧١

تراجع ص ١٣٦ من كتاب (جسارة التعبير) الصادر عن دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد في ضمن سلسلة (وفاء) بطبعته الأولى سنة ٢٠١١، وأحتوى على مقالات كتبها نجيب المانع، وقدم لها وحررها الشاعر والمترجم العراقي المغترب في لندن الدكتور صلاح نيازي.

قد كان ما كان مما لست أذكره.. في رثاء الشاعر سبتي الهيتي

بانطواء آخر أيام شهر شباط / ٢٠١٦ انطوت حياة الشاعر سبتي (جمعة ذياب سبتي) الهيتي اترها مصادفة ان يرحل سبتي الهيتي يوم الاثنين ٢٩ / من شباط، هذا اليوم الذي يطل علينا كل اربع سنوات، هي السنة الكبيسة! وبانطواء حياة سبتي الهيتي تتطوي صفحة من صفحات الشعر العمودي الخليلي بعد انقصاص حياة جهابذته الكبار: الجواهري الكبير، ومصطفى جمال الدين، وعبد الرزاق عبد الواحد. ظل سبتي الهيتي، على الرغم من قلة ارثه الشعري قياسا بعمره الإبداعي، ناهيك عن عمره الحياتي، ظل في محراب القريض الخليلي، لا يكاد يغادره إلا لماما ليعود إلى أفياء العمود، ولعل العصف السياسي الذي ضرب العراق منذ عقود، ويبدو انه لن يغادرنا، إلا ويأتي على البقية الباقية من وطن كان العصف سببا في قلة هذا المنجز، فضلا عن أن للرجل اهتمامات أخرى في الرسم. ولعلها مفارقة ان ينشر الشاعر سبتي الهيتي ديوانا سماه ديوان المراثي انها قصائد من ذاكرة الخلود مما يؤكد رقة طبع وطيبة نفس، واذا جاء في النقدية العربية القديمة قولهم: ان اعذب الشعر أكذبه، فان شعر الرثاء الذي هو لون من ألوان المديح وبيان المناقب، اصدق ألوان الشعر لأنه يكاد يكون خاليا من الغرض الشخصي ولاسيما في رثاء الشخصيات العامة، ففي حين

تكون عين الشاعر المداح على أعطية الممدوح، تخلو قصيدة الرثاء - إلى حد كبير - من هذا الغرض الأناني النفعي، وهذا ما دعاني لان اعجب بهذه المراثي التي اطلقتها قريحة سبتي الهيتي الشعرية، واذا كان الشعر العربي زاخرا بالمرثيات، منذ مرثيات تماضر بنت الشريد السلمية في أخيها صخر الذي تأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار، مروراً بمرثية المتنبي العظيم لخولة أخت سيف الدولة الحمداني وقد طوى الجزيرة حتى جاءه نعيها، فلجأ بآماله إلى الكذب، انه لا يستطيع تصديق خبر موتها، فكان يحاول التخفيف عن نفسه، ان ما ورد إليه لا يعدو محض كذب ولا ننسى رثاء ابن الرومي لواسطة عقد أبنائه، اذ توخاه الردى، فيالله كيف توخى الحمام واسطة العقد؟! غير ناس القصائد الخرائد الخوالد، التي رثى بها الجواهري الكبير: جعفر أبو التمن والنطاسي البار عميد الكلية الطبية الملكية العراقية هاشم الوتري، والرئيس جمال عبد الناصر فضلاً عن رائعته أبا سعد والمقصود بابي سعد أستاذي الدكتور صلاح خالص - رحمه الله - وهل يجوز لي ان لا اذكر مرثاته للرصافي سنة ١٩٥٩؟

لفز الحياة وحيرة الألباب

ان يستحيل الفكر محض تراب

فان الشاعر سبتي الهيتي في مجموعته الشعرية (ذاكرة الخلود) التي أعطاها عنواناً فرعياً هو ديوان المراثي يرثي الجواهري الكبير فدنينا على حد تعبير الشاعرة الشفيقة الرقيقة عاتكة

وهبي الخزرجي، طريد وطارد، راث ومرثي، يرثي الجواهري
الكبير في قصيدة عنوانها (وبضدها تتبين الأشياء) وقديما قالت
العرب:

والضد يظهر حسنه الضد، جاء فيها:

يا حادي الشعر المهيب عزأوه

انا في رحابك غصة وعزاء

سبع وتسعون اخترمن وصوتها

بك مسمَعٌ وجبينها وضّاء

يا حادي الشعراء، انت مصابنا

وهي المصاب فأين منك رثاء؟

فضلا على قصائد في رثاء: الشاعر رشدي العامل، والدكتور
نعمة رحيم العزاوي، رجل اللغة والتراث، والأستاذ حميد الهيتي،
الذي كان عميد كليتنا الآداب أيام الطلب (١٩٧٠- ١٩٧٥)
ورجل الدين الخطيب المفوّه الشيخ صبحي الهيتي. فضلا عن الأديب
الكاتب، الذي غبنته الدنيا كثيرا، وما اكثر من غبنتهم حياتنا
الدنيا هذه واعني المنشئ الرقيق: يوسف نمر ذياب ويوم أقامت
جريدة الزمان ندوة احتفائية بمعاونة جمعية هيت للتراث والثقافة،
احتفاء بابن هيت الأديب الفيلسوف مدني صالح يوم الخميس ٢٩/
من تشرين الأول ٢٠٠٩ وتوزعت على محورين، الأول فلسفي شارك
فيه عدد من الدارسين منهم: الدكتور طه جزاع والدكتورة نائلة
احمد الجبوري، والمحور الثاني أدبي أداره الدكتور شجاع مسلم

العاني، وتحدث فيه رزاق إبراهيم حسن والدكتور قيس كاظم
الجنابي، وشكيب كاظم ببحث عنوانه: مدني صالح، الفيلسوف
ناقدا. الناقد فيلسوفا فضلا عن الناقد إسماعيل إبراهيم عبد،
لمسنا طيبة أهل هيت وكرمهم، ولاسيما الشاعر الفنان سبتي
الهييتي، الذي كان وأعضاء جمعية هيت للتراث والثقافة في
استقبال الوافدين على مدينتهم واولم شقيقه عبد الرحمن جمعة
الهييتي، في دارته العامرة وليمة باذخة، واصروا على مبيتنا فاعتذرنا
بعملنا في الجريدة الذي يجب ان نياشره صباحا، المدينة التي تفخر
أنها أنجبت الروائي إبراهيم احمد، وسبتي الهييتي ومدني صالح
ويوسف نمر ذياب وصفاء الحافظ وصبحي الهييتي و... و...

ملحق (الف ياء) جريدة (الزمان)

الخميس ٢٠١٦/٥/١٢

هاني فحص يسرد علينا صوراً من الحياة في سويسرة

تظل القراءة والمطالعة معيناً لا ينضب في الاطلاع والفائدة المعنوية، والتعرف على أخلاقيات الناس وطرق عيشهم ولا سيما في البلدان التي ضربت بسهم وافر في مراقبي التقدم، لذا حين تراجعت هوية القراءة والاطلاع، بسبب الظروف القاسية التي ضربت العراق عقوداً طويلة، فتراجعت صور الحياة الجميلة وانهدمت منظومة القيم، ويوم كان العراق يرسل طلابه في بعثات إلى الخارج نقل هؤلاء الطلبة العائدون من دول أوربة والغرب، تعليمهم وحياتهم الاجتماعية التي استقوها، نقلوا ما تعلموه وتأثروا به إلى العراق، ليظل هذا البلد يسعى حثيثاً نحو التقدم والرقي والحضارة.

وإذ أقرأ في الكتب أقع على صور حياتية جميلة في السلوك والتصرف أحاول نقلها إلى القراء، لغرض الإفادة منها، وعساها تكون نأمة أو همسة في وادي النسيان فما عاد الصراخ يجدي فتياً في مجتمع يذهب إلى حنقه فلقد قرأت في كتاب (ما ض لا يمضي . ذكريات بين التبغ والزيتون والزعفران) الصادرة طبعته الأولى عام ٢٠١٠ عن دار المدى ويقع في خمس مئة وإحدى وستين صفحة، صوراً جميلة عن عادات الشعوب المتقدمة، والدقة في التوقيت، وإحترام حرية الناس، شرط، وما هذه الكلمة (شرط) فهناك ليست للشروط في حياتهم مكان، ولأستعيض عنها بعبارة (على أن لا)، إحترام حرية الناس على أن لا تؤثر على حرية الآخرين.

ينقل لنا الأديب، ورجل الدين، ورجل السياسة الراحل هاني فحص (١٩٤٦ - ٢٠١٤) في كتابه الذي أشرت إليه آنفاً، صورة من الحياة في سويسرة أو الاتحاد السويسري، الاسم الرسمي للدولة، وهو ما سبق ان نقلت عنه صوراً رائعة عن الحياة في هذا المنتجع الرائع لدى حديثي النقدي عن رواية (الزانية) للروائي البرازيلي المتصوف باوللو كويلو.

يذهب هاني فحص ومجموعة من المهتمين بالشأن العام إلى سويسرة، تلبية لدعوة تلقاها من مجلس كنائس الشرق الأوسط للمشاركة في ندوة للحوار المسيحي / الإسلامي، عقد المؤتمر في ضاحية (فو) إذ عنَّ على باله أو طراً ان يخرج هاني فحص مع صحبه إلى المدينة، وفي محطة (الأتوبيس) قرأ مواعيد الوصول المحددة بالدقائق والثواني، ولم يصدق ما قرأ إلا حين فاتته الحافلة، بسبب تأخره لثوان، وإذ يجلس وبعض زملائه في مقهى هادئ، زينت له نفسه التدخين، وهو المدخن المكثار، لكنه كان خائفاً وحذراً، وإذ شاهد من يدخن أشعل سيكارتته، وإذ حاول تكرار ذلك في الحافلة بين مونترو وجنيف، أتاه التحذير من سائقها، فأطفأ سيكارتته خجلاً، وإذ حاول التدخين في بناية مركز مجلس الكنائس العالمي، بادره صديقه طارق متري الذي يعرف تضاريس المكان أكثر منه، بادره بإرشاده إلى الحيز المسموح فيه بالتدخين.

لكن البلد السويسري الحضاري، يحترم حرية الناس يحترم حرية المدخن في ان يدخن، فضلاً عن إحترامه لحرية غير المدخنين، وبعد ان رُفعت القضية إلى القضاء، فهناك كل شيء يفصل

القضاء فيه، لا قوة العضلات والعرف العشائري.

فحكم القضاء بمنع التدخين في بناية المركز، والزم المركز بتخصيص مكان بعينه للمدخين.

وإذ يحدد لهم موعد في أحد مطاعم جنيف للغداء، فيخبره صديقه الأثير إلى نفسه (موعد الغداء في المطعم في جنيف الساعة الواحدة وخمس دقائق وإلا ...) وفهم الراحل هاني فحص من هذه ال (وإلا) أن لا طعام لهم إن تأخروا عن هذا الموعد الدقيق المحدد.

يسرد هاني فحص هذه الدقة وهذه الأمور الحضارية، لينقل لنا صورة من تخلف الحياة العربية، إذ يوم ذهبوا للسودان، مشاركة في مؤتمر، عجل في الذهاب إلى مطار الخرطوم، هو المعتاد على التبكير وإحترام الوقت، والوصول قبل الموعد بساعتين، تلافياً لأمر قد تطرأ.

يقول فحص وعندما وصلنا لاحظنا إبتسامات على وجوه موظفي المطار لم نعرف مغزاها، إلا عندما تأخر إقلاع الطائرة ثلاث ساعات عن مواعده، وقيل لنا: إنه أقل تأخير يحدث في مطار سوداني تلك السنة!

حاولت من خلال ذلك ومن خلال بعض تجاربي السريعة في الخرطوم ان أفهم لماذا تستمر الحرب في السودان هذه العقود الطويلة، ولماذا ينتقل السودان من مجاعة إلى مجاعة على الرغم من ثرواته العظمية، لأن الناس هناك كسالى ولا تحترم الزمن، لا بل عانوا انشطاراً وراء انشطار، فإذا كانوا مع مصر دولة واحدة، كانت تسمى (مملكة مصر والسودان) تحت حكم الملك فؤاد

الأول ونجله الملك فاروق، لكن عبد الناصر بجرة قلم: استغنى عن السودان وفك ارتباطها بمصر وظل يطلب الوحدة مع دول أخرى، ولم يلتفت إلى البلد المجاور السودان، ولم يعد هذا الجزء المتشظي إلى مكانه الطبيعي، لا بل انقسم السودان إلى جنوبي وشمالي في الأول من حزيران / ٢٠١٢، والجنوب يهدف إلى انقسام بين الزعيمين المتنازعين على السلطة.

ولقد عانيت تأخر الطائرة يوم شاركت في مريد البصرة سنة ٢٠٠٦، ونقلنا بالسيارات من مقر اتحاد الأدباء العراقيين بمنطقة العلوية، وبعد ان مررنا بمراكز عديدة للتفتيش، وشمت عشرات الكلاب حقائبنا وملابسنا وانتزعوا مني مقص الحلاقة لتشذيب الشارب، بوصفه سلاحاً فتاكاً! وبعد لأي وانتظار ممل زاد على الساعتين وربما أكثر وصلنا مطار البصرة في طيران يقل عن الساعة الواحدة!

وعاشت أدبياتنا التي تحث على احترام الزمن والوقت (الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك) ولقد قطعنا الوقت بسيفه فانتظرنا طويلاً، وما قطعناه؟

ونمنا نحن العرب وأدلجت الناس وسارت في دروب التقدم.

ملحق جريدة (الصباح) الثقا في

الإثنين ٢٠١٦/٧/١٨ - العدد ٣٧٣٣

بين طه حسين وعلي جواد الطاهر

يعد الدكتور طه حسين (١٨٨٩ - ١٩٧٣) من الشخصيات الثقافية والفكرية التي اهتمت كثيرا بأساتذتها، عرفانا بالفضل وقيامًا بأداء الواجب، واجب التذكير والتتويه والإشادة بهذه الجهود التي بذلها هؤلاء الأساتذة الأفاضل، في تقديم ما تحتزنه عقولهم وافئدتهم من علوم ومعارف وجعلها في متناول طلبة العلم.

لم يقف الدكتور طه حسين عند أساتذته من شيوخ الجامعة المصرية الأهلية في العقدين الأول والثاني من القرن العشرين، بل وقف - كذلك - عند أساتذته من المستشرقين والأجانب، ممن قاموا بالتدريس في الجامعة المصرية القديمة التي أسست عام ١٩٠٨ وهو إذ يذكر أسماء أساتذته في الجامعة المصرية، فإنه يعزف ويعزب عن ذكر أسماء هؤلاء الاساتيد، يوم ذهب إلى باريس للدراسة في السوربون على نفقة الدولة، إذ ينسبهم إلى المادة التي يدرسونها، قائلًا: أستاذ التاريخ أستاذ الفلسفة وهكذا وحتى وهو يصف لنا اختلاء اللجنة الممتحنة له لغرض تقرير الدرجة التي يستحقها، فإنه يعزب عن ذكر أسمائهم قائلًا (لولا فضل من شجاعة واستحياء من الرفاق ومن زوجته التي كانت تشهد الامتحان، ومن سائر النظارة لاصطكت أسنانه ذعرا وهلعا، ولكنه ثبت للخطب على كل حال، وان رأى الأساتذة والنظارة ان فرائضه كانت ترتعد، وانه كان شديد الاضطراب، وثابت نفسه

إليه حين سكت عنه أستاذ التاريخ، واخذ أستاذ الفلسفة في مناقشته وجرت ربح الامتحان له رخاء حتى رفعت الجلسة، وخلت اللجنة للمداولة وعادت بعد لحظات، فاعلن رئيسها، وهو أستاذ التاريخ ان الكلية ترشحه لدرجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الممتازة ومع تهنئة اللجنة).

تراجع ص ٤٠ من كتاب (مذكرات طه حسين) الذي نشرته دار الآداب، بيروت، الطبعة الأولى، شباط / فبراير / ١٩٦٧.

ومن يقرأ كتابه الرائع (الأيام) أو مذكراته، يلمس حب طه حسين واحترامه لاساتذته من المشايخ المصريين، والأجانب من المستشرقين وغيرهم.

ولقد ذكر بالخير من يستحق الذكر بالخير، كما أبان الكثير من ضعف الشخصية وقلة المعلومات لدى عدد آخر من الأساتذة، الأمر الذي اغرى بهم طلبتهم من المشاكسين، فعبثوا ما شاءت لهم المعابثة، وأوقعوهم في مواقف فيها الكثير من الحرج وانشداد الأعصاب للتخلص مما أوقعوهم فيه من أحراج.

وإني إذ أتناول بحديثي هذا، علاقة طه حسين بأساتذته وحديثه المستفيض عنهم في المرجعين اللذين أشرت إليهما آنفا، أو في الكثير من لقاءاته الصحفية أو الإذاعية أو التلفزيونية، فأني لأجد من الضروري، أن أشير إلى جهد مماثل قام به أستاذاي الدكتور علي جواد الطاهر (١٩١٩ - ١٩٩٦) إذ عقد فصولا ضافية وممتعة عن عدد من أساتذته ممن نهل على أيادهم الكريمة العلم في معاهد الدراسة والتعلم، أو من الذين اثروا تفكيره ومحصوله من

خلال قراءته لجهدهم الفكري والثقافي المنشور في الصحف أو
المجلات أو الكتب، ونشر هذه الفصول في صفحة (آفاق) من
جريدة (الجمهورية) في سنوات الثمانين من القرن العشرين، تحدث
في هذه الفصول عن عدد من هؤلاء الأساتيد: الدكتور مصطفى
جواد، والدكتور مهدي البصير، والأستاذ طه الراوي، والأستاذ
محمد احمد المهنا، وعد من الصنف الثاني - أي من الذين قرأ لهم
- الدكتور طه حسين ذاته، والدكتور محمد غنيمي هلال،
والدكتور محمد صقر خفاجة والأستاذ طه احمد إبراهيم
وغيرهم، حتى اذا تهيأ من هذا المنشور ما يسمح بجمعه ونشره في
كتاب يحفظه من عاديات الزمن والذاكرات المثقوبة لبعض من
تتبخر المعلومة من أدمغتهم حال تركهم للمقروء اهتبل ذلك،
ونشره في كتاب مهم وجدير بالقراءة وعنوانه (أستاذتي. ومقالات
أخرى) صدر عام ١٩٨٧ عن دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد.

ومن المعروف للدارسين والقراء الجادين، ان أستاذنا الطاهر،
كان شديد الإعجاب بطه حسين، الذي يعده أستاذاً له وهو
القائل: (وأول ما يتبادر إلى ذهنك إنك تلميذ لطفه حسين، وعليك
واجب الوفاء، لم تكن تلميذاً له في صف أو مدرسة أو أي مكان
محدد بسياج، ولكنك كنت تلميذاً لأستاذ علمك معنى أن يكون
الأديب مبدعا (...). وقد تفوق تلمذة من هذا النوع تلمذة من ذاك
النوع). - تراجع ص٧٤ من المرجع المشار إليه آنفاً.

ولعل من أوائل من سمع طه حسين، وتتلذذ على أياديهم أستاذه
الشيخ الأكبر الشيخ سليم البشري، الذي تولى مشيخة الجامع

الأزهر زمننا، فذهب طه حسين بصحبة أستاذه الألماني (ليتمان) واغتنم طه حسين هذه الفرصة ليدخل في لجاج ومخاصمة معه، الأمر الذي جعل الشيخ سليم البشري يقول له متضاحكا، نهاية المحاضرة، ما شاء الله، ما شاء الله، فتح الله عليك وأشقاك بتلاميذك كما يشقى بك أساتذتك!

يصف لنا طه حسين أساتذته، فكان منهم المطربشون والمعممون او الذين سبقت العمامة إلى رؤوسهم، ثم انحسرت عنها، وحل محلها الطربوش وكان منهم الصارم الحازم الذي لم يكن ثغره يعرف الإبتسام إلا قليلا والمزح الباسم الذي لم يكن وجهه يعرف العبوس إلا نادرا، وكان منهم ذو العلم الوافر الذي يبهر ويسحر ويذكي القلوب والعقول، وذو العلم الضحل والثقافة الرقيقة الذي يخلب باللفظ، ثم لا يكون وراء لفظه الخلاب شيء ذو بال (...). وكان منهم من يخلب بلفظه العذب ودعابته الساحرة وعلمه الغزير. كان منهم إسماعيل رأفت، رحمه الله، ذلك الذي لم يكن يعرف من طلابه إلا أنهم يحملون رؤوسا يجب ان يصب العلم فيها صبا (تراجع من ٦٤ من كتاب (مذكرات طه حسين).

وكان من أساتذته حفني ناصف، وكان كله ابتساما وكله تواضعا وكله فكاهة، على غزارة في العلم وأصالة في الفقه وكان الطلاب يكلفون به اشد الكلف، وكان حفني ناصف علم من أعلام الثقافة المصرية بداية القرن العشرين، وخلف اكثر من علم، ابنه المفكر عصام الدين حفني ناصف، (١٩٠٠ - ١٩٦٩)

الذي اصدر العديد من الكتب، موضوعة و مترجمة لعل من أجرئها وأروعها كتابه (اليهودية: بين الأسطورة والحقيقة نشوء وتطور العقيدة الموسوية) نشرته دار المروج في بيروت عام ١٩٨٥، وقرأته في شهر آب/ ١٩٨٦ ولعل من المؤسف ان تذكر دار النشر الجادة والرصينة هذه، ان غالب كتبه نفذت من المكتبات ولا توجد نسخ منها إطلاقا ولهذا لم تتمكن الدار من إعطاء بيانات عن الناشر أو المطبعة أو سنة الطبع! ترى هل في مصر من يبحث عن كتب هذا العلم الذي طواه الدهر، ويعيد طبع بعض كتبه، أم على عقول أبقاها؟! وكانت للأستاذ حفني، ابنة اسمها (ملك). من قادة النهضة النسائية العربية إلى جانب عائشة التيمورية (١٨٤٠ - ١٩٠٣) التي لقبت ب (باحثة البادية) شقيقة العلامة احمد تيمور باشا (١٨٧١ - ١٩٣٠) وعمة الروائي والقاص المصري المعروف محمود تيمور (١٨٩٤ - ١٩٧٣) فضلا على الأدبية ماري الياس زخور زيادة المعروفة اختصارا باسم (مي زيادة) وكان من أساتذته فضلا عن الذي ذكرت الشيوخ: سيد علي المرصفي، ومحمد الخضري، ومحمد سلطان، وأستاذ النحو ومن الداعين الكبار لتيسيره إبراهيم مصطفى، والمستشرق الإيطالي كارلو الفونسو نلينو (١٨٧٢ - ١٩٣٨).

ملحق (عراقيون من زمن التوهج)

جريدة (المدى) الخميس ٢٠١٦/٤/٨

نخبوية الثقافة

قلت مرات عديدة، إن الكتابة والقراءة والبحث، طقس نخبوي، فما كل الناس تقرأ، عيب عليك قولك هذا، عادين قولك عزلاً للناس، وهناك من يصفهم بـ (الجماهير) أو (أوسع الجماهير)! عزلاً لهم عن الشأن الثقافي العام، وإذ امتزجت الثقافة بالسياسة أو اقتربت منها، أيام مدّ السياسة والأدلجة، وحشر أنفها في كل شأن من شؤون الحياة، أو محاولة السياسة تجيير الثقافة لشأنها الخاص، فيما عرف بـ (الألتزام) الذي هو في رأبي إلزام وقسر، وفرض رأي السياسة على الثقافة، تظل قناعاتي راسخة إن هذا الطقس، وأعني القراءة والكتابة طقس نخبوي، وشغل الخاصة من الناس، ان تقرأ وتبحث فأنت نخبوي، وإذ تنتج ثقافة وكتباً فأنت نخبة النخبة، ولو لم يكن الأمر كذلك، ما وجدت هذا السفح لساعات العمر القصير أمام شاشات التلفاز، وشغف ببرامج بسيطة مثل اختبار الأصوات، ولاسيما أصوات الطفل، وجلوس بعض المطربين متخذين سميت القضاة ليحكموا على أصوات عباد الله، حتى إن صديقاً خابرنى أكثر من مرة حاثاً إياي على متابعة اختبار أصوات الطفل، في إحدى القنوات الفضائية، وأنا لا أكاد أستسيغ أصوات المحكمين، فكيف سأقبل أصوات المبتدئين الشداة؟ مع أن هذه الاختبارات جنائية على مواهب هؤلاء الطفل، فأصواتهم ستتغير، تغيرها رحلة الحياة الدنيا نحو المراهقة والشباب والرجولة أو الأنوثة!

قلنا الثقافة نخبوية، ولو لم تكن كذلك لما قرأت في الجرائد أن أغنية (واكا ... واكا) للنجمة العالمية (شاكير) حازت على أكثر من مليار مشاهدة، إذ احتفلت (شاكير) عبر صفحتها الشخصية بموقع (انستكرام) بتخطي أغنيها هذا العدد لا بل تحطيمه!

في حين أكثر الدراسات أو المقالات التي تنشرها الصحف أو المجلات على شبكات الأنترنت، لا تحقق أكثر من عدة مئات من القراءة أو المشاهدة، وفي أحسن الأحوال عدة الوف، إذ أخطت بعض الصحف والمجلات في مواقعها على الأنترنت، إذ أضافت برنامجاً يمكنك من معرفة عدد الأشخاص القارئين ويشير إلى عدد القراءات يستطيع الكاتب أو الشاعر معرفة حجم الاهتمام، إهتمام المتابع أو القارئ الافتراضي بما يكتب!، ومن خلال متابعتي لهذه المواقع، أشاهد - ويا للأسف - ضالة عدد القارئين، في مجتمع يموج بالرؤوس والعيون، ، حتى تجاوز عددهم المئتي مليون، وما زال عدد القراء عند المئات أو الوف لا يكاد يريم!

وهذا الأمر يدعوني للارتباب في أعداد القراء لبعض المواد الثقافية، ولاسيما المواد المترجمة، التي تتناول حيوات بعض الأدباء والكتاب غير المعروفين على نطاق واسع لدى القراء، فتجد الرقم يقفز نحو الآلاف بعد سويغات قليلة من وضع المادة على الشبكة العنكبوتية!

لو كانت المادة المترجمة تخص مبدعاً مشهوراً ومعروفاً، كأن يكون (كولن ولسن) أو (همنكوي) أو (فولنكر) أو (جويس)

وغيرهم كثير لقبنا العدد، لكن حين يكون المترجم له، أديباً غير معروف على نطاق واسع، فستكون هذه الألوف من القراء الافتراضيين مدعاة للريبة؟ الارتياب في أن هذا التصاعد السريع في عدد القارئين، إنما يقف وراءه شخص المترجم، أو المترجمة، وهذا - لعمري - تدليس على القارئ والحقائق، وقبل ذلك ضحك المترجم أو المترجمة على نفسه أو نفسها فما نحن بسباق رياضي نتعاطى فيه المنشطات!

الصفحة الثقافية لجريدة (الصباح) العراقية

الأحد ٢٠١٦/٨/٢١

لابد من مصر وإن طال السفر ...

زيارة لمسجد سيدنا الحسين وخان الخليلي ومقهى الفيشاوي

في دولنا المضطربة منذ عقود تظل الطموحات والمشاريع مؤجلة وتواجه المعوقات والإحباط، فمنذ نعومة أظفارك كنت تطمح بزيارة مصر، لما رسخ في أذهاننا من صور محببة عن هذا البلد العريق ففي ذهن صور الأهرام وجبل المقطم الذي سيكون عنوانا لجريدة أصدرها يعقوب صروف عام ١٨٨٩، فضلا عن قلعة صلاح الدين وقصر محمد علي باشا الكبير، قائد نهضة مصر الحديثة، كذلك حي خان الخليلي الشهير الذي زادت في شهرته الرواية الرائعة التي خطتها يراعة الروائي النوبلي الكبير نجيب محفوظ الذي وشحها بالاسم ذاته (خان الخليلي) نحن الذين نهلنا وآباؤنا والجيل الذي سبقنا من كتاب مصر، الذين اتفقنا مع بعضهم واختلفنا مع بعضهم الآخر: طه حسين وعباس محمود العقاد وزكي مبارك واحمد حسن الزيات وشوقي ضيف ومحمد عبد المنعم خفاجي وعائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ولويس عوض ومصطفى لطفى المنفلوطي ويحيى حقي وإحسان عبد القدوس وتوفيق الحكيم وإبراهيم عبد القادر المازني وعلي ادهم ومحمود أمين العالم وعبد الرحمن بدوي ونجيب محفوظ وسهيل إدريس ومصطفى محمود ومصطفى صادق الرافعي وخالد محمد خالد ورجاء النقاش والشيخ علي عبد الرازق ومصطفى سويف .و.و.

لذا كنا نهفو لزيارة الرامتان دارة طه حسين أو مقهى الفيشاوي

في خان الخليلي التي كان يفتعدها نجيب محفوظ وجمهرة من كتاب مصر فضلا عن مقهى ريش أو زيارة حديقة الازبكية حيث الكتب والمجلات، مما يقترب من ظاهرة الجمعة في متبي بغداد.

حين منع السفر

لكن إذ يمنع السفر في سنة ١٩٨٢ توأد الطموحات والتشوفات وإذ يلغى المنع، ظلت الضريبة الباهظة التي تقترب من نصف مليون دينار وأنت راتبك الشهري ثلاثة آلاف دينار فكان هذا امتدادا للمنع، إذ كان السفر متاحا للتماسيح فقط، واکلي الأكتاف لا ماسحيتها حتى اذا عادت الأمور الى مجاريها أفقت على نفسك، وقد وهن العظم منك واشتعل الرأس شيبا والذي لا يأتي في وقته كأنه لا يأتي أي الذي لا يأتي في زهو الشباب وميعته كأنه لا يأتي لكنك تعلق النفس وتتاجيها ان يأتي الأمر متأخرا وقد احدوب الظهر خير من ان لا يأتي أبداً وقلنا يكفيننا من القلادة ما أحاط بالعنق لذا أزمعت هذا الصيف رحيلاً مع زوجتي نحو مصر العريزة، بعد ان زرت عام ٢٠١٥ لبنان العزيز وبيروت وشارع الحمرا ومكتباته وكازينوهاتة لكن الحمرا بعد ان غادره القه ما عاد الشارع الذي قرأت عنه كثيرا الذي كان مثابة لأدباء الوطن العربي ومفكره وسياسييه أيام المقاومة الفلسطينية لقد تطامن الشارع مثلما تطامننت دنيا العرب ورضخت لمشاريع الاحتراب والطائفية والتقسيم وإذ قالت العرب:

لا بد من صنعا وان طال السفر

وان تحنى العودُ فيها ودَبَرُ

الخطوط الجوية العراقية والسفر الآمن

فاني قلت وقد طال علي الأمد وتأخر لابد من مصر وان طال السفر لذا أزمعت نحوها رحيلا لأمتطي صهوة الطائر الأخضر ظهر الثلاثاء ٣٠ / آب / ٢٠١٦ طائرة الخطوط الجوية العراقية الآمينة والرصينة التي نزل بها قائدها ارض ميناء القاهرة الجوي بعد نحو ساعتين ونصف الساعة طيرانا نزل بها قائدها على مدرج المطار ما أحسنا برجة احتكاك إطارات الطائرة بارض المدرج مما يدل على مهارة الطيار الكابتن الذي لا اعرفه فله منا نحن ركاب تلك الرحلة خالص التحايا وإذ اكملنا معاملات الوصول كان في استقبالنا مندوب شركات النقل كانت حافلة فارهة مكيفة في انتظارنا لينزلنا في فندق (الواحة) الذي هو حقا واحة غناء بستان انيق حيث الهدوء الشامل وهواء القاهرة العليل ودرجة الحرارة عند الثلاثين بعد ان كنا في العراق تحت لهيب الخمسين.

نظمت لنا زيارة لأهرام الجيزة الهرم الكبير خوفو وهرم ابنه خفرع وهرم حفيده منقرع ثم زيارة لابي الهول الحارس للآثار حيث وجه الإنسان مركب على جسد الأسد وكان لابد في اليوم الثاني من زيارة خان الخليلي ومسجد سيدنا الحسين ومثوى الرأس الطاهر الطهور وأداء الصلاة صلاة الظهر وصلاة العصر والامثال عند الرأس الزكي الزاكي، وقت من الابتهاال والخشوع والتبتل

ومناجاة الشهيد ومحاكاة الذات وإذ أفقت من انذهالي وأنا في حضرة الرأس البهي الباهي وعدت لذاتي كان لا بد من سؤال عن مقهى الفيشاوي والاهتداء إليه والقعود فيه ، وشرب الشاي بالنعناع ومشاهدة الصور المعروضة وفي المقدمة منهم: نجيب محفوظ ورزمة الجرائد على فخذه يطالع إحداها وعدنا إلى فندق (الواحة) حيث بركة السباحة المسبح الأنيق بمائه التنظيف لنعوم فيه مستعبدين أيام صباننا في شاطئ دجلة ، حيث الكرخ ومحللتنا التي ولد فيها الآباء والأجداد؛ الشواكة المطلة على دجلة الخير والعتاء.

منتجع شرم الشيخ مفخرة لمصر العربية

زيارة منتجع شرم الشيخ الأنيق والجميل الذي قرأنا عنه وشاهدناه في التلفاز كانت في ضمن منهاج الرحلة إلى مصر لذا فقد غادرنا فندقنا الواحة عند الثانية من ليل الجمعة ٢ / أيلول/ نحو شواطئ شرم الشيخ التي تبعد نحو خمس مئة كيلومتر وبعد رحلة طويلة مضية اقتربت من العشر ساعات وصلنا مع أذان الظهر إلى هذا المرفق السياحي الباهي الجميل لندشن كما قال لنا الدليل السياحي - فندق الميركاتو المذهل بينائه ونظافته وأناقته لا بل بهرجته انه يشبه القصور الفرنسية في العصر الوسيط بناء ورياسة نظمت لنا زيارات للبحر الأحمر ، والسباحة فيه ورحلة نحو الشعب المرجانية ، فضلا عن زيارة المدينة السياحية (الف ليلة وليلة) وبعد ثلاثة أيام عدنا الى القاهرة والعود احمد عدنا لك (الواحة) ثانية لنغادره في اليوم التالي الثلاثاء ٦ من أيلول نحو ميناء القاهرة

الجوي الدولي، وكان لابد لي من زيارة المكتبتين في المطار، وتفحص المجلات والجرائد والكتب فالمتعة لا تكتمل إلا بالمكتبة انا الذي بحثت عنها طويلا في خان الخليلي فعدت خالي الوفاض فلا كتب ولا كتاب ولا مكتبة حتى وان كانت (كشكا) فالناس ما عادت تقرأ، راكضة وراء متطلبات البطن فالكتاب تجوهر مثل واو عمرو اشترت رواية (أوراق محارب الضوء) للكاتب البرازيلي الشهير باوللو كويلو الذي ترسخت شهرته عندنا نحن القراء العرب من خلال قراءتنا لروايته التصوفية الجميلة (الخيמיائي) فضلا عن كتاب (شجون مصرية) للكاتب المصري المثير للانتباه يوسف زيدان ولأني شغوف بأدب الروائي يحيى حقي (١٩٠٥ - ١٩٩٢) نحن الذين قرانا روايته المكثفة القصيرة (قنديل ام هاشم) في حين ان روائيينا في هذا الزمان المتسارع الراكض نحو اللا اين يطمون برواياتهم من اجل مزيد من الصداق لرؤوسنا! فقد التقطت الحوار المعرفي الجميل الذي أجراه معه الإعلامي المصري عمر بطيشة، ودونه في كتاب يقرأ، فضلا عن حوار اخر مع القاص والروائي الدكتور يوسف إدريس (ت/١٩٩١).

وسألت عن المجلات في المكتبتين، سألت عن مجلة (العربي) الكويتية ولم اعثر عليها فقلت لعل لهم أسبابهم فلنسأل عن اشهر مجلة مصرية واقدمها صدورا واعني مجلة (الهلال) التي انشأها الباحث جرجي زيدان لكن البائع وقد سألني عن اسم المجلة التي طلبتها مردفا بعد ان أعدت على سمعه اسمها انهم لا يبيعون المجلات، ولاسيما اذا كانت غير مصرية، فأوضحت له أنها

مصرية قلبا وقالبا وأسسها جرجي زيدان في بداية القرن العشرين
في عاصمة بلدكم مصر، فضلا عن أنها توسعت لتمسي دارا رائعة
للنشر، تصدر عنها شهريا، مجلة الهلال وكتاب الهلال وروايات
الهلال فابتسم خجلا وأنا أوصل حديثي معه عادت بي الذاكرة
إلى حادثة مماثلة رواها العلامة الدكتور إبراهيم السامرائي
(١٩٢٣ - ٢٠٠١).

الكتبي الذي لم يسمع بمجلة (الهلال)

في ترجمته لحياته والتي وسمها بـ(حديث السنين) يوم ضاقت به السبل سنوات الحصار المدمر فيمم وجهه شطر جامعة صنعاء، حيث رحب به رئيسها الباحث والشاعر الدكتور عبد العزيز المقالح. الدكتور السامرائي يمضي وقته بعد ان يفرغ من القاء محاضراته يمضي وقته في مكتبة الجامعة، صادف أن راجعه شخص ظنه طالباً في الجامعة سائلاً إياه عن مصادر تبحث الشأن الثقافي أواخر القرن التاسع عشر وبداية العشرين لأنه يزعم كتابة بحث يدرس فيه هذه السنوات وإذ فهم السامرائي من لهجة محدثة انه مصري، فقد أشار عليه - فيما أشار من مراجع - العودة إلى مؤلفات جرجي زيدان ولكن الدكتور السامرائي يصعق كما صعقت أنا من عدم معرفة الكتبي في مكتبة مطار القاهرة الدولي بمجلة (الهلال) إذ رآه يكتب في ورقة خاصة بهذا السائل، يراه كتب (جرج زيدان) فطلب منه رؤية ما كتب كي يتأكد، فتأكد ويالهول ما تأكد منه انه كتب (جرج) دلالة إلى ان لم يسمع بهذا الباحث الكبير الذي فاض على الدنيا بكتاباتة، فسأله يبدو انك لم تسمع باسم هذا الباحث بدليل انك كتبت (جرج) ترى هل أنت طالب في هذه الجامعة؟ فسأه هذا السؤال لينتفض هذا الجاهل الأمة مجيباً أنا أستاذ في الجامعة وحاصل على الماجستير من جامعة الأزهر واحضر الآن لنيل الدكتوراه.

فويخه السامرائي قائلًا: الأفضل لك ان تعود للدراسة الابتدائية
لتبدأ تعلمك وكيف منحك الأزهر هذه الدرجة وأنت لا تعرف من
هو جرجي زيدان، وأنت المصري وجرجي من بلدياتك!؟

جريدة (الزمان)

الاثنين ٢٤/١٠/٢٠١٦

يوم كان صدر المجتمع العربي رحباً

تحدثت أكثر من مرة عن رحابة صدر مجتمعاتنا العربية في عقود خلت بُعيد نيل بلداننا العربية لاستقلالها وبدئها وبناء الدولة المدنية في مصر وسوريا والعراق ولبنان وتونس والكويت، قبل ان تتحول هذه الرحابة إلى ضيق صدر وحنق وإقصاء، كنا نقرأ المناقشات والجدال والصيلال الذي يدور على صفحات المجلات والصحف، فما أشتكى أحد منه، وشكاه إلى القضاء بحجة القذف والتجريح! بل كان يرد عليه كتابة، الحرف في مواجهة الحرف، وفي الذاكرة مجادلات و(مباكسات) الدكاترة زكي مبارك مع أدباء زمانه، حتى إنه كتب مرة، لو كنت ممن يأكلون لحم البشر، لشويت لحم الدكتور طه حسين وأكلته، وما فزع طه حسين إلى عشيرته يطلب فصلاً أو إلى المحاكم يطلب تعويضاً معنوياً!

وانا أطلع وأستمع بمطالعة الكتاب الجميل (حياتي) الذي خطته يراعة الأديب المصري توفيق الحكيم (١٨٩٨ - ١٩٨٧) الذي يمثل وكتابه (زهرة العمر) و(عصفور من الشرق) فضلاً عن رائعته (يوميات نائب في الأرياف) شذرات من السيرة الذاتية للأديب الكبير توفيق الحكيم أقرأ في سيرته الذاتية (حياتي) شذرات والتماعات راقية عن رحابة صدر الناس في العقود الأولى من القرن العشرين وحتى منتصفه، إذ يذكر توفيق الحكيم بداية قراءته وإطلاعه على آداب الدنيا وثقافتها وأنه بعد أن ترك قراءة الروايات

والمسرحيات، توجه نحو كتب الفلسفة إذ عدها أكثر نفعاً، وكان يشعر بالزهو، وهو يتحدث عن آراء الفلاسفة، ومنهم الفيلسوف (سبنسر) ويعترف الحكيم بتواضع، انه ما فهم شيئاً يذكر من كتاب هذا الفيلسوف وأمثاله من الكتب، وإن هذا الميل إلى التفلسف، لم يمس منطقة المعتقد أو ما وراء الطبيعة، فما من شيء وقتئذ كان يهز عقائدنا أو يجعلنا نصدق أن هناك تفكيراً يمكن أن يثار للتشكيك في الدين.

لكن توفيق الحكيم، يذكر لنا أنه طرق سمعه، أن ثمة رجلاً كان يجاهر بنكرانه، قائلاً إن القرد أصلٌ قديم للإنسان، متأثراً بآراء جارلس دارون (١٨٠٩-١٨٨٢) في كتابه (أصل الأنواع). وهذا الرجل شبلي شميل (١٨٥٠-١٩١٧/١/١) الذي كان ينشر دراساته في مجلة أسسها (يعقوب صروف) (١٨٥٢-١٩٢٧) وكتب فيها اسمها (المقتطف).

توفيق الحكيم يورد ما نصه: "ولكن المجتمع في ذلك العهد كان عجيباً حقاً في احتماله وتسامحه... وربما ثقة بقوة إيمانه... فقد كان يعلم أن شبلي شميل ملحد، وإنه يجاهر ويباهي بإلحاده، فما كان أحد يزيد على أن يبتسم أو يسخر أو يمطره بالنكات" تراجع ص ١٤٤. من طبعة دار الكتاب اللبناني. في ضمن مكتبة توفيق الحكيم الشعبية. دت.

ويورد لنا توفيق الحكيم حادثة طريفة، حدث أن ذهب شاعر النيل حافظ إبراهيم (١٨٧٢-١٩٣٢) إلى أحد الملاحى للاستماع إلى مطربة مصرية، كان معجباً بصوتها وغنائها يوم لم تكن إذاعة،

ولا أشرطة تسجيل، وربما حتى الأسطوانات فكان الغناء مباشراً،
وصادف أن كان إلى جانبه في الحفلة، أو قريباً منه الباحث الملحد
(شبلي شميل)، وإذ استخفه الطرب، صاح حافظ إبراهيم (الله ...
الله) تعبيراً عن إعجابه بشدو مطربته، وما ترك الفرصة تمر عبثاً
من غير دعابة وظرافة ملتفتاً إلى شميل قائلاً له: وأنت كيف تصيح
عند الطرب والله عندك غير موجود؟! هل ستصيح: طبيعة ...
طبيعة!؟

الصفحة الثقافية لجريدة (الصباح) العراقية

الأربعاء ٢٠١٦/١٠/٣٠

وجوه تركمانية في رحاب الثقافة والأدب حديث عن الأديب وحيد الدين بهاء الدين

تعود علاقتي الثقافية والمعرفية مع الأديب العراقي التركماني الأستاذ وحيد الدين بهاء الدين (١٩٢٩-) إلى سنوات بعيدة، إذ كانت تمتعني قراءة ما يكتب هذا الرجل، أسلوب أنيق رشيق، ولغة عالية مكتتزة بالبهاء والرواء، ومازال عالقا في ذهني عنوان كتابه الذي خصصه للحديث عن الدكتور مصطفى جواد -رحمه الله- الذي وجدته معروضا في واجهة المكتبة العصرية في شارع الكتب، شارع المتبهي ببغداد، وعنوانه (مصطفى جواد: فيلسوف العربية وخططي بغداد الفرد)، المطبوع بمطبعة النعمان بالنجف عام ١٩٧١، والخطط: لمن لا يعرفها، العلم الذي يعتني بصورة مدينة ما، وما كانت تحتويه من مبان ومنشآت ومقابر ومدارس، ودراستها وتبيان ما طرأ عليها من تغيرات خلال مسيرة الزمن.

أي محاولة تقديم صورة عن حال مدينة ما للأجيال الجديدة، وبقيت اقرأ ما يكتب هذا الأديب الكاتب، الذي لم التقه أو أعرف إليه أسفاً، ومازلت احتفظ ضمن أرشيفي الورقي المستل من الصحف والمجلات، بعدد مقالاته ودراساته، فضلا عن مقالات العديد من الأدباء والباحثين والنقاد في العراق مثل: الدكتور علي جواد الطاهر، حارث طه الراوي، عبد المجيد الشاوي، عبد الحميد الرشودي، الشيخ جلال الحنفي البغدادي، الباحث المتمكن الدكتور كامل مصطفى الشيبلي الأديب عبد المجيد

لطفي وغيرهم.

ولقد أعارني صديقي الشاعر الغرّيد عبد الخالق فريد، وقد استذكرنا الأديب وحيد الدين بهاء الدين، أعارني كتابه الذي أهدها إليه والموسوم بـ(وجوه تركمانية في رحاب الثقافة والصحافة)، الصادرة طبعته الأولى سنة ٢٠٠٨ وهو من إصدارات نادي الإخاء التركماني - المركز العام - بغداد، واشتمل على دراسات عن شخصيات ثقافية عراقية، وظواهر ثقافية، ولقد تحدث الأستاذ المنشئ الأنيق وحيد الدين بهاء الدين بكل الشكر والعرفان عن عدد من أساتذته أيام الدراسة المتوسطة والثانوية، مما أعاد إلى ذاكرتي الكتاب الرائع الجميل، الذي نشره أستاذي الدكتور علي جواد الطاهر، وتحدث من خلاله عن أساتذته، سواء الذين درّسوه حقا ومنهم: الدكتور مصطفى جواد، الدكتور محمد مهدي البصير، فقيه النحو الأستاذ طه الراوي، والأستاذ محمد احمد المهنا أو أولئك الذين درس مؤلفاتهم وكتبهم، فأصبحوا والحالة هذه أساتذة له، ومنهم: الدكتور طه حسين، محمد غنيمي هلال، والباحث الرائع الذي لم يأخذ حقه من سيرورة الذكر، الأستاذ طه احمد إبراهيم، صاحب الكتاب الرائع والوحيد (تاريخ النقد الأدبي عند العرب) محمد صقر خفاجة، والناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتي وغيرهم، نشر أستاذي الطاهر هذه المقالات على صفحة (آفاق) جريدة (الجمهورية) وكانت صفحة (آفاق) تتمتع ببعض حرية منتصف العقد الثمانيني من القرن العشرين، وأعاد نشرها بكتاب عنوانه:

(أساتذتي. ومقالات أخرى) نشرته له بطبعته الأولى دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد سنة ١٩٨٧.

الأستاذ الأديب وحيد الدين بهاء الدين، يتحدث في كتابه عن بعض أساتذته - كما قلت - ومنهم أستاذه قاسم مصطفى الصالحي، فضلا عن العديد من الأدباء والكتاب منهم: موسى زكي مصطفى، ذلك المربي الأديب، وياسين عبد الكريم نابغة من تلعفر، والسيد إبراهيم السيد احمد ويرسم صورة قلمية بلا إطار لخورشيد كاظم البياتي وجمال عزالدين عبر حطام الذكريات، ومحمد مهدي خليل كما عرفته، وعبد القادر سليمان أصالة ونبالة، وعبد المجيد القطب، والمذيع والأستاذ الجامعي سنان سعيد والأديب الكاتب قحطان الهرمزي.

ما أردت الحديث عنه، المستوى العلمي في العراق، قبل ان تضربه الانقلابات وتحطمه، وقبل كارثة الزحف سنة ١٩٥٨، حيث نقل كل الطلاب الراسبين في العام الدراسي ١٩٥٧ - ١٩٥٨ إلى صف أعلى أسوة بالنابهين والجادين، فتساوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون، في سابقة خطيرة ضربت العملية العلمية والتدريسية في العراق، في الصميم كما ضربت تأميمات عبد السلام عارف المرتجلة الاقتصاد العراقي بقرار التأميم الصادر يوم ١٤ / تموز / ١٩٦٤، واذاعها من شاشة التلفاز العراقي الدكتور خير الدين حسيب.

من المعروف للدارسين، ان المدارس ما كانت منتشرة أو اخر العهد العثماني، إذ كان (الملا) يتولى تعليم بعض الأطفال القراءة

والكتابة، وإذ انشئت الدولة العراقية في ٢٣/آب/١٩٢١، كانت الحاجة ماسة إلى من يشغل الوظائف الجديدة، فأصبح الاختبار يجري لمن يعرف القراءة والكتابة وخضوعه لامتحان الدراسة الابتدائية الوزاري كي ينال شهادة الدراسة الابتدائية، ومنهم المرحوم أبي، الذي دخل الامتحان الوزاري منتصف العقد الثلاثيني من القرن العشرين، ونجح ليعين موظفا سنة ١٩٣٩ في الموصل، الأستاذ وحيد الدين بهاء الدين يحدثنا حديثا ضافيا وضافيا عن أستاذ اللغة العربية، قاسم مصطفى الصالحي، في ثانوية كركوك للبنين، كان أستاذاً له يوم كان وحيد الدين في الصف الأول المتوسط، ثم نهل العلم على يديه في الدراسة الإعدادية، وأخيراً في دورة اعداد المعلمين، يزورهم المفتش الاختصاصي بوزارة المعارف الدكتور خالد الهاشمي، فيجد الأستاذ قاسم مصطفى الصالحي منهمكا في تدريسهم مبحث (الفاعل) لقد اعجب خالد الهاشمي بما شهد ولمس من أصالة الأستاذ قاسم مصطفى الصالحي وتضلعه في مادته، ولم يجد ما يعقب عليه او ينبه وغادر الصف رافعا يميناه ملوحا بانسراح قائلاً: أشكرك، أشكرك كانوا يسألونه، الطلاب يسألونه في مسائل نحوية عويصة ويجدون عند قاسم مصطفى الصالحي الجواب، هذا الرجل الذي لم يدرس في كلية أو معهد أو دار، يسألونه عن إعراب (بسم الله الرحمن الرحيم) وعبارة (جيد جدا) و(أعرب ما يأتي) و(القلب والوعد) و(صباح الخير) وغير ذلك.

هذا الأستاذ الضليع الذي ما درس في كلية أو معهد ينال ثناء

العلامة الشيخ محمد بهجة الأثري، الذي كان يزور محاضراته، يوم كان الأثري مفتشا اختصاصيا للغة العربية بديوان وزارة المعارف، هؤلاء الأساتذة الأجلاء، على الرغم من علميتهم وإمكاناتهم، كان يجرى اختبار لهم، لكن من الذي كان يختبرهم؟! ولتقرأ الأسماء، ولنزه فرحا، ولنبك على حال العلم والمستوى الدراسي الآن في العراق، أرى طلبة الجامعة، جامعة بغداد، وما رأيت أحدهم يحمل كتابا، كنا نباهي ونفخر بحمل الكتب، ونزهو، أراهم يحملون وريقات، ملازم بئسة وعابتهم مرات وأشاكسهم، ما هذا؟ مقارنة بمستوانا العلمي، لكنهم - غالبا - يعللون الأمر، بالحال الذي آل إليه البلد، حروب وحصار وهجرة العقول... .. ولقد كان يختبره والآخرين من زملائه في المدرسة يختبره، عز الدين آل ياسين في علم النحو، وعبد الرزاق محيي الدين في البلاغة، وهما، ما هما عليه من علم وإخلاص، وبهذه العقول بني العراق وتقدم وتآلق، وبذهاب هذه العقول واقصائها ذر الجهل قرنه وساد.

إنها صور للعظة والاعتبار، من زمن ما أحسنا إليه كما أحسن إلينا فأذهب الانقلاب الخمسيني الأول، فذهب الخير والعدل والعلم و.. وبذهابه.

جريدة (المشرق) بغداد

الخميس ٢٠١٦/١٢/٢٢

رسائل أنسي الحاج إلى غادة السمان ليس لنا أن نصادر حقها في النشر

أثار صدور كتاب (رسائل أنسي الحاج إلى غادة السمان) عن دار الطليعة ببيروت عام ٢٠١٦ الكثير من التعليق واللفظ والانتقاد، وهذا الأمر في بعض جوانبه، يؤشر إلى ظاهرة صحية إلى حد ما، هي أن هناك من يتابع ويقرأ، في وقت نعاني فيه عزلة وقنوطاً، فلا يكاد يحرك مجتمعاتنا محرك المبتلاة بالحروب الأهلية والرأي الأحادي المكفر، لكن هذا اللفظ يؤشر إلى حالة سلبية تتسقط ما يعده بعضهم هفوة، أو كسراً للقفار والمألوف، ويأتي هذا اللفظ في أقصى صورته من جانب الكاتبات لا الكتاب الرجال، وكأن إصدار غادة السمان لهذا الكتاب، كان مناسبة لتصفية الحساب معها، هي التي نالت من الشهرة والذيع والانتشار ما يبقى الكثير من الكاتبات في موضع الحاسدة المتبرمة الشائنة، حتى أن إحداهن اتهمت غادة بأن نشرها هذا الكتاب محاولة منها، لاستعادة بريق آفل، وحضور كان، وأرى أن غادة التي شغلت الدنيا الثقافية العربية على مدى عدة عقود، وكانت واسطة العقد في ثقافتها يوم كانت تحيا في بيروت الستينات، بيروت الفكر والحرية والعروبة والمقاومة، ستظل متألفة وآخذة مقامها اللائق بها في الثقافة العربية، صاحبة المرافئ القديمة ولا بحر في بيروت، والجسد حقيبة سفر، فضلاً على تلك المقالات الجميلة المكتوبة بلغة رشيقة والتي كانت تطالعنا بها من خلال مجلات بيروت مثل

مجلة (بيروت المساء).

ما أنزوت غادة السمان، ولا غادرت الساحة الثقافية، مثل أخريات، ليلى بعلبكي مثلاً التي اكتفت بما أغدقته عليها روايتها التي أثارت جدلاً واسعاً يوم أصدرتها سنة ١٩٦٢ (سفينة حنان إلى القمر) فنامت واستنامت، بل ظلت غادة في الواجهة على الرغم من العمر الذي لا تعترف به، فما زالت تكتب العمود الثقافى الذي أطلعه بمودة وشغف، وأكاد أعرفه من عنوانه، فالنص يمتح من ذات الكاتبة وروحها، وحتى آخر ما صدر لها روايتها (سهرة تنكرية للموتى) التي تتناول علاقة العربي بالأوربي أو الغربي ولكن بوجهة نظر مغايرة، داعية إلى الأخذ منه والاقتراب إليه، على عكس ما كان سائداً في عقود خلت من كره، ألم ينتقم (مصطفى سعيد) بطل رواية (موسم الهجرة إلى الشمال) للطيب صالح من النسوة الإنكليزيات من خلال مضاجعتهن بقسوة وسادية تصل به إلى قتل إحداهن؟!؛

إني وإن عبت على غادة السمان، نشرها لرسائل غسان كنفاني إليها لسبب بسيط، هو أن كان الأجدر والأجدى لو نشرت رسائلها لغسان، سيكون الأمر أكثر أمانة وقرباً إلى حقائق الحياة والأشياء، لكن لعل لها عذراً وأنت تلوم، فللمرأة أسبابها الذاتية والموضوعية، ولعل دافعاً خفياً مرتمساً في اللاشعور وراء عيبي ولومي ذلك، لعله ما رسخ في واعي من عدم خدش الصورة السامية الايقونية لغسان كنفاني، ودوره في حركة المقاومة الفلسطينية، ومن ثم ذلك الرحيل المأساوي، التفجير المجرم لجسده

وبعض الأطفال من قرياه يوم السبت ٨ / من تموز / ١٩٧٢، ويظل الأمر مختلفاً عند الشاعر انسي الحاج فهو شخصية عامة فضلاً عن عادة، وليس من حقنا مصادرة حقها في نشر ما تعده جزءاً من إرثها الثقافي، وهل هناك أصدق من الرسائل الذاتية، رسائل الوجد والتواجد والعشق والغرام؟ ولاسيما إذا كانت صادرة عن مشاعر شاعر؟!

ألم تنشر منذ عقود الرسائل المتبادلة بين مي زيادة وجبران خليل جبران؟ مع ذلك يظل السؤال قائماً، أما كان الأجر، لو نشرت عادة رسائلها لأنسي الحاج، ومن قبل ذلك رسائلها لغسان كنفاني، لماذا يطربها ويدغدغ أحاسيسها ان تكون المعشوقة، وتتكتم على دور العاشقة؟

الصفحة الثقافية لجريدة (الصباح)

الأحد ٢٠١٧/١/٨

الباحث نبيل العطية يدون رواه في كتب وكتّاب مشاركات بين طه حسين ومصطفى جواد

يستهويني فن المقالة، وأرى فيه طريقة مكثفة للتوصيل، من غير إفراط ولا تفريط، وعرف في العراق مقالون، اشتهروا بكتابة هذا اللون، يقف أستاذي الدكتور علي جواد الطاهر - رحمه الله - في المقدمة منهم، فضلاً عن مهدي شاكر العبيدي، وحميد المطبعي والدكتور طه جزاع، والدكتور قيس كاظم الجنابي والدكتور سعيد عدنان والأستاذ نبيل (إبراهيم)، العطية، الذي هو ثالث الثلاثة من هذه الأسرة التي قدمت للثقافة العراقية والعربية الشيء الكثير ممثلة بجهود الأستاذ الجامعي خليل إبراهيم العطية، والباحث والمحقق للعديد من أمات المخطوطات الأستاذ جليل العطية، لذا سَعُدْتُ حقاً وأنا أقتني كتابه الصغير حجماً، الكبير مادةً الذي عنوّه بـ (رؤى في كُتُب وكتّاب) الصادر سنة ٢٠١٦، ويقع في مئة وعشرين صفحة، واحتوى على اثني عشرة مقالة، محورها الأساس الكُتُب والكتّاب العراقيين والعرب، ويبدو أن الأستاذ نبيل العطية من الشغوفين بأبي الطيب المتنبي، ومَنْ لا يُشغَفُ به حُباً؟، وما زالت مقولة ابن رشيق القيرواني ترن في سمع الدهر: جاء المتنبي فملاً الدنيا وشغَلَ الناس) لذا خصص أكثر من مقالة لهذا الشاعر العملاق، واقفاً عند ما كتبه الدكتور طه حسين عنه، وطه ما أخذ لهذا الأمر أهبتة فهو أقرب إلى إسقاط الفرض، فهو يصّرح إنه لا يحب المتنبي، ولقد

عَجِبْتُ كيف لرجل يستطيع ان يكتب بعلمية، وهو متخذُ هذا الموقف المسبق إزاء الشخص المدروس؟ كما يعلن أنه لم يصطحب معه وهو يكتب كتابه هذا سوى ديوان المتنبي، لذا جاء كتابه هذا الذي سماه (مع المتنبي) وفيه الكثير من الشطط، ألم يرتب طه حسين بنسبه ألم يقل إنه لقيط؟! قائلاً ((أكان المتنبي يعرفُ أباه؟ قال المؤرخون نعم، ولم يقل المتنبي شيئاً. فأنت تقرأ ديوانه من أوله إلى آخره وتقرأه متأنياً، لا تجد فيه ذكراً لهذا الرجل، وماذا ترانا نقول في كتاب يصِّرح مؤلفه بأنه "خواطر مرسله تُثيرها في نفسه قراءة المتنبي في قري الألب في فرنسة؟! أية كتابة هذه، لا مصدر ولا مرجع، ولا من يسأله عن قضية وإشكال في تلك الربوع الجبلية واضعين في الحساب إنهم يستطيعون غيره لفقده ناظره فضلاً عن شغف زوجته الفرنسية بالحفلات والطعام والشراب، وهو ما ذكرته في كتابها الرائع الذي يصور حياتها مع طه حسين منذ أن تعرفت إليه في باريس أيام الطلب وحتى أواخر أيامها، الذي عنوانته بـ (معك). ويتحدث المؤلف عن المشتركات بين كتابات طه حسين عن المتنبي وما كتبه الراحل مصطفى جواد عنه، كذلك يفرد الباحث نبيل العطية، مقالة أخرى مما يؤكد شغفه بالمتنبي - كما أشرت إليه سابقاً- متناولاً فيها موقف الرصافي من المتنبي حياةً وشعراً. مقالته عن الباحث النحوي والشاعر الرقيق مصطفى جمال الدين (١٩٢٧-١٩٩٦) صاحب القصيدة المدوية، والبيت الأكثر دويماً. التي ألقاها في مؤتمر الأدباء العرب المنعقد في بغداد بشهر شباط ١٩٦٥.

بغداد ما اشتبكت عليك الأعصر

إلا ذوت ووريق عمرك أخضر

إذ يذكر ((أن الدكتور مصطفى جمال الدين، استثناء من القاعدة فهو أحد أولئك النوادر ممن جمع بين رقة الشعر، وجفاف مادة البحث النحوي، حتى لتحسب ان هذا الشعر الرقيق ليس من إبداعه، وإن بحثه النحوي لا يمكن أن يصدر عنه إذ شتان بين رقة هذا وصرامة ذلك)) تراجع ص ٨٨.

إذ ليس بخاف على الدارسين والقراء الجادين، ان الشيخ مصطفى جمال الدين درس في أطروحته للدكتوراه، الجهود التي بذلها الأصوليون في دراسة النحو العربي، التي أراها فتحاً جديداً في عالم الدرس النحوي، والذي كتبه بإشراف العلامة النحوي الراحل الدكتور مهدي المخزومي (١٩١٧-١٩٩٣ م / ١٣٣٥-١٤١٤هـ) وما أدراك بحثاً يكتب بإشرافه والذي كان يشفق عليه وعلى قرائه من هذا الغوص المضمي في يم الدراسات النحوية واللغوية والدينية والفقهية وللمذاهب جميعها، لكنه مصطفى جمال الدين، ما كان يرضى إلا بحثاً يرضيه ويرضي الصفوة من الباحثين - تراجع ص ١١٨ من كتابي (هوامش ومتون. في الأدب والنقد والفكر) دار فضاءات / الأردن / ٢٠١٥.

ويضيف الباحث نبيل العطية إلى ذلك قوله في الصفحة ذاتها: ((في قصيدته (بغداد) الملقاة في مهرجان المرشد الأول المقام في ستينيات القرن الماضي، أطل علينا بعمامته السوداء، وإلقائه

المؤثر، وبترنم واضح، فأنتزع الإعجاب وأشعل الأكف بالتصفيق.
أقول ان الشاعر مصطفى جمال الدين ألقى قصيدته المدوية تلك
في مهرجان الشعر السادس، الذي عقد إلى جانب مؤتمر الأدباء
العرب ببغداد للمدة من يوم الاثنين الموافق ١٥/شباط/ فبراير من
عام ١٩٦٥، وحتى يوم الأربعاء ٢٤/ من الشهر ذاته، وأفتتح
مهرجان الشعر السادس مساء الجمعة ١٩/ منه، وألقى الشاعر
مصطفى جمال الدين قصيدته في الجلسة الثانية من مهرجان
الشعر، التي أقيمت وقائعها على قاعة الشعب ببغداد مساء الاثنين
٢٢/ من شباط/ ١٩٦٥، وفي هذا المؤتمر وعلى هامشه أقيم حفل
غنائي شدا فيه مطرب العراق الأول محمد الكبنجي، فما كان
من الشاعر أحمد رامي، وقد أستخفه الطرب، إلا أن يرمي معطفه
عالياً في الهواء، فكانت نادرة من نوادر المؤتمر تبقى تذكرها
الناس. وما القى قصيدته في مهرجان المربد الأول المقام في
الستينات من القرن الماضي كما يقول الباحث نبيل العطية وطقس
المربد استحدثت أول مرة سنة ١٩٧١.

جريدة (بين نهريين) الأسبوعية الثقافية

الأربعاء ٢٤/٥/٢٠١٧ العدد ٣١

لماذا نحاول الإساءة لشواخصنا الإبداعية؟

أتابع - بأسف - محاولات بعضهم، الإساءة إلى بعض شواخصنا الثقافية والمعرفية والإبداعية، وهدم منجزهم، وذلك ناتج - كما أرى - عن حسد وحقد وشنآن، فمنذ ألف سنة تعرّض (المتنبي) لحسد الحاسدين، وهذا أبو علي الحاتمي (٣١٠ - ٣٨٨هـ)، الذي وصف وصول المتنبي بغداد، قائلاً "كان أبو الطيب المتنبي عند وروده مدينة السلام، التحف رداء الكبر، وأزال ذيول التيه، وصعر خده، ونأى بجانبه (....) رافلاً في التيه في برديه....". والحديث طويل، وألف كتاباً عنونه بـ (الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره) في حين ينص الدكاترة زكي مبارك (١٨٩٢-١٩٥٢) في كتابه (النثر الفني في القرن الرابع) على أن عنوان الكتاب (الموضحة في مساوي المتنبي) وهذا آخر هو محمد العميدي (توفي ٤٣٣هـ) يؤلف كتاباً عنوانه (الإبانة عن سرقات المتنبي).

بالأمس قرأت مقالاً للأديب التونسي منصف الوهايي عنوانه (في تناسخ النصوص.... من أبي تمام إلى أدونيس) يحاول غمز القامة الإبداعية الشاهقة أدونيس مشيراً إلى رسالته الجامعية عن تجربة أدونيس التي أشرف عليها الراحل توفيق بكار، ونهَجَ على نهجها الباحث العراقي المغترب كاظم جهاد ليؤلف كتابه (أدونيس منتحلاً).

أقول: لماذا نشغل بتسقط كتابات الآخرين، ومحاولة تطفيف
كيلها؟ لماذا لا نشغل بالكتابة والإبداع؟
وكانت غادة السمان من هذا الرعيل المبدع الأنيق، الذي
تعرض لشنآن الشائئين، وما أصدرت كتاباً إلا أثار زوبعة من حسد
الحاسدين، وفي الذاكرة إصدارها بداية عام ٢٠١٧، رسائل
الشاعر اللبناني انسي الحاج إليها. (١٩٣٧ - ٢٠١٤).
والأعجب أن يصدر هذا الضجيج والعجيج من نسوة مبدعات،
نلن وطراً جيداً في دنيا الكتابة والإبداع والترجمة والشهرة.
ويوم أصدر الباحث والمترجم والناقد السوري جورج
طرايبشي (١٩٢٩ - ٢٠١٦) كتابه الفخم (نقد نقد العقل العربي)
ويقع في ثلاثة أجزاء خصصها طرايبشي - الذي أحترم منجزه
وأجله - لتسقط هفوات أو ما يراها هفوات المفكر العربي الكبير
الراحل (محمد عابد الجابري) (١٩٢٦ - ٢٠١٠)، أو اقتباساته، أو
أخذه في كتابه المهم (نقد العقل العربي)، يوم أصدر طرايبشي
كتابه هذا حدثت نفسي، ماذا لو اهتمت بالبحث والكتابة، لا
محاولة النيل من الآخرين ومحاولة تحطيم منجزهم؟
لو كان النقد نزيها ولوجه الله والحقيقة، لقبلائه، لكني أراه
محاولة لتصفية حساب، أو تشويه الصورة الايقونية لبعض شواخص
الثقافة، أو جلب شهرة وذيوع صيت.
وأرى ان الحملة تزداد سعاراً على ادونيس مع ترشحه لنيل جائزة
نوبل للآداب، ومحاولة قضم جرف إبداعه، مع أننا لنناها مرة
واحدة، وأعطيت لنا مجاملة سنة ١٩٨٨، ولن نحصل عليها ثانية،

ترى ألم يمّت غمماً وهماً ومكابدة القاص والروائي المصري المتواضع موهبة الدكتور يوسف إدريس، عند فوز نجيب محفوظ بآداب نوبل سنة ١٩٨٨، هو الذي كتب مقالاً عاصفاً بعد إعلان فوزه، ما أبقى لمحمفوظ فضيلة، وظل هاجس فوز محفوظ يطارده، فمات حسداً وغيظاً في أحد المشايخ الباريسية في الأول من آب سنة ١٩٩١؟

يكفي علي أحمد سعيد اسبر(ادونيس) فخراً إنه منجز الكتاب البحثي الثر الشاهق (الثابت والمتحول، بحث في الإبداع والاتباع عند العرب)، وهو في الأصل جزء من متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه من جامعة القديس يوسف عام ١٩٧٣ وقرأته في ٢٧/١٠/١٩٨٩ فضلاً عن منجزه الشعري.

تساموا يا هؤلاء ولا تتصاغروا، واهتموا بأنفسكم وما تنجزون ولا تشغلوا بلغو الحديث والقول.

ثقافية جريدة (الصباح) بغداد

الخميس ٢٤/٨/٢٠١٧

كانت القضايا تحل ببساطة قراءة لذكريات الشاعر الكبير مظفر النواب

قرأت الحوار الذي أجراه الروائي العراقي المغترب سنان أنطون مع الشاعر العراقي المغترب -كذلك- مظفر النواب وكأن قدر العراقيين الغربية والاعتراب، نشرته مجلة (الدراسات العربية) خريف عام ١٩٩٦، وأعدت نشره إحدى صحفنا، وظل هذا الحوار الثقيل في السياسي المهم، يحمل جدته، وقفت ملياً عند حرية التعبير والتصرف في تلك الأيام الخاليات، إذ يذكر النواب، وكانوا قد اعتقلوا خريف سنة ١٩٥٦، إثر نشاطهم السياسي المؤازر لمصر التي أممت قناة السويس في تموز ١٩٥٦، بخطاب القاه الرئيس جمال عبد الناصر في مدينة الإسكندرية يوم ٢٦/تموز/١٩٥٦، لمناسبة احتفاء مصر بالذكرى الرابعة لثورة يوليو ١٩٥٢، وما نتج عن التأميم من عدوان ثلاثي، بريطاني فرنسي صهيوني، قاومه شعب مصر ببسالة أفسدت العدوان، وانتفاض الشعب العربي من المحيط إلى الخليج يوم كان العرب يحيون القضايا الكبرى.

اعتقل هؤلاء الشباب الناشطون سياسياً، وادخلوا في دورات الضباط الاحتياط، بوصفهم خريجي كليات، يحدث أن يُضرب أحد هؤلاء المعتقلين لأنه تأخر عن الحضور إلى ساحة العرضات والمباشرة بالتدريب، يذكر النواب، أنهم أعلنوا الإضراب وهم في دورة ضباط احتياط. ضباط احتياط يتمردون على الأوامر

العسكرية واجبة التنفيذ في أرقى الدول الديمقراطية!

يقول النواب "توتر الجو وطوقوا المعسكر وأخذوا منا نحو عشرين فرداً إلى بغداد، لمحاكمتهم عسكرياً....) لكن نوري السعيد أطلق سراحهم بعد أربعة أشهر.

وإذ يعتقل أول مرة، بعد أن فتشت دارتهم المنيفة المطلة على دجلة الخير والنماء وأصبحت منتصف خمسينات القرن العشرين مثابة لتوسطة فيصل الرسمية التي ستنظم للدراسة بها في العام ١٩٥٧ - ١٩٥٨، وبعد أن تفتش دارهم بصورة حضارية قانونية، يؤكد النواب، لم يضربوني لكن سألوني، لماذا أنت شيوعي وأنت من أسرة غنية؟ كانت محاضرة وإذ يحضر أبوه لمعرفة مصير ابنه، فإن المدير العام للتحقيقات الجنائية وكان هذا هو اسمها أيام العهد الملكي وغيره الجمهوريون إلى مديرية الأمن العامة، فإن المدير العام بهجة العطية يستقبله حاثاً إياه على نصح ابنه وترك الشيوعية، سائلاً مظفر، مالذي أتى بك إلى الشيوعية وأموالكم ما شاء الله؟

الشاعر الكبير مظفر النواب، يؤكد السلوك الحضاري والقانوني والإنساني والأبوي للمرحوم بهجة العطية الذي سيحاكم خريف سنة ١٩٥٨، أمام المحكمة العسكرية العليا الخاصة وتحكم عليه بالإعدام، وينفذ الحكم في التاسع عشر من شهر أيلول ١٩٥٩، مع متصرف لواء بغداد عبد الجبار فهمي، ومدير سجن بغداد عبد الجبار أيوب، مع مجموعة من ضباط جحفل لواء المشاة الخامس ومقره مدينة الموصل.

النواب يقول ان بهجة العطية قال لأبي: خذ أبنك، كانت

القضايا تحل ببساطة.

بقي لي أن أشير مصوباً بعض ما ورد في هذا الحوار السياسي الثقافى احتراماً لحقائق الحياة والأشياء.

١ - يطلق النواب على مدير التحقيقات الجنائية اسم ناجي العطية والصحيح بهجة العطية كما ذكرت اسمه الصحيح آنفاً.
٢ - يذكر النواب "كانوا يوقفوننا عدة أيام (...). فمثلاً عندما جاء سليمان ديميريل جاءوا وأخذونا.

أقول لعلها الذاكرة، وبعد العهد بالحادثه، أوقعت النواب بهذا الخلط فلقد زار العراق خريف عام ١٩٥٥، رئيس الوزراء التركي عدنان مندريس، الذي حاز على تأييد شعبي تركي واسع بسبب تقليه الإجراءات الاتاتورية المناهضة للإسلام، فتوجس الجيش خيفة منه وأطاح به في ٢٧ مايس ١٩٦٠، فضلاً عن الرئيس جلال بايار، وقد قاد الانقلاب الجنرال جمال كورسيل، ليكون أول انقلاب عسكري في تاريخ تركية الحديثه، وقدم عدنان إلى محكمة عسكرية خريف تلك السنة وحكمت بإعدامه.

أما سليمان ديميريل الذي ذكره النواب فهو سيتولى الرئاسة التركية أيام تسعينات القرن العشرين، وكان قبل ذلك رئيساً للوزراء.

ثقافية جريدة (الصباح)

الأحد ١٥/١٠/٢٠١٧

العراق كان سابقاً في نقل روايات إيشيكورو للعربية.

يوم أعلنت الأكاديمية السويدية في الخامس من شهر تشرين الأول / ٢٠١٧، فوز الروائي الياباني الأصل، بريطاني الجنسية كازوو إيشيكورو، بجائزة نوبل للآداب عام ٢٠١٧ قرأت ما يشير إلى أن بعض دور النشر العربية، قد انتبهت مبكراً إلى أهمية منجز إيشيكورو، ومن ثم تولت ترجمة عديد رواياته إلى اللغة العربية، لكنني أرى أن العراق كان سابقاً في الانتباه إلى منجز إيشيكورو المولود في مدينة ناكازاكي سنة ١٩٥٤، التي تعرضت في الثامن من آب سنة ١٩٤٥، إلى ضربة بقنبلة نووية أمريكية بسبب مواصلة اليابان الحرب، بعد استسلام المانية النازية في الثامن من مايس ١٩٤٥ / وإيطالية الفاشية، وكتب إيشيكورو رواية، تدور حوادثها في مدينة ناكازاكي عنوانها (A pale view of Hills) الصادرة في لندن عام ١٩٨٤، وصدرت طبعتها العربية الأولى في بغداد سنة ١٩٩١، وهذا رقم قياسي في سرعة الترجمة، واضعين في الحسبان، الحضور المتواضع لابشيكور في تلك السنوات، بترجمة (عزة حسين كبة)، وحملت الرواية عربياً عنوان (التلال الشاحبة).

تصور الرواية هذه، التطورات التي طرأت على الحياة اليابانية بعد انتهاء الحرب، إثر قصف مدينتي هيروشيما في ٦/٨/١٩٤٥، وناكازاكي، فالأم ساجيكو ما عادت تهتم بتربية ابنتها (ماريكو) وغالباً ما تتركها في كوخها المنعزل كي تسافر نحو

ناكازاكي لتلتقي بعشيقتها الأمريكي (فرانك) الذي يستغلها جنسياً، لقاء وعود باصطحابها نحو بلده الولايات المتحدة، لكنها تكتشف أخيراً كذبه وتدليسه، وتركها بعد أن قضى منها وطره الجنسي، وهي على الرغم من احتجاج أبنيتها الطفلة على سلوكها هذا، تظل (ساجيكو) تواصل هذا السلوك المنفلت أخلاقياً مع (فرانك) فضلاً عن إن (نيكي) وهي من أسرة أخرى تترك أسرتها كي تحيا في لندن، ومن قبلها غادرت شقيقتها (كيكو) نحو مدينة مانجستر وتضطر أخيراً، بعد أن لم تستطع المواءمة بين ما نشأت عليه في بلدها اليابان، والحياة في مانجستر، تضطر أخيراً إلى الانتحار شنقاً، مما يجلب العار لأسرتها، التي تحاول التعقيم على أخبار (كيكو) وعدم الإفصاح عن نهايتها المأساوية، وها هي الزوجة تصوت في الانتخابات لحزب لا يصوت له زوجها، وهذا من الأمور غير المقبولة في الحياة اليابانية قبل الاحتلال الأمريكي لها إثر خسارتها الحرب.

فها هو (أوغاتارسان) ولفظة (سان) لفظة احترام وتوقير، أوغاتاسان يرى إن "الأمريكان، لم يفهموا يوماً تقاليد اليابان(.....)النظام والإخلاص، مثل هذه القيم التي عززت اليابان في الماضي، قد تبدو هذه القيم خيالية، لكنها هي التي حفظت وحدة اليابان، كان الشعور بالالتزام هو الذي يهيمن ويوحد الناس، الالتزام نحو العائلة، نحو الوطن، أما الآن، فقد تغيرت الأمور، وبدل ذلك الشعور هناك هذا الكلام عن الديمقراطية الذي تسمعه حين يكون الإنسان أنانياً، وحين يريد نسيان

التزاماته وواجباته خذ مثلاً ما حدث في مهنتي، كان لدينا نظام عمره سنين طويلة نلتزم به ونسير عليه، ثم جاء الأمريكيان فمزقوه ورموه جانباً (...) وقرروا لنا أن تكون مدارسنا مثل المدارس في أمريكا، وعلى أطفالنا ان يتعلموا ما يتعلم الأطفال الأمريكيان(....) لقد تحطمت أمور كثيرة جيدة في مدارسنا" تراجع ص ٨٠ -ص٨١ من الرواية.

لكن ظلت بعض الملامح القديمة الإيجابية في الحياة اليابانية، على الرغم من التأثيرات الأمريكية، وقبل ظهور العولمة ومن ثم الأمركة، فها هي (أتسوكو) زوجة (جيرو) مازالت تخاطب أبا زوجها (أوغاتا-سان) ب (أبي) وتحترم وفادته عليهم زائراً، وتعد له الطعام حتى وهو يغادرهم عائداً لمنزله مصرّة - وهي صادقة- على المكوث معهم مدة أطول، كما إنها تقدم خدماتها للجيران، صورة صادقة من الطيبة والألفة، التي ضربتها الثقافة الأمريكية الوافدة بعد الاحتلال.

لقد انتبه الروائي (كازوو إيشيكورو) إلى هذه المعضلة الأخلاقية الطارئة على المجتمع الياباني، الذي يعد من أكثر المجتمعات التزاماً بالأخلاق الفاضلة الإيجابية، إن لم أقل أكثرها، حتى أن الناس مازالت تصف المرأة المخلصة لزوجها والحافظة لغيابه والمهتمة بأسرتها إنها امرأة يابانية.

ما أكتفى المشروع الثقافي الرائد الذي أشرفت عليه الأديبة (أمل الشرقي) ونفذته، بترجمة (التلال الشاحبة) بل أردفها بترجمة رواية ثانية لهذا الروائي الذي انتبه العراق إليه مبكراً، فتولى

الشخصية السياسية والمترجم العراقي الضليع (عطا عبد الوهاب) نقل رواية (بقايا النهار) (The Remains of the day) الصادرة بالإنكليزية في لندن عام ١٩٨٩، وهي الرواية الفائزة بجائزة بوكر عام ١٩٨٩، نقلها عطا عبد الوهاب إلى العربية عام ١٩٩٠، وهو نقل أكثر قياسية إذا ما وضعنا في حسابنا تأخر الترجمة في عالم الثقافة العربية الذي أطلقت عليه (أمل الشرقي) أسم (روايات الشمس)، هذا المشروع الثقافي قدم عديد الأعمال الروائية الجميلة مثل (مكان تخشاه الملائكة) لأبي. أم. فورست وتولت ترجمتها آمنة عبد الوهاب و(أتوتان وجولي) للروائي الفرنسي جورج سيمنون، وترجمها الأديب المؤثر الدكتور مهند يونس الناقد والأستاذ الجامعي والمترجم الرصين، الذي صمت - وبالأسف - منذ عام ٢٠٠٣. و(تأريخ السيد بولي) للأديب الإيرلندي هيربرت جورج ولز، ترجمها سمير علي، فضلاً عن (الخالة أوغستا) للروائي البريطاني (غراهام كرين) وترجمها المترجم نفسه، في حين أتحدثنا أمل الشرقي بترجمتها رواية (مستر جونسون) لجويس كيري.

هذا المشروع الثقافي الجميل والخارج عن أطر المؤسسة الثقافية الرسمية، ولأول مرة، تطبع كتب خارج دار الشؤون الثقافية العامة ورقابتها الصارمة، وسطوة خبائها الأكثر قسوة وصرامة، لا بل خوفاً من الأخ الأكبر، فكانوا أكثر ملكية من الملك نفسه، هذا المشروع كان من المؤمل أن يزهو ويتطور مثل مشروع (الاستشراق) الذي تولاه الناقد والباحث المهاجر الدكتور - محسن جاسم الموسوي، لكن الاجتياح الفاجع لدولة الكويت

الشقيقة، فجر الخميس ٢ / من آب، ١٩٩٠، ومن ثم فرض الحصار على بلدنا العراق، وأد هذا المشروع، فضلاً عن مشروع (الاستشراق) الذي صدرت منه خمسة أجزاء معرفية رائعة. إذن العراق، - وأنا هنا لست في موضع الدعوة للقووعة القطرية، سبق بقية المؤسسات الثقافية العربية في الانتباه إلى مشروع الروائي كازوو ايشيكورو، ونقله إلى العربية، فالعراق كان سباقاً وسيبقى على الرغم من كل الجراحات.

ثقافية جريدة (الصباح)

الأربعاء ٢٢/١١/٢٠١٧

مصطلح العصر الجاهلي.. مرة أخرى

أولاً - في زاوية (كتب لا تموت) كتب الباحث العراقي المغترب المتمكن (رشيد الخيون)، عرضاً أو إضاءة ولا أقول تغطية، كما شاع في أساليب الصحافة، متأثرين بالكلمة الإنكليزية (COVER) عرضاً لكتاب المؤرخ العراقي الكبير الراحل الدكتور (جواد علي) (١٩٠٧ - ١٩٨٧) (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) تنفيذ مصطلح (الجاهلية)، إذ جاء قول الأستاذ الخيون "في الجزء السابع من الكتاب يدرس مؤرخنا الحياة الاقتصادية، بما فيها من حضارة الزراعة والري والتجارة والحرف والري، وكأنه يريد القول "كيف نحصر هذه الحضارة بالجاهلية وعندما نقول (الجاهلية) نعني إنكار وجود العقل، وليس مثلما برر المتأخرون، إطلاق هذه التسمية بأنه الجهل بالإسلام ووحدانية الله، وحتى هذا لم يكن دقيقاً، فتلك الحضارة عرفت الله حق معرفته وعبده على طريقتها، أو بما أفرزته الحياة آنذاك".

تغيير مصطلح

أقول: إن لفظة (الجاهلية أو الجاهلي) لا تقدر بكرامة العرب، كي نغيره أو نحاول تغييره إلى مصطلح (العرب قبل الإسلام) وهو ما دعت إليه الجهات الثقافية في العراق، نهاية عقد السبعين من القرن العشرين، ودعت إلى درسه ومناقشته، وكان الملحق الأسبوعي لجريدة (الجمهورية) الذي كان يصدر كل يوم سبت مكاناً لنشر هذه الدراسات والبحوث، وبين يدي عدد الملحق

الصادر يوم السبت ١٥ - ٤ - ١٩٧٨ وبالعدد المرقوم ٣٢٤٦ لان لي مقالا فيه إلى جانب المؤرخ الكبير جواد علي، الذي أوضح أن مصطلح الجاهلية الذي ترجم إلى اللغات الأجنبية بالجهالة والجهل مصطلح نشأ عن جهل بكيفية نشوء المصطلح (...) وعندي أن الموضوع غير مهم، لأنه "مصطلح" ولا مناقشة في المصطلحات (...). أود القول إنني رجل عملي (هكذا وردت، وأظنه يقصد علمي وحصل خطأ في الطبع)، ولا احفل كثيرا بالمصطلحات... إنما أهتم بالنتائج. نتاج الإنسان الذي هو الأساس في تكوين التاريخ، فالتاريخ شيء مضي، ولا يمكن أن يخلق جيلا جديداً، إنما الجيل هو الذي يخلق التاريخ.. كل ما يستطيع التاريخ الماضي أن يفعله في حاضرنا هو أن يقدم لك حاصل حساب، قد يكون مسرراً، وقد يكون غير مسرر، ويمكن الإفادة منه كتجربة.

أما الأستاذ الدكتور محمد توفيق حسين، فذكر ان كلمة الجاهلية وردت في القران الكريم، وصفاً لبعض أحوال العرب وظروفهم الاجتماعية، فاتخذها المسلمون مصطلحاً أطلقوه على تاريخ العرب السابق على ظهور الإسلام، وشاع المصطلح (...) وفي ذلك شيء كثير من الغبن لهذا التاريخ، ولم يكن المسلمون أول قوم يفعلون ذلك بمخالفهم العقائديين أو الحضاريين، فالإغريق اعتبروا كل من ليس إغريقياً بربرياً.

في رأيي (...) أن نعيد النظر في هذه الفترة من تاريخ العرب، على ضوء الوقائع التاريخية، والآثار المكتشفة، والتحليل العلمي للحضارات، فنستعمل (...) مصطلح (العرب قبل الإسلام)، وهو

مصطلح دقيق ومحديد.

أما الأستاذ الدكتور هادي حمودي أحمد الحمداني فقال " وفي رأيي أن اصطلاح (الجاهلية) لو بقي على حالته دون أن يتعرض للمناقشة والتفضيل لكان افضل في دلالاته وتركيبه، بعد أن أصبح رمزاً لعصر من العصور التاريخية (...). إننا أحوج ما نكون الآن إلى غلق باب المناقشات في أمور نختلف فيها، ولا نصل بعدها إلى نتيجة ترضينا.

أقول إن رأي الدكتور هادي من أجراً الآراء التي قيلت لأنه لم يكن يوافق توجهات المؤسسة الرسمية الثقافية أما أنا فقلت في مساهماتي في النقاش ذاك "إن وصف العصر الذي سبق الإسلام بـ(الجاهلي) قد جاء في نصوص عدة، هي القرآن الكريم وأحاديث رسول الله (ص) وكبراء العرب في العصر الإسلامي، ولا ضير من إطلاقنا التسمية ذاتها على ذلك العصر، خاصة وأنها متداولة منذ ذلك الوقت، إضافة إلى أن ليس في التسمية ما يقدر فينا كعرب. أقول لقد دونت رأي الدكتور جواد علي الذي كتبه سنة ١٩٧٨ ولا أرى ضرورة أن نقوله ما لم يقل ولا سيما أننا نكتب لذاكرة الحياة وللعلم أو كما ذكر الباحث الخيون (وكأنه يريد القول) فجواد علي قال الذي يريد قوله.

ثانياً - الشيء الثاني الذي أود الوقوف عنده، قول الباحث رشيد الخيون " ولد جواد علي ببغداد، مدينة الكاظمية في العام ١٩٠٧ (...). أكمل الدراسة الثانوية، في مدرسة الإمام أبي حنيفة النعمان، حيث مدينة الأعظمية السنية، والتي ما بينها ومدينة

الكاظمية الشيعية عبور دجلة، يوم لم يكن الانتماء المذهبي أو الديني بالحسبان، وكان بمعيته أخيه وصفي علي، فلما دخلا مدرسة أبي حنيفة، قال لهما مديهما الحاج نعمان الأعظمي (ت ١٩٣٩).

- أنت جواد علي واخوك وصفي علي، بعد أن كان اسم أبيهما عبد علي." وقد رجع الباحث الثبت رشيد الخيون، إلى كتاب (الأثار العربية. منتخبات المؤرخ الدكتور جواد علي، مكتبة الإسكندرية ٢٠١٤. مقدمة بشار عواد معروف) مما يدل وليس (يدلل) - كما ورد- أن جواد علي لم يكن مشغولاً منذ صباه بما يشير إلى المذهب أو القوم، فظل هذا الاسم ملازماً له.

توثيق علمي

أقول: إذ أختار الدكتور جواد علي هذه التسمية، فإن أخاه الطبيب العدلي، الذي شغل وظيفة مدير معهد الطب العدلي ببغداد سنوات طويلة، كان يعرف بـ (وصفي محمد علي) وليس عبد علي، أو علي. أورد هذا للتوثيق العلمي والتاريخي فحسب، فأنا غير معني بما توحيه التسميات.

ثالثاً - قرأت خبراً عن فوز الباحث والروائي التونسي شكري المبخوت بجائزة الملك فيصل العالمية في فرع اللغة العربية والأدب لقدرته على تمثيل المنجز النظري بلغة نقدية رصينة علمياً وجمالياً. في تفاصيل الخبر ورد - كذلك - أن جائزة فرع الدراسات الإسلامية، وموضوعه في هذه الدورة (الأعمال التي أنجزت في تحقيق كتب التاريخ

الإسلامي والتراجم) قد ذهبت الجائزة إلى الأردني بشار عواد، أستاذ الحديث في جامعة العلوم الإسلامية العالمية بالأردن.

قلت: ان الأستاذ الدكتور، بشار عواد معروف، أستاذ عراقي وهو ابن أحد الإخوة الذين كان لهم شأن أي شأن في الدرس التاريخي والتربية وهم الأستاذ الدكتور ناجي معروف (١٩١٠ - ١٩٧٧) صاحب موسوعة، عروبة العلماء المنسوبين للبلدان الأعجمية، وشقيقه التربوي أحمد معروف (١٩١٨ - ١٩٦٩) الذي كان أحد مدرسي الثانوية المركزية ببغداد القريبة من وزارة الدفاع، يوم انتظمتنا للدراسة فيها في العام الدراسي ١٩٦٠ - ١٩٦١ أما الدكتور بشار فكنت احظى بحضور مناقشاته للبحوث العلمية في الماجستير والدكتوراه في معهد التاريخ العربي والتراث العربي للدراسات العليا، يوم انتظمت للدرس في المعهد سنة ٢٠٠١ - ٢٠٠٢ وكان جادا في مناقشاته وعلميا وكثيرا ما امتنع عن قبول أطاريح ورسائل لأنها كانت تفتقر إلى الدقة والعلمية، ويمنح الطالب اشهرا كي يعيد كتابتها. هذه شهادة للحقيقة ولتأريخ الرجل الناصع علميا الذي جاءته الجائزة السنوية البهية تسعى.

حاشية

(١) نشرت الدراسة في احدى الجرائد العربية الصادرة في لندن بتاريخ السبت ١٣ / كانون الثاني / ٢٠١٨.

جريدة (الزمان)

الأربعاء ٢٠١٨ / ١ / ٣١

(الاستشراق) لإدوارد سعيد وحدائقه كمال أبو ديب في ترجمته

هذا كتاب قرأته مرات عدة وقلة هي الكتب التي تقرأ أكثر من مرة، مع هذا الفيض الذي تغدقه علينا عقول المبدعين والباحثين، قرأت فصولاً منه بترجمة نذير جزماتي، ولي رأي في الترجمة قد أقف عندها يوماً، فضلاً عن ترجمة الدكتور محمد عناني.

غير أنني أود الوقوف عند ترجمة الدكتور كمال أبو ديب، هذا الباحث السوري، المولود سنة ١٩٤٢، في إحدى قرى الساحل السوري، التي أعدها إضافةً نوعية لهذا المفكر والكاتب، وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنما يدل على ثراء فكر كمال أبو ديب، وإخلاصه في هذا المجال، فهو إذ تولى ترجمة كتاب (الاستشراق) للمفكر الفلسطيني الشاهق إدوارد سعيد (١٩٣٥ - ٢٠٠٣) فضلاً عن كتابه الآخر (الثقافة والإمبريالية) الذي يصفه أبو ديب في مقدمته "قليلة هي الكتب التي تستحق أن توصف بأنها عظيمة، وبين هذه الكتب دون ريب، كتاب إدوارد سعيد (الثقافة والإمبريالية) فهو عظيم في مداه ورحابة آفاقه وعلمه، وهو عظيم ثانياً في منظوره، تراجع ص ١٣. من الترجمة التي صدرت عن دار الآداب اللبنانية بطبعته الثانية سنة ١٩٩٨.

المقدمة الضافية التي كتبها كمال أبو ديب، لترجمته لكتاب

(الاستشراق) لإدوارد سعيد، وبيدي الطبعة العربية السادسة الصادرة سنة ٢٠٠٣ عن مؤسسة الأبحاث العربية في بيروت، يرى أبو ديب ان كتاب الاستشراق هو، أيضاً دراسة قد تكون أهم ما كتب حتى الآن، داخل حقل الاستشراق وخارجه، عن هذه الظاهرة العجيبة، تكريس الغربي نفسه لدراسة الشرق، التي لم ينشأ لها معادل معروف عبر تأريخ الثقافة كظاهرة تخص العرب والشرق، تراجع ص ٥.

أي إن الغربيين درسوا الشرق فنشأ علم الاستشراق في حين لم نرَ على الجهة الأخرى من ظهر من الشرقيين كي يدرس الغرب، كي يظهر علم الاستغراب، وأرى إن هذا سيظل طويلاً في ضمير الغيب والخفاء، وحتى يصحو الشرق من إغفائه الطويلة، كي يدرس ذاته أولاً، ثم يتوجه لدراسة الآخر، وأعني الغربي.

إن كمال أبو ديب في ترجمته لهذا الكتاب (الاستشراق) يظهر للقراء أنه ذو رأي في هذا الذي يترجمه، وهو ما أشرت إليه في صدر حديثي، وليمثل إضافة إلى منجز إدوارد سعيد هذا وهو ليس من هؤلاء المترجمين الحرفيين، يترجم الكلمة الأجنبية بما يرادفها بالعربية، من غير ما تدخل وإضاءة واقتراب من روح النص وإن ما يطمح إليه، هو أن يجسد ما يستطيع من بنية الفكر المنشئ أولاً اللغة التي يترجم منها، وأن يسهم في توسيع بنية اللغة التي يترجم إليها ثانياً، ولم يكتف بذلك، بل الحق ترجمته بكشاف، ثبت باختياراته، وهو يرى أن عمله هذا، أي إلحاق كل نص عربي مترجم بكشاف، قد يؤدي إلى إحداث تفاعل قائم على الاستخدام

الفعلي للكلمة ، وليس ما تقترح بعضه مراكز التعريب ، كونها بعيدة عن متطلبات الحياة الثقافية ، التي نحيهاها ، فما كل يوم - يقول كمال أبو ديب - يصدر كتاب كـ (الاستشراق) وما كل يوم يتاح للمترجم العربي أن يقدم كتاباً على هذه الدرجة من الأهمية وإمكانية الوصول إلى القارئ ، بل ما كل شهر ، أو سنة ، أو عقد .

تقرأ هذا الإخلاص في الترجمة ، ترجمة كمال أبو ديب ، باحثاً عن الكمال وما يقترب من الكمال ، وتقارنه ببعض الذي تقرأ من ترجمات تسيئ إلى النص المترجم ، حتى وأنا أقرأ رواية (اسمي أحمر) للنويلي التركي اورهان باموك ، ناجيت نفسي ، أحقاً كتب هذا النويلي نصه بمثل هذه السطحية والركاكة التي صفعنا بها المترجم؟ أوردت ذلك على سبيل التمثيل ، فهناك الكثير من الفواجع الترجمية .

لذا فأنا إذ اقتني الكتاب المترجم - غالباً - ولا سيما الكتاب الذين لم تترسخ معرفتنا بهم ، إنما أسعى للمترجم ، قبل السعي إلى الكاتب ، لأننا إنما نعول عليه ، فهو الواسطة والوسيط ، وما كل مترجم بواسطة العقد ، على لغة شاعرنا ابن الرومي!

ثقافية جريدة (الصباح) بغداد

الأحد ٢٠١٨/٢/٤

إنهم يكتبون عن أنفسهم. أيجوز هذا؟!!

مرة، أهديت صديقاً صحفياً وكاتباً ومترجماً، أهديته كتاباً من كتبي، كان كتابي الثالث الصادر سنة ٢٠٠٥، بعد مضي نحو شهرين واجهني في المؤسسة الصحفية التي تعمل فيها سوية، ليعلن لي أسفه، انه ما استطاع قراءة ما أهديته، أحبته، مداريا خجله وإحراجه، ليس ضرورة أن تقرأ كل الذي يهدى إليك، وانا ما جال في حساباني ذلك، وهنا طلب مني- في محاولة منه لتخفيف ما شعر به من إحراج لأنه لم يقرأ كتابي- أن أتولى أنا كتابة حديث نقدي عن كتابي، وهو على استعداد لأن يضع اسمه على المقال!

قلت له أنا لا أقبل مثل هذا التصرف، وهذا النوع من التدليس والكذب على القارئ، أوضح لي: إن هذا هو السائد الآن، أخبرته إذا كان هذا سائداً فأنا غير معني به، ولا يمكن أن اقترفه. نظر في وجهي برهة وسكت. ولا أدري ما الذي كان يحدث به نفسه! أقول مع انهيار المنظومة القيمية للمجتمع، والجواهري الكبير يقول أنا نتاج مجتمعي، رأيت هذا الذي لم أقبل به منذ سنوات، يطل علينا رويدا رويدا، وانا غير مصدق هذا الذي يحدث حتى يكاد يمسي ظاهرة مؤسفة مدمرة.

ما دفعني إلى الكتابة، أنى قرأت في أيام متتالية لا تتجاوز أسبوعاً، ثلاثاً من هذه الكتابات المؤسفة، وانا مدمن على قراءة الصحف منذ أن كنت في الدراسة الابتدائية، وأبي- رحمه الله -

يجلب لنا الجرائد والمجلات: البلاد والأهالي وأنا كنت اقتني جريدة (الحرية) لصاحبها الصحفي الرائد قاسم حمودي - رحمه الله -.

قرأت في الصفحة الثقافية لإحدى صحفنا، مقالاً، لكن وأنا أقرأ، وقع نظري على غلاف الكتاب المقروء فإذا هو لصاحب المقال. توقفت، تأملت، نظرت ملياً، محدثاً نفسي، أيصح هذا؟ ما أفقت من هول هذه الصدمة، حتى قرأت في جريدة ثقافية، مقالاً لدكتور في الفلسفة، أتابع منذ التسعينات ما يكتب، وغادر العراق بعيد نيله الشهادة العليا. كان حديثاً عن ثلاث روايات، وأنا أقرأ تأكدت أن الحديث النقدي هذا عن رواياته الثلاث، توقفت عن القراءة وأنا غضبان أسفاً، مناجياً ذاتي أيجوز هذا؟!

وفي يوم تال، قرأت مقالاً في جريدة ثالثة مقالاً كتبه روائي ومترجم حاذق وناقد تلفزيوني يوم كان ما يعرض يستحق المتابعة والتقييم والنقد، مقالاً عن ثلاثة كتب دفعة واحدة، ذاكراً في استهلال حديثه هذا، ان وردته ثلاثة كتب فارتأى الكتابة عنها وكأنه تاجر جملة في الشورجة أو جميلة! فأزدت أسفاً وحنقاً، سائلاً روعي أيقبل هذا؟!

ولن أتحدث عن متعدي الكتابة النفعية الانتفاعية، ولاسيما عن النساء، فإذا كانت جميلة فهذا حسن، وان احتازت الجمال مع الغنى فذاك أحسن، وإن جمعت الجمال مع الغنى والوظيفة المؤثرة فذياك هو الأحسن! ولن أتحدث عن الناقد الخافر في كل الجلسات والندوات وهو على استعداد للتحدث عن كل شيء وفي

كل شيء!

ونعاتب الأطباء لأنهم نسوا رسالتهم الإنسانية، وننسى أنفسنا
لأننا أيضاً- نحن معاشر الكتاب- نسينا النزاهة والبراءة وصدق
القول في هذا الذي نكتب
وطوبى لأصحاب القلم النبيل والحرف الصادق النزيه في هذه
العممة والضباب

(الزمان) الثلاثاء

٢٠١٨/٢/٢٧

في جدوى الكتابة توفيق يوسف عواد. بماذا نصح عبد الرحمن منيف؟

وأنا أنجز قراءة هذا الكتاب المهم، الذي نضدت نسخه الالفان في طبعته الأولى الصادرة عن (دار المدى للثقافة والنشر) سنة ٢٠٠٢، مما حدا بالدار إلى إشغاعه بطبعة ثانية في السنة ذاتها، فصدر طبعة ثانية من كتاب في سنة واحدة، قضية جديرة بالتأمل والتدبر. إنها في أبسط صورها، دلالة على أن الكتاب مهم وجدير بالقراءة.

أقول: وأنا أنجز- بمتعة وفائدة- قراءة كتاب (كريم مروة يتذكر. في ما يشبه السيرة) تذكرت الكتاب الذي أصدره المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات وعنوانه (إلياس مرقص: حوارات أجراها طلال نعمة) وبعناية من صقر أبو فخر، الذي كان قد أجرى الحوار الطويل والجميل مع السياسي المعتزل والمفكر اللبناني كريم مروة.

لقد أعاد الكتابان هذان إلى ذاكرتي، دراسات ومقالات المفكر اللبناني إلياس مرقص، الذي فصل من الحزب الشيوعي اللبناني سنة ١٩٥٧، لخلافه مع قيادته ممثلة بـ(جورج حاوي) و (نقولا شاوي) وبعد اعتقال زعيمه فرج الله الحلو وموته عام ١٩٥٩، الذي كان قد أرسله الحزب الشيوعي اللبناني إلى سورية أيام الوحدة المصرية السورية، للمداولة مع الحزب الشيوعي السوري، في ٢٣/من حزيران ١٩٥٩، على الرغم من اعتراض خالد بكداش

على ذلك، بسبب خيانة أحد القيايين الشيوعيين اللبنانيين المدعو (رفيق رضا الفاكهاني) وتعاونه مع أجهزة المخابرات وإفشائه أسرار رفاقه، أيام وزير الداخلية القوي عبد الحميد السراج. لقد كنت أقرأ كتابات ودراسات الياس مرقص القيمة في مجلة (دراسات عربية) الرائعة المحتجة التي تولى رئاسة تحريرها المفكر التنويري جورج الطرايشي، فضلاً عن مجلة (الحرية) لسان حركة القوميين العرب في لبنان، الياس الذي كان يؤكد لكريم مروة، بعد أن غادر عالم السياسة الحزبية، إن المهمة التي نذر لها نفسه، هي مهمة الكتابة والتفكير والتنوير.

رأي الياس مرقص الرصين هذا، يعيد إلى ذاكرتي - كذلك - رأي الروائي والقاص اللبناني الرائع والمقل توفيق يوسف عواد (١٩١١ - ١٦/من نيسان ١٩٨٩) الذي ساقه إلى الدكتور عبد الرحمن منيف (١٩٣٣ - ٢٤/١/٢٠٠٤) المختص بالدراسات النفطية، السياسي البعثي، الذي غادر منظمته السياسية، كما غادرها الشيوعي الياس مرقص، كان الروائي والقاص توفيق يوسف عواد، يعمل آنذاك ومنذ الاستقلال اللبناني عن فرنسا سنة ١٩٤٦ في السلك الدبلوماسي، يزوره الدكتور منيف في مقر عمله بالسفارة اللبنانية في العاصمة اليابانية، طوكيو، ويجري بين الاثنين حوار متشعب، ذهب إلى جدوى العمل السياسي في الوطن العربي، المدجج بالرأي الأحادي، والدكتاتوريات، على مستوى الحكومات والمجتمع، وكنا نحيا تداعيات هزيمة الخامس من حزيران ١٩٦٧، فيسوق توفيق رأيه، وفحواه أن الكتابة هي

الأجدى والأجدر، وإن العمل السياسي قد لا يكون نافعا، بقدر العمل الكتابي في التوعية والتوجيه والإقناع، فكانت هذه الفذلكة، النصيحة، التي وجدت لها مستقرا في نفس عبد الرحمن منيف وروحه، كانت أشبه بقدحة ضوء لتوهج هذه القدحة، مقدمة لنا كل هذا الفيض الكتابي، رواية، وبحثاً، ودراسة وكانت البداية رواية (الأشجار واغتيال مرزوق) التي كانت أشبه بضربة صنج صاعقة، وجهت أنظار القراء، إلى صوت جديد مقتحم دخل دنيا الرواية العربية دخول الكماة الفرسان، واذكر أنني رأيتها في واجهة مكتبة صغيرة، قريبة من كليتنا الآداب قرب الجسر الحديدي بمنطقة الوزيرية سنة ١٩٧٤، اقتنيتها وقرأتها، كنت طالباً في الصف الثالث في آداب المستنصرية، ورأيت فيها صوتاً مؤثراً، نحن الذين كنا نحيا على وقع رواية (موسم الهجرة إلى الشمال) للروائي السوداني المبهر الطيب صالح (١٩٢٩- الأربعماء ١٨ من شباط ٢٠٠٩) وما زالت في الذاكرة الدراسة النقدية الرائعة التي كتبها عنها الناقد المصري رجاء النقاش (١٩٣٤/٩/٣- الجمعة ٢٠٠٨/٢/٨) عنها.

يبدو ان النصائح الطيبة تترك أثرها في النفوس، عملاً وإبداعاً ومثابرة، فكما نصح توفيق يوسف عواد صديقه الدكتور عبد الرحمن منيف بصدد جدوى الكتابة والتوجه إليها، فلقد تلقى توفيق نصيحة الأديب المثير للجدل أمين الريحاني (١٨٧٦/١٠/٢٤ - ١٩٤٠/٩/١٣) الذي قدم لقرائه رواية اسمها (كتاب خالد) عام ١٩١١، التي تعد باكورة الأعمال الروائية أو الفكرية التي تناولت

العلاقة بين الشرق والغرب، كتبها أمين الريحاني بالانكليزية، وترجمها الدكتور اسعد رزوق، وأصدرت طبعتها الأولى عام ١٩٨٦، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، وإنها لتقترب من كتاب (النبي) لجبران خليل جبران (١٨٨٣-١٩٣١) و(مرداد) لميخائيل نعيمة (١٨٨٩-١٩٨٨).

فقد قرأت تحقيقاً صحفياً، أجرته معه الصحفية (اليس سلوم) ونشرته مجلة (كل العرب) عام ١٩٨٧- ومازلت أحتفظ به ضمن أرشيفي الورقي الضخم- أوضح لنا التحقيق الصحفي، الدافع الذي حدا بتوفيق يوسف عواد الصحفي، إلى ولوج عالم الكتابة الإبداعية، هو الذي كان يكتب في الصحافة، إلى جانب التعليقات السياسية والأخبار المحلية، سلسلة من المقالات عن القرية اللبنانية وعاداتها وتقاليدها ويوقعها بالحرفين الأولين من اسمه (ت.ع) وخلال زيارة أمين الريحاني لصديقه (أسعد عقل) - وهَمَّ أستاذي الدكتور علي جواد الطاهر (١٩١٩ - الأربعاء ١٠/٩/١٩٩٦) إذ سماه (وديع عقل) في دراسته النقدية القيمة المعنونة بـ(عن توفيق يوسف عواد- ١٩١١- ١٩٨٩- والريادة الفنية للقصص العربي) التي نشرتها ضمن الملف الخاص بتوفيق مجلة (الأقلام) العراقية بالعدد السادس، حزيران ١٩٨٦- أثناء هذه الزيارة ساق أمين الريحاني الملقب بـ (فيلسوف الفريكة) وهذا اللقب أطلقه عليه الناقد الباحث الرائع مارون عبود (١٨٨٦- ١٩٦٢) ساق نصيحته قائلاً لتوفيق:

يا رجل، مقالاتك عن الضيعة وأبنائها، عليك أن تتنطلق منها إلى كتابة قصص، إنها مادتك الخام، وقد توفرت لك هذه المادة الخام

الضرورية جداً، كما لم تتوفر لقاص عربي حتى اليوم. اكتب قصصاً. اكتب قصصاً عن لبنان.

وعندما أصدر توفيق مجموعته القصصية الأولى (الصبي الأعرج) عام ١٩٣٦، كتب الريحاني عنها في الصحف، وما نسي أن يذكره بوصيته، نصيحته، اكتب قصصاً وغادر دنيا الكتابة الصحفية السهلة، واستمر صاحب (الصبي الأعرج) في رحلة الكلمة بكل أبعادها ومسؤوليتها، لكنه كان مُقلاً فقد أخذته الوظيفة الدبلوماسية قنصلاً عاماً وسفيراً عن عالم الكتابة فلقد شاء أول رئيس للبنان بعد استقلاله عن فرنسا، الشيخ بشارة الخوري، أن يكافئ من عملوا من أجل استقلال بلدهم، فعينه قنصلاً عاماً في عاصمة الأرجنتين، بوينس آيرس، وهكذا طوفت به الوظيفة الدبلوماسية في بلدان شتى: إيران، اليابان، حتى إذا تقاعد من الوظيفة عام ١٩٧٥، وعاد إلى (بكفيا) عاد ليللمم شتات نفسه، وظل يمضي النفس، بكتابة روايته الثالثة بعد (الرجيف) ١٩٣٩ و (طواحين بيروت) ١٩٧٣، لكنه ما كتبها، إذ ظل يؤجل ذلك، مع انه كان يؤكد أنه سيشرع بالكتابة، كان يريد من روايته هذه ان تكون تأريخاً للحرب الأهلية اللبنانية (١٩٧٥-١٩٨٩) لكن الحرب أكلته، قبل ان يباشر كتابة حرف منها، فلقد قتلته قذيفة من القذائف التي كان يلعب بها اللبنانيون، أيام حربهم الأهلية، وإذ ظل يؤجل الكتابة، فالموت ما أجل أجله.

جريدة (رأي اليوم) لندن

الأحد ٢٠١٨/٤/١

وثيقة جواهرية

يوم عاش الجواهري في ريف قضاء علي الغربي

في يوم الجمعة الموافق السادس عشر من كانون الأول عام ١٩٦٨، باشرت بعلمي في مستودع نפט علي الغربي منفكاً من مستودع ناحية العزيز، وكانتا المدينتان من توابع العمارة قبل صدور قانون المحافظات في ربيع سنة ١٩٦٩، واستبدال اللواء بالمحافظة، كذلك استبدال منصب المتصرف بالمحافظ، ولما كان يستهويني البحث في السجلات القديمة للمؤسسات النفطية التي عملت بها لأخذ فكرة عن سير العمل بها، فلقد كنت في أوقات الفراغ أطالع تلك السجلات لأعثر على وثيقة مهمة تخص شاعر العراق والعرب الأكبر محمد مهدي الجواهري، الذي كانت حكومة العراق الملكي، قد منحتة قطعة ارض زراعية في ريف قضاء علي الغربي، وما يستتبع ذلك حصوله على المنتجات النفطية والدهون الزراعية كي يشغل آلاته الزراعية، ولقد رأيت ضرورة نشر هذه الوثيقة التي أراها مهمة كونها تؤرخ لمراحل من حياة الجواهري الكبير، ولها أكثر من صلة برائعته المدوية (يا أم عوف)، زنوبة حواس زبون.

وفي أدناه نص الوثيقة التي كتبها زميلنا وصديقنا حسون علي (أبو فارس) ملاحظ مستودع نפט علي الغربي - محبياً أسرته على البعد- طالباً من الجهة المختصة مديرية المنتجات النفطية بالبصرة ومقرها المفتية تزويده بدفتر التجهيز بالنسيئة أي بالدين، وهي مأخوذة من الإنساء أي التأجيل، كي يجهز الجواهري بحاجة آلاته

ومعداته الزراعية للمنتجات النفطية، مشيراً إلى ان التقسيم الوظيفي النفطي كان رائعاً، إذ كان لواء العمارة والناصرية تابعين نفطياً إلى البصرة، كما كانت ألوية الديوانية وكربلاء والحلة تابعة للمنطقة الوسطى ببغداد قبل فك ارتباط هذه الألوية واستحداث محافظتي النجف الأشرف والمثنى، واستحداث مديرية الفرات الأوسط ومقرها مدينة الحلة، مركز محافظة بابل في حين ظلت محافظات ديالى وواسط والأنبار وصلاح الدين مرتبطة نفطياً في المنطقة الوسطى ومقرها بغداد.

نص المذكرة

شركة نفط خانقين المحدودة (المؤسسة في بريطانيا العظمى)
الوكيلة عن الحكومة العراقية.

الرقم ٢٤٩ - التاريخ ١٩٥٨/١١/٤

من علي الغربي إلى البصرة

الموضوع دفتر تجهيزات بالنسيئة

نشيركم إلى أمر التسليم المرقم ع غ بغداد في ١٩٥٨/١٠/٢٥
المتضمن إعطاء السيد محمد مهدي الجواهري كمية (٢١٠٠٠)
غالون نفط الديزل بطريقة النسيئة.

راجين التفضل بإرسال دفتر خاص باسمه لنتمكن من صرف
المتوجات المدرجة أعلاه. وبالموافقة.

الملاحظ - حسون علي

نشر في مجلة (الهدى) الأسبوعية - بغداد -

الأربعاء ٢٠ من شهر رمضان المبارك ١٤٣٦هـ

٨/ تموز/ ٢٠١٥ - العدد ٧

NAQIN OIL CO., LTD

(Incorporated in Great Britain)
BY FOR THE Iraq Government

شركة نفط ناقين المحدودة
(الأساس في بريطانيا العظمى)
تركتها عن الحكومة العراقية

No. ٤٤٤ رقم

Date ١٩٤٦ / ١١ / ١٩ التاريخ

Subject الموضوع: بيان السيد الحسيني

بمقتضى هذا البيان الذي أراه السيد الحسيني في تاريخ ١٩٤٦ / ١١ / ١٩
الذي تضمنه في بيان السيد الحسيني المذكور في تاريخ ١٩٤٦ / ١١ / ١٩
الذي تضمنه في بيان السيد الحسيني المذكور في تاريخ ١٩٤٦ / ١١ / ١٩
في شأن شركة نفط ناقين المحدودة والبيان المذكور في تاريخ ١٩٤٦ / ١١ / ١٩

المندوب
صديق